

الصَّاحِبِيُّ

فِي فِقْهِ اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا
وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلِمَاتِهَا

تأليف
الإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
من لغويي القرن الرابع الهجري

علق عليه وروى عن مؤلفه
أحمد حسن بسنج

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الصَّاحِبِيُّ

فِي فِقْهِهِ اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا
وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا

تأليف
الإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
من لغويي القرن الرابع الهجري

عُتِقَ عَلَيْهِ وَوَضِعَ مَوَازِينُهُ
أحمد حسن بسج

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



الصَّاحِبِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمد بن فارس^(١)

نشأته:

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. ولد بقزوين^(٢) ونشأ بهمدان، ودرّس بها وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات، ثم دعاه فخر الدولة البويهبي إلى الري ليؤدب ابنه مجد الدولة أبا طالب، فأقام بها قاطناً، وممن تتلمذ عليه فيها الصاحب بن عبّاد. أما أساتذته وشيوخه الذين أخذ عنهم فكثيرون ومنهم أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان، وأبو عبدالله أحمد بن طاهر المنجم، وعلي بن عبدالعزيز المكي، وأبو عبيد، وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. أما علومه فكانت متنوعة شاملة ولا سيما اللغة التي أتقنها وأكثر من التأليف في فروعها المختلفة، وقد أحسن صنعة الشعر، وكان فقيهاً شافعيّاً ويناصر مذهب مالك بن أنس. أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين.

وكان ابن فارس جواداً، كريماً لا يكاد يرد سائلاً، حتى إنه كان يهب ثياب

جسمه وفرش بيته.

(١) ترجمته في: إنباه الرواة: ٢٩/١، نزهة الألباء: ٢١٩، دمية القصر: ٢٥٧، بئمة الدهر: ٤٠٢/٣، معجم الأدياء: ٥٣٣/١، وفيات الأعيان: ١١٨/١، بغية الوعاة: ٣٥٢/١، تاريخ الأدب العربي بروكلمان: ٢٦٥/٢، الأعلام: ١٩٣/١.

(٢) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان: ٢٦٥/٢.

توفي ابن فارس في الري سنة ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م، وقيل سنة ٣٩٦ هـ، أو ٣٩٠ هـ، أو ٣٦٩ هـ، أو ٣٦٠ هـ، وقد وجد ياقوت الحموي خط ابن فارس على كتاب الفصيح وقد كتبه سنة ٣٩١ هـ^(١).

مؤلفاته:

إنها كثيرة، وتشمل اللغة والحديث والتفسير والأدب والفقه وقد أورد له ياقوت^(٢) طائفة من هذه التصانيف وهي على الشكل الآتي:

- ١ - المعجم.
- ٢ - متخير الألفاظ.
- ٣ - فقه اللغة.
- ٤ - غريب إعراب القرآن.
- ٥ - تفسير أسماء النبي ﷺ.
- ٦ - مقدمة كتاب دار العرب.
- ٧ - حلية الفقهاء.
- ٨ - كتاب العرق.
- ٩ - مقدمة الفرائض.
- ١٠ - ذخائر الكلمات.
- ١١ - شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان.
- ١٢ - كتاب الحجر.
- ١٣ - سيرة النبي ﷺ.
- ١٤ - الليل والنهار.
- ١٥ - العم والخال.
- ١٦ - أصول الفقه.
- ١٧ - أخلاق النبي ﷺ.

(١) معجم الأدباء: ١/٥٣٥.

(٢) معجم البلدان: ١/٥٣٦.

- ١٨ - كتاب الصاحبي^(١) .
 ١٩ - جامع التأويل في تفسير القرآن .
 ٢٠ - الثياب والحلي .
 ٢١ - خلق الإنسان .
 ٢٢ - الحماسة المحدثنة .
 ٢٣ - مقاييس اللغة .
 ٢٤ - كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين .
- ولكن بروكلمان أورد طائفة من الكتب تختلف عما ذكره ياقوت في بعض الأسماء وتتفق مع بعضها الآخر ولعله من المفيد أن أذكر ما جاء في تاريخ بروكلمان بتمامه^(٢) :

- ١ - المجمل في اللغة .
 ٢ - فقه اللغة المسمى بالصاحبي .
 ٣ - كتاب الثلاثة في الألفاظ المترادفة .
 ٤ - ذم الخطأ في الشعر .
 ٥ - نقد الشعر .
 ٦ - مختصر سيرة رسول الله ﷺ .
 ٧ - مقالة في أسماء أعضاء الإنسان .
 ٨ - مقالة «كلا» وما جاء منه في كتاب الله تعالى .
 ٩ - كتاب الفيروز .
 ١٠ - كتاب اللامات .
 ١١ - جزء من الإشكريات .
 ١٢ - مقاييس اللغة .
 ١٣ - الإتياع والمزاوجة .
 ١٤ - قصص النهار وسحر الليل .
 ١٥ - تمام فصيح الكلام .

(١) وهو كتاب في فقه اللغة، وقد قدمه ابن فارس إلى الصاحب بن عباد، وهو الكتاب الذي تقدمه.
 (٢) تاريخ الأدب العربي: ٢/٢٦٥. وزاد السيوطي في بغية الوعاة كتاباً هو: الانتصار لثعلب.

١٦ - كتاب المسائل أو فتيا فقه العرب .

١٧ - رسالة إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الخطيب .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن فارس كان يجيد نظم الشعر، ومن شعره^(١):

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً وأنتَ بها كَلِيفٌ مغرُمٌ
فأرسلِ حكيماً ولا تُوصِه وذاك الحكيم هو الدرهم

ومن شعره:

وقالوا كيف أنتِ فقلتِ خيرٌ تُقضى حاجةٌ ويفوتُ حاجُ
إذا ازدحمتُ همومُ القلبِ قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج

ومما قال في همدان:

سقى همدانُ الغيثُ لستُ بقائلٍ سوى ذا وفي الأحشاء نارٌ تضرُمُ
وما لي لا أصفي الدُّعاء لبلدةٍ أفدتُ بها نسيان ما كنتُ أعلمُ
نسيئُ الذي أحسنته غير أني مدينٌ وما في جوفِ بيتي درهمُ

ومن شعره:

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقَّه
إياك واحذر أن تبيَّ تَ من الثِّقاتِ على ثِقَه

وقال قبل وفاته بيومين:

يا ربَّ إن ذنوبي قد أخطتَ بها علماً وبى وبإعلاني وإسراري
أنا الموحدُ لكني المقرُّ بها فهب ذنوبي لتوحيدِي وإقراري

كتابه «الصاحبي»:

هو كتاب في فقه اللغة، وقد سمّاه بالصاحبي نسبة إلى الصاحب بن عباد، وكان ابن فارس قدّم الكتاب إليه وأودعه خزائنه. أما مضمون الكتاب فيدور حول اللغة العربية وأوليتها ومنشئها، ثم يبحث في أساليب العرب في تخاطبهم، وفي الحقيقة والمجاز. وقد بدأ الكتاب بباب قرر فيه أن اللغة توقيف وليست اصطلاحاً، ثم ذهب في الأبواب التالية يدرس الظواهر اللغوية دراسة شبه فلسفية،

(١) معجم الأدباء: ١/٥٣٧.

فيبدأ بتفضيل العربية على ما سواها من اللغات، ويذهب بعد ذلك مفصلاً، مقارنةً بين اللغات، مستشهداً بالقرآن الكريم وبالشعر العربي، وبصور من كلام العرب، ويتنقل بعد ذلك إلى دراسة المفردات اللغوية من حيث معانيها المختلفة وطرق استعمالها، وائتلافها واختلافها، فيفرق بين الاسمي منها والحرفي، ويبحث في أصول الأسماء، وما جرى مجراها من الصفات، كما يدرس الحروف المفردة من حيث المعاني ووجوه الاستعمال، والأفعال وأبنيتهما إلى ما هنالك من أبواب أخرى.

وللكتاب قيمة من حيث إنه أضاف إلى مكتبتنا العربية مصدراً هاماً من المصادر اللغوية، لا يستغني عنه عام أو خاص، عالم أو متعلم، ومن هنا كانت عنايتنا بإعادة نشر هذا الكتاب، ولا سيما أنه كان قد نشر لأول مرة في القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ، وقد أعيد نشره بعد ذلك، ولكن ما وجدته في تلك النسخ كان يحتاج إلى الضبط والتحقيق، فقامت بضبط نصه، وتخريج آياته وأحاديثه، ونسبت الأقوال والأشعار إلى قائلها، ثم عرّفت بالشعراء غير المعروفين، كما أنني فسّرت ما رأيتته ضرورياً من غريب الألفاظ والأقوال. ولا أدعي في كل ذلك أنني بلغت الغاية، وحسبي أنني حاولت، والعذر إن كنت قد قصّرت أو نسيت أو أخطأت.

والله من وراء القصد

أحمد حسن بسج

بيروت: ٢١ شعبان/ ١٤١٧ هـ

الموافق ١/١/ ١٩٩٧ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وبه نستعين، وصلى الله تعالى على محمد وآله.

قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس أدام الله تأييده:

هذا الكتاب «الصاحبي» في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها. وإنما عَنَوْتُهُ بهذا الاسم لأنِّي لما أَلْفَتُهُ أودعْتُهُ خزانة الصَّاحِبِ^(١) الجليل كافي الكفاة، عَمَرَ الله عِرَاصَ العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره، تَجَمَّلًا بذلك وتحسُّناً، إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مَرَضِيًّا مقبولاً، وما يَرُدُّهُ أو يَنْفِيهِ منفيًّا مَرْدُولاً، ولأنَّ أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذٌ عنه ومُفاد منه. فأقول:

إنَّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً: أمَّا الفرعُ فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: «رجل» و «فرس» و «طويل» و «قصير». وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلُّم.

وأمَّا الأصلُ فالقولُ على موضوع اللغة وأوليتها ومنشأها، ثمَّ على رسوم العرب في مخاطبتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً.

والنَّاسُ في ذلك رجلان: رجلٌ شُغل بالفرع فلا يَعْرِفُ غيره، وآخَرُ جَمَعَ الأمرين معاً، وهذه هي الرُّتبة العُلَيَّا، لأنَّ بها يُعلم خطابُ القرآن والسُّنة، وعليها يُعوَّل أهلُ النَّظَرِ والفُتَيَّا، وذلك أنَّ طالبَ العلم العُلويَّ يكتفي من سماء «الطويل» باسم الطويل، ولا يَضِيرُهُ أن لا يعرف «الأشَقَّ»^(٢) و «الأمَقَّ»^(٣) وإن كان في علم ذلك زيادةٌ فضل.

وإنَّما لم يَضِرْهُ خفاءُ ذلك عليه، لأنَّه لا يكاد يجِدُ منه في كتاب الله جُلَّ ثناؤه

(١) هو الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة أبي منصور بن بويه، وكانت له صحبة لأبي الفضل الوزير ابن العميد وأخذ عنه الأدب، توفي سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م.

(٢) الأشق: من الخيل ما يشق في عدوه يميناً وشمالاً، أو البعيد ما بين الفروج، والطويل.

(٣) الأمق: من الخيل الطويل.

شيئاً فيُحَوِّج إلى علمه؛ ويقلُّ مثله أيضاً في ألفاظِ رسول الله ﷺ، إذ كانت ألفاظه ﷺ هي السهلة العذبة.

ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لَعَيَّ بكثير من علم مُحَكِّم الكتاب والسنة، ألا تسمع قولَ الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١) إلى آخر الآية؟ فسِرُّ هذه الآية في نطقها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوَحْشِيِّ من الكلام، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعلَّ كتابنا هذا يأتي على أكثره بعون الله تعالى.

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول أن مُتَوَسِّمًا بالأدب لو سُئِلَ عن «الجزم والتسويد»^(٢) في علاج الثوق، فتوقف أو عَيَّ به أو لم يعرفه، لم يُنْقِصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائئاً، لأنَّ كلام العرب أكثر من أن يُحصَى. ولو قيل له: هل تتكلم العرب في التقي بما لا تتكلم به في الإثبات؟ ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الأدب عند أهل الأدب، لا أن ذلك يُرَدِّد دينه أو يَجْرُهُ لمأثم.

كما أن مُتَوَسِّمًا للنحو لو سُئِلَ عن قول القائل:

لَهَيْكَ مِنْ عَيْسِيَّةٍ لَوْسِيمَةً عَلَى هَنَوَاتٍ كاذِبٌ مِنْ يَقُولِهَا^(٣)

فتوقَّف أو فكَّر أو استمهل، لكان أمره في ذلك عند أهل الفضل هيناً، لكن لو قيل له مكان «لَهَيْكَ»: ما أصل القسم، وكم حروفه، وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً؟ فلم يُجِبْ لِحُكْمِ عليه بأنه لم يُشَامَ^(٤) صِاعَةَ النحو قَطُّ. فهذا الفصل بين الأمرين.

والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرَّق في أصناف العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء. وإنما لنا فيه اختصارٌ مبسوط، أو بسطٌ مختصر، أو شرحٌ مُشْكِل، أو جمعٌ متفرِّق.

فأوَّل ذلك:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) التسويد: دق المسح البالي ليداوى به أذبار الإبل. والجزم: ما يحشى به حياء الناقة.

(٣) البيت في لسان العرب، مادة (هنا) دون نسبة. والهنوات: جمع الهنات وهي الداهية.

(٤) يُشَام: من الشم، وقولك: تشامنا: شم أحدهما الآخر، وأشَم الحروف: أذافها الضمة أو الكسرة، وأراد أنه لم يعرف صناعة النحو.

باب القول على لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح

أقول: إنَّ لغة العرب توقيف. ودليل ذلك قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) فكان ابن عباس يقول: علَّمه الأسماء كلها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خُصَيْفٌ عن مُجاهد قال: علمه اسم كلِّ شيء. وقال غيرهما: إنما علَّمه أسماء الملائكة. وقال آخرون: علَّمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: «ثم عرضهن أو عرضها» فلما قال: «عرضهم» علَّم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعْقِل «عرضهم» ولما لا يعقل «عرضها أو عرضهن» قيل له: إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جَمَعَ ما يَعْقِل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سُنَّة من سُنن العرب، أعني «باب التغليب»، وذلك كقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٢) فقال: ﴿مِنْهُمْ﴾ تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم.

فإن قال: أفتقولون في قولنا: سيف، وحسام، وعَضْب^(٣)، إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتَّى لا يكون شيء منه مُصْطَلِحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٣) العضب: السيف القاطع.

والدليل على صِحَّة ما نذهب إليه إجماعُ العلماءِ على الاحتجاجِ بلغةِ القومِ فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجُهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مُواضعةً واصطلاحاً، لم يكن أولئك في الاحتجاجِ بهم بأولى منا في الاحتجاجِ لو اصطَلَحنا على لغةِ اليومِ ولا فرق.

ولعلَّ ظاناً يظنُّ أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملةً واحدةً وفي زمان واحد. وليس الأمر كذا، بل وقَّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علَّم بعد آدم عليه السلام من عربِ الأنبياء صلواتُ الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ، فاتاه الله جلَّ وعزَّ من ذلك ما لم يؤتاه أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثم قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت.

فإن تعمَّل^(١) اليوم لذلك متعمِّل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرُده.

ولقد بلغنا عن أبي الأسود^(٢) أن امرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود فسأله أبو الأسود عنه فقال: «هذه لغة لم تبلغك» فقال له: «يا ابن أخي لا خير لك فيما لم يبلغني» فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق.

وخلة^(٣) أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمانٍ يُقارب زمانه أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم.

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البلغاء والفُصحاء - النظرُ في العلوم الشريفة ما لا يخفاء به. وما علِمناهم اصطَلَحوا على اختراع لغةٍ أو إحداث لفظةٍ لم تتقدمهم.

(١) تعمَّل: أي تكلف العمل.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، أول من اشتغل بعلم النحو بأمر من الإمام علي رضي الله عنه، مات سنة

١٠ هـ.

(٣) الخلة: الثقبه الصغيرة.

باب القول على الخط العربي

وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسَّرِيانيَّ والكَتُبَ كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه. فلما أصاب الأرض الغرقُ وجد كلُّ قومٍ كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيلُ عليه السلام الكتابَ العربيَّ.

وكان ابنُ عباسٍ يقول: «أولُّ من وضع الكتابَ العربيَّ إسماعيلُ عليه السلام، وضعه على لفظه ومَنْطِقَه».

والرواياتُ في هذا الباب تكثر وتختلف.

والذي نقوله فيه: إن الخطَّ توقيف، وذلك لِظَاهِرِ قوله عز وجل: ﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ، اقرأ وربُّك الأكرمُ الذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَم﴾^(١) وقال جَلَّ ثَنَاؤُه: ﴿والقلم وما يسطرون﴾^(٢) وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقَّفَ آدمٌ عليه السلام أن غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب.

فأما أن يكون مُخْتَرَعٌ اخترعه من تلقاء نفسه، فشيءٌ لا تُعَلِّمُ صحته إلا من خبر صحيح.

وزعم قوم أن العربَ العاربةَ^(٣) لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً، ولا إعراباً، ولا رفعاً، ولا نصباً، ولا همزاً. قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: «إني إذن لَرَجُلٌ سوء!» قالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر. وقيل لآخر: أتجرُّ فلسطين؟ فقال: «إني إذن لَقويٌّ!». قالوا: وسمع بعض فصحاء العرب يُنشد:

نحن بني علقمة الأخيارا

(١) سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

(٢) سورة القلم، الآية: ١.

(٣) العرب العاربة: العرب الصرحاء.

فقيل له: لم نصبت «بني»؟ فقال: ما نصبت، وذلك أنه لم يعرف من النَّصَب إلا إسناد الشيء. قالوا: وحكى الأَخْفَش^(١) عن أعرابي فصيح أنه سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الدال فقال: وما الدال؟ وحكي أن أبا حِيَةَ التُّميري^(٢) سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الكاف فقال^(٣):

كفى بالتَّأْي من أسماء كافٍ وليس لِسُقْمِها إذ طالَ شافٍ

قلنا: والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء. ومذهبنا فيه التوقيف فنقول: إن أسماء هذه الحروف داخله في الأسماء التي أعلم الله جل ثناؤه أنه علّمها آدم عليه السلام، وقد قال جل وعزّ: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤)، فهل يكون أولُ البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان؟ ولم لا يكون الذي علّم آدم عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علّمه الألف والباء والجيم والدال؟ فأما من حُكي عنه من الأعراب، الذين لم يعرفوا الهمز والجرّ، والكاف والدال، فإنّنا لم نزعم أنّ العرب كلها مدرّاً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها، والحروف أجمعها، وما العربُ في قديم الزمان إلا كنحن اليوم: فما كلّ يعرف الكتابة والخطّ والقراءة، وأبو حِيَةَ كان أسس؛ وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخطّ ويقرأ، وكان في أصحاب رسول الله ﷺ كاتبون منهم أمير المؤمنين عليّ صلوات الله تعالى عليه وعثمان وزيد وغيرهم.

فحدثني أبو الحسنِ عليّ بن إبراهيم القَطَّان، قال: أخبرنا عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد قال: حدثنا ابن مَهْدِيّ، عن ابن المبارك قال: حدثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانئ قال: كنت عند عثمان رضي الله تعالى عنه، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ بن كعب فيها: «لم يتسنّ» و«فأمهل الكافرين» و«لا تبديل للخلق» قال فدعا بالدّواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لَخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٥)

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، النحوي الأديب، البلخي البصري، مات سنة ٢١٥.

(٢) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نمير بن عامر، من شعراء البصرة، مات سنة ١٨٣ هـ.

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم، وهو شاعر جاهلي، انظر ديوانه: ١٠٣، وفيه: وليس لحبها.

(٤) سورة الرحمن: آية ٤.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠، وتامها: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.

ومحا «فأمهل» وكتب ﴿فَمَهَّلٌ﴾^(١) وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾^(٢) ألحقَ فيها هاءً. أفيكون جهلُ أبي حيةَ بالكتابة حُجَّةً على هؤلاء الأئمة؟.

والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض. والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقريء قصيدة الحُطَيْئَةِ^(٣) التي أولها:

شاقَّتْكَ أَظْعَانُ لِلَيْلَى دُونَ نَازِرَةٍ بِوَآكِرٍ^(٤)

فَنَجِدُ قَوَافِيهَا كُلَّهَا عِنْدَ التَّرْتُّمِ وَالْإِعْرَابِ تَجِيءُ مَرْفُوعَةً، وَلَوْلَا عِلْمُ الْحُطَيْئَةِ بِذَلِكَ لِأَشْبَهَ أَنْ يَخْتَلِفَ إِعْرَابُهَا، لِأَنَّ تَسَاوِيَهَا فِي حَرَكَةِ وَاحِدَةٍ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَا يَكَادُ يَكُونُ.

فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود^(٥) أول من وضع العربية، وأن الخليل^(٦) أول من تكلم في العروض. قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العُلمين قد كانا قديماً، وأت عليهما الأيام، وقلّا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان، وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب.

وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أو من قال منهم: «إنه شعر»، فقال الوليدُ بنُ المغيرة^(٧) منكرًا عليهم: «لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرء الشعر^(٨): هزجه ورجزه، وكذا وكذا، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك» أفيقول الوليدُ هذا، وهو لا

(١) سورة الطارق، الآية: ١٧، وتماها: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُلَهُمْ رَوِيْدًا﴾.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩، وتماها: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

(٣) هو جرول بن أوس شاعر مخضرم، كان هجاءً، مات سنة ٥٩ هـ.

(٤) ديوان الحطية: ٣١ وفيه: يوم نازرة.

(٥) هو أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ١٠ هـ.

(٦) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، عالم في اللغة، والنحو، وواضع علم العروض، مات سنة ١٦٢ هـ.

(٧) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو، من زعماء قريش وأجوادها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، مات سنة ١ هـ.

(٨) أقرء الشعر: قوافيه، والواحد: قرء.

يعرف بـجُحور الشعر؟ .

وقد زعم ناس أنّ علوماً كانت في القرون الأوائل، والزمن المتقادم، وأنها درّست وجُدّدت منذ زمان قريب، وترجمت وأصلحت، منقولة من لغة إلى لغة، وليس ما قالوا ببعيد، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا .

فإن قال: فقد سمعناكم تقولون: إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا، من أنها لا تجمع بين ساكنين، ولا تبتدىء بساكن، ولا تقف على متحرك، وأنها تسمي الشخص الواحد الأسماء الكثيرة، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد. قلنا: نحن نقول: إن العرب تفعل كذا بعدما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر إلى الموقّف الأول .

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية: كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم يصوّروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك كلّه حجة، وحتى كرهه من العلماء ترك اتباع المصحف من كرهه .

فحدّثني عبدالرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السّمريّ عن الفراء^(١) قال: «اتباع المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءة القراء أحب إليّ من خلافه» قال: وقد كان أبو عمرو بن العلاء^(٢) يقرأ: ﴿إن هذين لساحران﴾^(٣) ولست أجترىء على ذلك . وقرأ: ﴿فأصدّق وأكون﴾^(٤) فزاد واواً في الكتاب ولن أستحب ذلك .

والذي قاله الفراء حسن، وما يحسن قول ابن قتيبة^(٥) في أحرف ذكرها، وقد خالف الكتاب المصحف في هذا .

(١) الفراء: هو يحيى بن زياد النحوي اللغوي الكوفي، مات سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) هو زبّان بن عمّار، اللغوي النحوي البصري، مات سنة ١٥٤ هـ .

(٣) سورة طه، الآية: ٦٣ .

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١٠ .

(٥) هو عبدالله بن مسلم الدينوري، الكوفي ثم البغدادي، اللغوي الأديب، مات سنة ٢٧٦ هـ .

باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها

قال جلّ ثناؤه: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ، لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(١) فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٢) فقدم جلّ ثناؤه ذكرَ البيان على جميع ما توخّد بخلقه وتفرّد بإنشائه، من شمس، وقمر، ونجم، وشجر وغير ذلك من الخلائق المُحكّمة والنشايَا المُتفَنّة. فلما خصّ جلّ ثناؤه اللسانَ العربيّ بالبيانِ علّم أنّ سائر اللغات قاصِرةٌ عنه وواقعةٌ دونه.

فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلّ مَنْ أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن. قيل له: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قد يُعربُ عن نفسه حتّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكلّماً، فضلاً عن أن يُسمّى بيّناً أو بليغاً.

وإن أردت أنّ سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفاتٍ كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذلك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا يخفاء به على ذي نُهيّة^(٣).

وقد قال بعضُ علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقدير، والتأخير، وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيل عن

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤.

(٣) التّهيّة: العقل.

السريانية إلى الحبشية والرُّومية، وترجمت التوراة والزَّبُور وسائرُ كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتَّسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه: ﴿وإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾^(١) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدِّية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها فتقول: «إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانةً ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم، وأذنبهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء» وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمُ فِي الْكَهْفِ﴾^(٢).

فإن قال قائل: فهل يوجد في سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: إن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أو يُقَابَل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العليِّ الأعلى خالق كلِّ لغة ولسان، لكنَّ الشعراء قد يومنون إيماءً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مُريد نقله لاغتاص^(٣)، وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس^(٤):

فدع عنك نهياً صيح في حَجَرَاتِهِ

بالعربية فضلاً عن غيرها لطل عليه. وكذا قول القائل^(٥):

«الظنُّ على الكاذب».

و «نِجَارُهَا نَارُهَا»^(٦).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١.

(٣) اغتاص الأمر عليه: اشتد.

(٤) ديوانه: ١٤٦. وعجزه:

ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

(٥) هو ابن زبابة التيمي كما في الحماسة: ٥٠. واسمه عمرو بن لأي، من بني تيم اللات، شاعر جاهلي. وتما البيت:

أنا ابن زبابة إن تدعني أتك والظن على الكاذب

(٦) مجمع الأمثال: ٣٣٨/٢. ولسان العرب مادة (نور).

و «عَيَّ بِالِإِسْنَانِ»^(١).

و «أَنْشَأِي يُرْمَ لِكَ».

و «هُوَ بَاقِعَةٌ»^(٢).

و «قَلْبٌ لَوْ رَفَعَ».

و «عَلَى يَدِي فَأَخْضَمَ».

و «وَسَأْنُكَ إِلَّا تَرْكُهُ مُتَّفَاقِمٌ».

وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات. ولو أراد معبراً بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق، واليقين والشك، والظاهر والباطن، والحق والباطل، والمبين والمشكل، والاعتزاز والاستسلام، لعي به. والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل.

ومما اختصت به لغة العرب - بعد الذي تقدم ذكره - قلبهم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخف من الأول، نحو قولهم: «ميعاد» ولم يقولوا «مِوَعَاد» وهما من الوعد، إلا أن اللفظ الثاني أخف.

ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن. ومنه قولهم: «يا حارٍ» ميلاً إلى التخفيف.

ومنه اختلاسهم الحركات في مثل^(٣):

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ

ومنه الادغام، وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو: «لَمْ يَكْ»، و «لَمْ أُبَلْ»، ومن ذلك إضمارهم الأفعال، نحو: «أمرؤ أتقى الله»، و «أمر مبيكاتك، لا أمر مضحكاتك».

ومما لا يمكن نقله البتة: أوصاف السيف، والأسد، والرمح، وغير ذلك من

(١) مجمع الأمثال: ١٨/٢. وأساس البلاغة مادة (سنف). ويضرب لمن تحير في أمره. والسَّنَاف للبعير بمنزلة اللبب للدابة. وقد سَنَفْتُ البعير: شددت عليه السناف.

(٢) مجمع الأمثال: ٩٦/١، والباقة: الداهية.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١٤٩. وشطره:

إثماً من الله ولا واغل

الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنُخرج له خمسين ومائة اسم.

وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال: سمعت أبا عبدالله بن خالويه الهمداني^(١) يقول: جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحياة مائتين.

وأخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثنا ابن أخي الأصمعي^(٢) عن عمه أن الرشيد^(٣) سأله عن شعر لابن حزام العُكَلِيِّ ففسره، فقال: «يا أصمعي، إن الغريب عندك لغير غريب». فقال: «يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً؟»، وهذا كما قاله الأصمعي. ولكافي الكفاة^(٤) - أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد.

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبر عن قولهم: ذات الرُّمَيْن^(٥)، وكثرة ذات اليد^(٦)، ويد الدهر^(٧)، وتخاوصت النجوم^(٨)، ومجّت الشمس ريقها، ودرأ الفياء^(٩)، ومفاصل القول^(١٠)، وأتى بالأمر من فصه^(١١)، وهو رحب العطن^(١٢)، وعمر الرداء^(١٣)، ويخلق ويفري^(١٤)، وهو ضيق

(١) هو الحسين بن أحمد بن خالويه، لغوي نحوي، له مجالس مع المتنبّي في حلب، مات في حلب سنة ٣٧٠ هـ.

(٢) الأصمعي هو عبد الملك بن قُريب لغوي نحوي من علماء البصرة ورواتها، مات سنة ٢١٦ هـ.

(٣) هو الخليفة العباسي هارون بن المهدي، خامس الخلفاء العباسيين، مات سنة ١٩٣ هـ.

(٤) كافي الكفاة هو الصباح بن عبّاد وزير مؤيد الدولة البويهية، وفاته سنة ٣٨٥ هـ.

(٥) يقال: لقيته ذات الزمين. والمراد تراخي الوقت.

(٦) كثرة ذات اليد، أي: كثرة الخير.

(٧) يقال: لا أفعله يد الدهر، أي: أبداً.

(٨) تخاوصت النجوم: أي صغّت النجوم للغروب.

(٩) الفياء: الظل، والخراج.

(١٠) مفاصل القول: أي القول القاطع.

(١١) أتيتك بالأمر من فصه: أي: من محزه وأصله.

(١٢) يقال: فلان رحب العطن إذا كان واسع الذراع، والعطن في الأصل: مبرك الإبل حول الورد.

(١٣) غمر الرداء: أي واسع الرداء.

(١٤) يقال: يخلق ويفري إذا أتى بالعجب.

المَجَمَّ (١)، قَلِقُ الوَضِين (٢)، رَابِطُ الجَاش (٣)، وهو أَلْوَى بَعِيدُ المُسْتَمَرِّ (٤)، وهو شَرَابٌ بِأَنْفَع (٥)، وهو جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وَعُدْيُهَا المُرَجَّب (٦)، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة.

وما في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر، قال الله جلّ وعزّ: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (٧)، و﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم﴾ (٨)، و﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ (٩)، و﴿إن يتبعون إلا الظنّ وإن الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً﴾ (١٠)، و﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ (١١)، و﴿لا يُحقيق المكرّ السيّء إلا بأهله﴾ وهو أكثر من أن تأتي عليه.

وللعرب بعد ذلك كَلِمٌ تلوّحُ في أثناء كلامهم كالمصاييح في الدجى، كقولهم للجَمُوع للخير: قَثُوم، وهذا أمر قائم (١٢) الأعماق أسود النواحي، واقتحف (١٣) الشراب كلّهُ، وفي هذا الأمر مصاعبٌ وقُحَم (١٤)، وامرأة حيّية قَدِعة (١٥)، وتَقَادَعُوا تَقَادَعُ الفِراش في النار، وله قَدَمٌ صِدْق، وذا أمر أنت أردته ودبّرتَه، وتَقَادَفْتُ بنا النَّوَى، واشتَقَّتْ الشراب، ولك قُرعةٌ هذا الأمر خياره، وما

(١) ضيق المَجَم: أي ضيق الذراع، والأصل مجم البئر وهو مجتمع مائها.

(٢) قلق الوضين: أي بطانها من الهزال.

(٣) رابط الجاش: أي شديد البأس، والجاش: الصدر.

(٤) ألوى بعين المستمر، يضرب مثلاً للرجل الذي لا يُطاق نكارة، انظر جمهرة الأمثال: ٣٢/١.

(٥) شراب بأنفع، يضرب مثلاً لمن يعاود الأمر مرة بعد مرة. والأنفع: جمع نفع وهو الأرض الحرة

الطين يستنقع فيها الماء. انظر مجمع الأمثال: ٣٦٠/١.

(٦) جزيلا المحكك يُضرب للرجل يستشفى بعقله ورأيه، مجمع الأمثال: ١٦٠/١. والجذل أصل الشجرة.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٨) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٩) سورة الفتح، الآية: ٢١.

(١٠) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(١١) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(١٢) القاتم: الأغبر يعلوه السواد، وتطلق مجازاً على الأمر الشديد.

(١٣) اقتحف: من القحف، والاقتحاف هو شدة الشرب.

(١٤) يقال: قحم في الأمر: رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية. وقُحَم الطريق: مصاعبه.

(١٥) المرأة القَدِعة: المرأة القليلة الكلام الحية. والتقادع: التابع في الشيء، والتهافت.

دخلتُ لفلانٍ قريعة^(١) بيت، وهو يَبْهَرُ القرينة إذا جاذبته، وهم على قرو واحد أي طريقة، وهؤلاء قَرَابِينُ الملك، وهو قَشَعٌ إذا لم يثبت على أمر، وقشبه بقبيح: لطحه وصبي قَصِعَ لا يكادُ يشبُّ، وأقلت مَقَاصِرُ الظلام، وقطعَ الفرسُ الخيلَ تقطيعاً إذا خَلَفَهَا، وليس أَعَسَ لا يكاد يبرح، وهو منزل قفر.

وهذه كلمات من فُرْحة^(٢) واحدة، فكيف إذا جال الطرف في سائر الحروف مجاله؟ ولو تفصينا ذلك لجاوزنا الغرض ولما حوته أجلاذ وأجلاذ.

باب القول في لغة العرب

وهل يجوز أن يُحاط بها؟

قال بعض الفقهاء: «كلام العرب لا يحيط به إلا نبي».

وهذا كلامٌ حَرِيٌّ أن يكون صحيحاً. وما بلغنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها. فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله: «هذا آخر كلام العرب». فقد كان الخليل أروع وأتقى لله جلّ ثناؤه من أن يقول ذلك.

ولقد سمعت عليّ بن مهزُوبٍ يقول: سمعت هارون بن هزاري يقول: سمعت سُفيان بن عُيينة^(٣) يقول: «من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ خلق من الذهب والمِسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد». وأخبرني أبو داود سليمان بن يزيد عن ذلك المصاحفي عن النضر بن شميل^(٤) قال: «كنا نُميلُ بين ابن عون^(٥) والخليل بن أحمد أيهما تقدّم في الرُّهد والعبادة، فلا ندري أيهما تقدم». قال: وسمعت النضر بن شميل يقول: «ما رأيتُ أعلمَ بالسُّنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد» قال: وسمعت النضر يقول: «أكلت الدنيا بأدب الخليل وكتبه وهو في خُصِّ لا يُشعر به».

(١) القريعة: سقف البيت.

(٢) الفُرْحة في وجه الفرس: دون الغرة. وفُرْحة الشتاء: أوله.

(٣) أبو محمد، محدث الحرم المكي، كان حافظاً ثقة واسع العلم، مات سنة ١٩٨ هـ.

(٤) أبو الحسن، عالم بالحديث، وبأيام العرب واللغة، توفي بمرور سنة ٢٠٣ هـ.

(٥) ابن عون: هو أحمد بن عون الله بن حدير بن يحيى القرطبي البزاز، أبو جعفر، محدث رَحال، مات

قلنا فهذا مكان الخليل من الدين، أفتراه يُقدِّم على أن يقول: «هذا آخر كلام العرب»؟.

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الإخلال ما لا خفاء به على علماء اللغة، ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه.

باب القول في اختلاف لغات العرب

اختلاف لغات العرب من وجوه:

أحدها: الاختلاف في الحركات كقولنا: «نستعين» و «نستعين» بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون.

والوجه الآخر: الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم: «معكم» و «معكم». أنشد الفراء:

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ وَرَزَقَ اللَّهُ مُؤْتَابٌ وَغَادٍ^(١)

ووجه آخر: وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو: «أولئك» و «أَلِلكَ». أنشد الفراء:

أَلِلكَ قومي لم يكونوا أشابَةً وهل يعِظُ الضَّلِيلَ إِلَّا أَلِلكا؟^(٢)

ومنها قولهم: «أَنَّ زيدا» و «عَنَّ زيدا».

ومن ذلك: الاختلاف في الهمز والتلحين نحو: «مستهزؤون» و «مستهزؤون».

ومنه: الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: «صاعقة» و «صاقعة».

ومنها: الاختلاف في الحذف والإثبات نحو: «استحييت» و «استحييت»، و «صددت» و «أصددت».

ومنها: الاختلاف في الحرف الصحيح يبدلُ حرفاً معتلاً نحو: «أما زيد»،

(١) الخصائص: ٣٠٦/١، ٣١٧/٢ دون عزو.

(٢) البيت للأعشى كما في شرح المفصل: ٦/١٠. ولأخي الكلجة كما في خزنة الأدب: ٣٩٤/١. وفي نوادر أبي زيد: ١٥٤، وسر صناعة الإعراب: ٣٢٢/١.

و «أيما زيد» .

ومنها: الاختلاف في الإمالة والتفخيم في مثل: «قضى» و «رمى»، فبعضهم يفتحهم وبعضهم يُمِيل .

ومنها: الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم، فيقولون: «اشترَوْا الضلالة»، و «اشترَوِ الضلالة» .

ومنها: الاختلاف في التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول: «هذه البقر» ومنهم من يقول: «هذا البقر» و «هذه النخيل» و «هذا النخيل» .

ومنها: الاختلاف في الإدغام نحو «مهتدون» و «مُهَدُّون» .

ومنها: الاختلاف في الإعراب نحو «ما زيدٌ قائماً» و «ما زيدٌ قائمٌ» و «إن هذين» و «إن هذان» وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب، يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك، وينشدون:

تزوّدَ مِثًّا بينَ أذناه ضربَةً دَعَتْهُ إلى هابي الترابِ عقيم^(١)

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإعراب يقتضي أن يقال: «إن هذان» قال: وذلك أن «هذا» اسم منهوك، ونُهْكَهُ أنه على حرفين أحدهما حرف علة وهي الألف، و «ها» كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء، فلما تُني احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إلى حذف أحدها، فقالوا: إن حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد، وإن أسقطنا أَلْفَ التثنية كان في النون منها عوض ودلالة على معنى التثنية، فحذفوا أَلْفَ التثنية .

فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا إلى إعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها؛ لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها على حالها في النصب والخفض .

قال: ومما يدلّ على هذا المذهب قوله جلّ ثناؤه: ﴿فذاذك برهاتان من ربك﴾^(٢) لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذف النون لذهب معنى التثنية

(١) لسان العرب: (صرع) ونسبه لهوهر الحارثي . وفي خزنة الأدب: ٤٥٣/٧، شروح شذور الذهب:

٦١ . والهابي: تراب القبر .

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٢ .

أصلاً، لأنه لم تكن للتثنية ها هنا علامة إلاّ النون وحدها، فإذا حُذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية.

ومنها: الاختلاف في صورة الجمع نحو «أسرى» و «أسارى».

ومنها: الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو «يأمرُكم» و «يأمرُكم» و «عُفِيَّ له» و «عُفِيَّ له».

ومنها: الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل «هذه أُمَّة» و «هذه أُمَّتٌ».

ومنها: الاختلاف في الزيادة نحو «أَنْظُرُ» و «أَنْظُورُ». أنشد الفراء^(١):

الله يعلمُ أَنَا في تَلْفُنَا يومَ الفراقِ - إلى جيراننا - صُورُ
وأَنِّي حيثَ ما يَثْنِي الهوى بَصْرِي - من حيثَ ما سلكوا - أدنوا فأنظورُ

وكلّ هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، لكن هذا موضع اختصار، وهي - وإن كانت لقوم دون قوم - فإنها لما انتشرت تَعَاوَرَهَا كُلٌّ.

ومن الاختلاف: اختلاف التضادّ، وذلك قول حَمِيرٍ للقائم: «ثب»، أي اقعد.

فحدثنا علي بن إبراهيم القطّان عن المفسر عن القتيبي عن إبراهيم بن مسلم عن الزبير عن ظمياء بنت عبد العزيز بن مَوَالَة قالت: حدثني أبي عن جدّي مَوَالَة أن عامر بن الطُفَيْل^(٢) قدم على رسول الله ﷺ فَوَثَبَهُ وِسَادَةً، يريد فرشه إياه وأجلسه عليها.

والوِثَاب: الفراش بلغة حَمِيرٍ. قال: وهم يسمّون الملك إذا كان لا يغزو «موثبان» يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو، ويقولون للرجل «ثب» أي اجلس.

وروي أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حَمِيرٍ فألقاه في مُتَصَيِّدٍ له على جبل مُشْرِفٍ، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك: «ثب»، أي: اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال: «لتجدني أيّها الملك

(١) لسان العرب مادة (صور) و(شرى)، والمخصص: ١٢/١٠٣، البيت الأول فقط، وفي الخصائص: ٤٢/١ بلا عزو، وبهامشه للحارث بن هشام.

(٢) شاعر وفارس جاهلي، مات ولم يسلم.

مطواعاً» ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروه قصته وغلطه في الكلمة، فقال: «أما إنه ليست عندنا عربية: من دخل ظَفَاراً^(١) حَمَرًا وظفار المدينة التي كان بها، وإليها ينسب الجَزَعُ الظفاري. أراد: من دخل ظفار فليتعلم الحميرية.

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بَقَرَوَيْنَ، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخُشَكِي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبيد الله قال:

أَجَمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّوَاةُ لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومَحَالِّهِمْ أَنْ قُرَيْشاً أَفْصَحُ الْعَرَبِ أَلْسِنَةً وَأَصْفَاهُمْ لُغَةً. وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبيَّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدًا ﷺ. فجعل قُرَيْشاً قُطَانَ^(٢) حَرَمِهِ، وجيران بيته الحرام، ووَلَاتَهُ. فكانت وفود العرب من حُجَاجِهَا وَغَيْرِهِمْ يَفْدُونَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مَنَاسِكَهُمْ وَتَحَكُّمُ بَيْنِهِمْ.

ولم تزل العرب تَعْرِفُ لقريش فضلها عليهم وتسميها «أهلَ الله» لأنهم الصَّرِيحُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ تُشَبَّهُمْ شَائِبَةً، وَلَمْ تَنْقَلِبْ عَنْ مَنَاسِبِهِمْ نَاقِلَةً، فَضِيلَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ وَتَشْرِيفًا. إِذْ جَعَلَهُمْ رَهْطَ نَبِيِّهِ الْأَذْنَيْنِ، وَعَثْرَتَهُ^(٣) الصَّالِحِينَ.

وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تَخَيَّرُوا مِنْ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ أَحْسَنَ لُغَاتِهِمْ وَأَصْفَى كَلَامِهِمْ. فاجتمع ما تَخَيَّرُوا مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ إِلَى نَحَائِزِهِمْ^(٤) وَسَلَاتِقِهِمْ^(٥) الَّتِي طُبِعُوا عَلَيْهَا. فَصَارُوا بِذَلِكَ أَفْصَحَ الْعَرَبِ.

(١) ظَفَار: موضع باليمن قرب صنعاء.

(٢) قُطَانَ: جمع قاطن أي الذي يقيم بالمكان.

(٣) الْعَثْرَةُ: نسل الرجل ورهطه، وعشيرته الأذنون ممن مضى وغبر.

(٤) نَحَائِزُ: جمع نحيزة، وهي الطبيعة.

(٥) سَلَاقِقُ: جمع سليقة وهي الطبيعة.

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عَنَعَنَة تَمِيم، ولا عَجْرَفِيَّة قَيْس، ولا كَشْكَشَة أسد، ولا كَسْكَسَة رَبِيعَة، ولا الكَسْر الذي تسمعه من أسد وقَيْس مثل: «تَعْلَمون» و «نَعْلَم» ومثل «شَعِير» و «بَعِير»؟.

باب اللغات المذمومة

أما العَنَعَنَة التي تُذكر عن تَمِيم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً. يقولون: «سمعتُ عَنَّ فلاناً قال كذا» يريدون «أَنَّ».

وَرُوي في حديث قَيْلَة: «تَحسب عَنِّي نَائِمَة» قال أبو عُبَيْد: أَرَادَت تَحسب أني، وهذه لُغَة تَمِيم. قال ذو الرَّمَة^(١):

أَعَن تَرَسَمَت من خَرَقَاء مَنوَلَة ماء الصَّبَابَة من عَيْنِكَ مَسْجُومٌ؟

أراد «أَنَّ»، فجعل مكان الهمزة عيناً.

وأما الكَشْكَشَة التي في أسد فقال قوم: إنهم يدلون الكاف شيئاً فيقولون: «عَلَيْشَ» بمعنى «عليك». ويُشَدون^(٢):

فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا، وَجِيدُشَ جِيدُهَا وَلَوُئُشَ - إِلَّا أَنهَا غَيْرُ عَاطِلٍ

وقال آخرون: يَصِلون بالكاف شيئاً، فيقولون: «عَلَيْكش».

وكذلك الكَسْكَسَة التي في رَبِيعَة إنما هي أن يَصِلوا بالكاف شيئاً، فيقولون: «عَلَيْكس».

وحدثني عَلِيُّ بن أحمد الصَّبَّاحِيُّ، قال سمعت ابن دُرَيْد^(٣) يقول: حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطرُّوا إليها حوَّلوا عند التكلُّم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها.

فمن تلك الحروفِ الحرفُ الذي بين الباء والفاء. مثل «بور» إذا اضطرُّوا فقالوا: «فور».

(١) ديوانه: ٢٥٤. وفيه: خرقاء منزلة.

(٢) البيت للمجنون، ديوانه: ٤٥ وفيه:

فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا سَوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقَ مِنْكَ دَقِيقَ

(٣) هو أبو بكر أحمد بن دريد الأزدي، لغوي نحوي راوية، مات سنة ٣٢١ هـ.

ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم - وهي لغة سائرة في اليمن - مثل: «جَمَل» إذا اضطَرُّوا قالوا: «كَمَل».

قال: والحرف الذي بين الشين والجيم والياء: في المذكر «غَلَامِج» وفي المؤنث «غَلَامِش».

فأما بَنُو تميم فإنهم يُلحقون القاف باللهاة حتى تَغْلظ جداً فيقولون: «القوم» فيكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم. قال الشاعر^(١):

ولا أَكُولُ لِكَدْرِ الكَوْمِ: قد نضجت ولا أَكُولُ لِبابِ الدَّارِ: مَكْفُولٌ

وكذلك الياء تجعل جيماً في النَّسَبِ. يقولون: «غَلَامِج» أي «غلامي».

وكذلك الياء المشددة تحوّل جيماً في النَّسَبِ. يقولون: «بَصْرِج» و«كُوفِج» قال الرَّاجِز^(٢):

خالي عَوْيْفٌ، وأبو عَلِجٍ الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بالعَشِجِ
وبالغَدَاةِ فَلَقَ البَرْنِجِ

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها. كالكاف التي تحوّل شيئاً.

قلنا: أما الذي ذكره ابن دُرَيْدٍ في «بور» و«فور» فصحيح. وذلك أن بور ليس من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه أن يُصَيِّرَهُ فاءً. وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء. وأيُّ ضرورة بالفائل إلى أن يقلب الكاف شيئاً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة؟ ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات.

وأما من زعم أن ولدَ إسماعيل عليه السلام يُعَيِّرُونَ وَلَدَ قَحْطَانَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عرباً، ويحتجّون عليهم بأنَّ لسانَهُم الحِمِيرِيَّةُ وَأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ اللَّحِيَةَ بغير اسمها - مع

(١) هو أبو الأسود الدؤلي، ديوانه: ٣٥٣ برواية:

ولا أَقول لِدِرِّ القومِ قد غليت ولا أَقول لِبابِ الدارِ مغلوقٌ

(٢) لسان العرب مادة (عجج) و(شجر)، وفي أوضح المسالك: ٣٧٢/٤، وشروح شافية ابن الحاجب: ٢٨٧/٢. والشاهد في قوله: عِلْجَ والمقصود (علي)، وقوله: بالعشج المقصود: (بالعشي)، والبرنج أي البرني.

قول الله جلّ ثناؤه في قصة من قال: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي - وأنهم يُسمون الذّيب «القلوب» - مع قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾^(١) - ويسمون الأصابع «الشّاتر» - وقد قال الله جلّ ثناؤه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٢) وأنهم يسمون الصّديق «الخلم» والله جلّ ثناؤه يقول: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وما أشبه هذا. فليس اختلاف اللّغات قادحاً في الأنساب.

ونحن - وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات - فلسنا ننكر أن يكون لكلّ قوم لغة، مع أن قحطان تذكر أنهم العرب العاربة، وأن من سواهم العرب المتعرّبة، وأن إسماعيل عليه السلام بلسانهم نطق، ومن لغتهم أخذ، وإنّما كانت لغة أبيه ﷺ العبرية وليس ذا موضوع مفاخرة فنستقصي.

ومما يفسد الكلام ويعيبه الخزم ولا نريد به الخزم المستعمل في الشعر، وإنما نريد قول القائل^(٣):

ولئن قومٌ أصابوا غرّةً وأصبنا من زمان رققا
للقد كُنّا لدى أزماننا لشريجين لباسٍ وثقى

فزاد لأمّا على «لقد» وهو قبيح جداً.

ويزعم ناسٌ أن هذا تأكيد كقول الآخر^(٤):

فلا والله لا يُلْفَى لِمَا بي ولا لِلِمَا بهم أبداً دواءُ

فزاد لأمّا على «لما» وهذا أقبح من الأول. فأما التأكيد فإن هذا لا يزيد الكلام قوّة، بل يقبّحه. ومثله قول الآخر^(٥):

وصالياتٍ ككَمَا يوثّقين

شوكل ذا من أغاليطٍ من يغلط، والعرب لا تعرفه.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٣) البيت الثاني في خزنة الأدب: ٢٥٨/٩، ٣٣٠/١١، ولسان العرب مادة (لقد) دون نسبة.

(٤) البيت في خزنة الأدب: ٣٠٨/٢، ٣١٢، ١٥٧/٥، ٥٢٨/٩، ٥٣٤، ونسبته لمسلم بن معبد الوالبي، وفي الإنصاف: ٥٧١/٢.

(٥) مقييس اللغة مادة (أثف) وبهامشه أنه للخظام المجاشعي.

باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدّثنا أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القطّان قال: حدّثنا عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد عن شيخ له أنه سمع الكلبيّ يحدث عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات، منها خمسٌ بلغة العَجْزِ من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهي خمس قبائل أو أربع، منها سعدُ بن بكر، وجشمُ بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف.

قال أبو عبيد: وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر لقول رسول الله ﷺ: «أنا أفصح العرب ميّد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر»^(١) وكان مُستَرَضِعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسُفلى تميم.

وعن عبدالله بن مسعود أنه كان يَسْتَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مُضَر.

وقال عمر: لا يُمْلِئَنَّ في مَصَاحِفِنَا إِلَّا غُلَمَانُ قَرِيْشٍ وَثَقِيفٍ.

وقال عثمان: اجعلوا المُمْلِيَّ من هُدَيْلٍ وَالكَاتِبَ من ثَقِيفٍ.

قال أبو عبيد: فهذا ما جاء في لغات مُضَرٍ وقد جاءت لغات لأهل اليَمَن في القرآن معروفةً. منها قوله جلّ ثناؤه: ﴿مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾^(٢) فحدّثنا أبو الحسن علي بن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد، قال: حدّثنا هُشَيْمٌ أخبرنا منصور عن الحسن قال: «كُنَّا» يقال إنها بالحِشْيَةِ. وقوله «هَيْتَ لَكَ» يقال إنها بالْحَوْرَانِيَّةِ. قال: فهذا قول أهل العلم من الفُقهَاءِ.

قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء وأنه كلّهُ

(١) غريب الحديث: ٩٦/١، والنهاية في غريب الحديث: ١٧١/١. وميد: بمعنى غير وهي لغة في ييد.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣١.

بلسانٍ عربيّ، يتأولون قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

قال أبو عبيد: والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك أنّ هذه الحروف وأصولها عجمية - كما قال الفقهاء - إلّا أنّها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربيّة فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق.

قال: وإنما فسّرنا هذا لثلاثي يُقدّم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهّم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جلّ ثناؤه بغير ما أراد الله جلّ وعزّ، وهم كانوا أعلمم بالتأويل وأشدّ تعظيماً للقرآن.

قال أحمد بن فارس: ليس كل من خالف قائلًا في مقالته فقد نسبه إلى الجهل. وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل أي من القرآن فخالف بعضهم بعضاً، ثم خلف من بعدهم من خلف، فأخذ بعضهم بقولٍ وأخذ بعض بقول، حسب اجتهادهم وما دلّتهم الدلالة عليه. فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره.

فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيد، فقد أعظم وأكبر؟

قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير. وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لتوهّم متوهّم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه.

وإذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير مُعجزة. وإنما أمر الله جلّ ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللّفظ العربيّ أولى بجواز الصلّاة بها، وهذا لا يقوله أحد.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

باب القول في مأخذ اللغة

تؤخذ اللغةُ اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات .

وتؤخذ تلقُّناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويَتَّقَى المظنون .

فحدثنا عليُّ بن إبراهيم عن المَعْدَانِيّ عن أبيه عن معروف بن حسان عن اللَّيْث عن الخليل قال: إنَّ النَّحَارِيرَ ^(١) رُبَّمَا أَدخَلُوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللَّبْسِ والتَّعْنِيتِ ^(٢) .

قلنا: فَلْيَتَحَرَّ أَخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة. فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا. والله جل ثناؤه نستهدي التوفيق، وإليه نرغب في إرشادنا لسُبُل الصدق، إنه خير موفق ومعين .

باب القول في الاحتجاج باللغة العربية

لغة العرب يُحتج بها فيما اختلفَ فيه، إذا كان أيامَ أَقْرَائِكَ . قال أبو بكر: ومن العظيم أنَّ علياً وعمرَ رضي الله عنهما قد قالوا: «الْقَرْوُ: الْحَيْضُ» فهل يُجْتَرَأ على تجهيلهما باللغة؟ .

ومنها قوله في قوله جلّ ثناؤه: ﴿حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ ^(٣) أنه أراد الذكور دون الإناث . قال: وهذا من غريب ما يغلط فيه مثله. يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ^(٤) أَفْتَرَاهُ أَرَادَ الرَّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ؟ .

قال ابن داود: وإنَّ قَبِيحاً مُفْرَطَ الْقَبَاحَةِ بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لَحَنَ في مخاطبةِ العَامَّةِ بأن قال: «مُطَرْنَا الْبَارِحَةَ مَطْرًا أَيَّ مَطْرًا» أن يَرْضَى هُوَ لِنَفْسِهِ أن يتكلم بمثل هذا. لأن النَّاسَ لم يَزَالُوا يَلْحَنُونَ وَيَتَلَاخُنُونَ فيما يخاطب بعضهم

(١) النحارير: جمع التحرير: الحاذق الماهر.

(٢) التعنيت: المشقة والفساد والخطأ.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥.

بعضاً اتِّقَاءً للخروج عن عادة العامة فلا يَعِيبُ ذلك من يُنصِفهم من الخاصة، وإنَّما العيب على من غلِط من جهة اللغة فيما يغير به حكمَ الشريعة والله المستعان.

فلذلك قلنا: إنَّ علمَ اللغةِ كالواجب على أهل العلم، لئلاً يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء.

وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني. ألا ترى أن القائل إذا قال: «ما أحسن زيد» لم يُفرِّق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب. وكذلك إذا قال: «ضرب أخوك أخانا»، و«وجهُك وجهُ حرٍّ» و«وجهُك وجهُ حرٍّ»، وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه.

هذا وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعربوا القرآن». وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن^(١) فيما يكتبونه أو يقرأونه اجتنابهم بعضَ الذنوب. فأما الآن فقد تجاوزوا حتى إن المحدث يحدث فيلحن، والفقير يؤلف فيلحن. فإذا نُبها قالوا: ما ندري ما الإعراب وإنما نحن محدثون وفقهاء. فهما يسران بما يسأء به اللبيب.

ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من فقه الشافعي بالرتبة العليا في القياس، فقلت له: ما حقيقة القياس ومعناه، ومن أي شيء هو؟ فقال: ليس عليّ هذا وإنما علي إقامة الدليل على صحته.

فقل الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه، ولا يدري ما هو. ونعوذ بالله من سوء الاختيار.

باب القول على لغة العرب

هل لها قياس، وهل يُشتقُّ بعض الكلام من بعض؟

أجمع أهل اللغة - إلا من شدَّ عنهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجنِّ مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلُّان أبدأً على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجنه الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور، وأن الإنس من الظهور؛ يقولون: أنستُ

(١) اللحن: الخطأ في القراءة.

الشيء: أبصرته.

وعلى هذا سائرُ كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل.

قلنا: وهذا أيضاً مبنيٌّ على ما تقدم من قولنا في التوقيف. فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه. وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها. ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن.

باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها

وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير
وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله

ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل. قال: ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعراً كثيراً وكلام كثير.

وأحر بهذا القول أن يكون صحيحاً. لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان.

ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء «كذبك كذا» و«عما جاء في الحديث من قوله: «كذب عليكم الحجج» و«كذبك العسل». وعن قول القائل^(١):

كذبتُ عليكم أوعدوني وعللوا بي الأرض والأقوام قردان مؤظبا
وعن قول الآخر^(٢):

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي عبوقاً فاذهب

(١) مقاييس اللغة مادة (كذب) بلا عزو. ولسان العرب مادة (كذب) و (وظب) و (أرض) ونسبه إلى خدائش بن زهير. والقردان: جمع قرد: دوية. ومؤظب: موضع قرب مكة.

(٢) البيت لعنترة، في ديوانه: ٢٩. الغبوق: شراب المساء.

ونحن نعلم أن قوله: «كذب» يَبْعُدُ ظاهره عن باب الإغراء.

وكذلك قولهم: «عَنكَ في الأرض»، و «عَنكَ شيئاً» وقول الأَفْوه^(١):

عَنكُمْ في الأرض إِنَّا مَدْحِجٌ ورُويداً يفضح الليلَ النهارُ

ومن ذلك قولهم: «أَعْمَدُ من سيّد قتله قومُه؟» أي «هل زاد؟» فهذا من مشكل الكلام الذي لم يفسر بعد. قال ابن مِيّادة^(٢):

وأعمدُ من قومٍ كفاهم أخوهمُ صِدَامُ الأعادي حينَ فُلْتُ نُبوئُها؟

قال الخليل وغيره: «معناه هل زدنا على أن كفيْنَا؟» وقال أبو ذؤيب^(٣):

صَحْبُ الشواربِ لا يزالُ كِأَنَّهُ عبدُ لآلِ أبي ربيعةَ مُسَبَّعُ

فقوله «مُسَبَّعُ» ما فُسِّرَ حتى الآن تفسيراً شافياً. ومنه قول الأعشى^(٤):

ذاتُ عَرَبٍ ترمي المُقَدَّم بالرُذِّ فِ، إذا ما تتابع الأرواقُ

وقوله في هذه القصيدة^(٥):

المُهَيَّنِينَ ما لَهُم في زمانِ الـ جذب، حتى إذا أفاقَ أفاقوا

ومن هذا الباب قولهم: «يا عيد ما لَكَ»، و «يا هيءُ ما لَكَ»، و «يا شيء ما

لَكَ». ولم يفسر قولهم: «صه»، و «ويَهَكَ»، و «إنيّه»، ولا قول القائل^(٦):

بِخائِبِكَ أَلْحَقُ يَهْتَفُونَ وَحَيَّ هَلْ

ويقولون: «خائِبِكُما» و «خائِبِكُكم».

فأما (الزَجْرُ والدِّعاء) الذي لا يُفْهَم موضوعُه - فكثير. كقولهم: «حَيَّ هَلَا»،

و «بَعَيْنِ ما أَرَيْتُكَ»، في موضعِ أَعْجَل، و «هَجج»، و «هَججا»، و «دَعج»، و «دَععا»،

(١) الطرائف الأدبية: ١٣. والأفوه الأزدى هو صلاة بن عمرو، شاعر جاهلي حكيم.

(٢) ديوان ابن مقبل: ٧٩، وابن مقبل هو تميم بن أبي المتوفى سنة ٢٥ هـ، وفلّ: تلم. وفلّ القوم: هزهم. وفي مقاييس اللغة مادة (عمد)، ونسبه لابن ميّادة، وهو الرماح بن أبرد المتوفى سنة ١٤٩ هـ.

(٣) شرح أشعار الهذليين: ١٢٥. وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد المتوفى سنة ٢٧ هـ.

(٤) ديوانه: ١٢٤، وفيه: تدافع الأرواق.

(٥) ديوانه: ١٢٥، وفيه: في زمان السوء.

(٦) هو الكميّ بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ والبيت في ديوانه: ٩٨/٢.

و «لَعَا» للعائر يدعون له. وينشدون^(١):

وَمَطِيَّةٍ حَمَلْتُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ حَرَجٍ تُنْمَى مِلَّ عِثَارٍ بِدَعْدَعٍ

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقولوا: دَعْدَعٌ وَلَا لَعْلَعٌ، ولكن قولوا: اللهم ازْفَعْ وانْفَعْ». فلولا أن للكلمتين معنى مفهوماً عند القوم ما كَرِهَهُمَا النبي ﷺ.

وكقولهم في الزجر: «أخْرُ»، و «أخْرِي»، و «ها»، و «هَلا»، و «هاب»، و «ازْحَبِي»، و «عَدَّ»، و «عاج»، و «يا عايط»، و «يعايط»، وينشدون^(٢):

وَمَا كَانَ عَلَى الْجِيءِ وَلَا الْهِيءِ امْتِدَاحِيكَا

وكذلك: «إِجِدْ»، و «أَجِدِم»، و «حِدْجٌ» لا نعلم أحداً فسّر هذا. وهو باب يَكْتَرُ وَيُصَحِّحُ ما قلناه.

ومن المُشْتَبِه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال، وما هو بغريب اللفظ، لكن الوقوف على كُنْهه مُعْتَصِرٌ، قولنا: «الْحِينُ»، و «الزَّمان»، و «الدَّهر»، و «الأوان»، إذا قال القائل أو حلف الحالف: «والله لا كلمته حيناً ولا كلمته زماناً أو دهرأ».

وكذلك قولنا: «بِضْعِ سِنِينَ» مُشْتَبِه. وأكثر هذا مُشْكِلٌ لا يُقْصِرُ بشيء منه على حدٍّ معلوم.

ومن الباب قولهم في الغنى والفقر وفي الشريف والكريم والليليم، إذا قال: «هذا لأغنياء أهلي»، أو «فقرائهم»، أو «أشرفهم»، أو «كرامهم»، أو «لثامهم». وكذلك إن قال: «امنعوه سفهاء قومي» لم يمكن تحديد السّفه.

ولقد شاهدت منذ زمانٍ قريب قاضياً يريد حَجْراً على رجل مكْتَهَلٍ. فقلت: «ما السبب في حجره عليه؟» فقال: «يَزْعَمُ أَنَّهُ يَتَّصِدُّ بِالْكَلَابِ وَأَنَّهُ سَفِيهٌ» فقرىء

(١) هو الحادرة واسمه قُطْبَةُ بن أوس بن محصن، شاعر جاهلي، والبيت في ديوانه: ٦٢، وفي شرح اختيارات المفضل: ٢٣٤، وفيه:

وَمَطِيَّةٌ كَلَفَتْ رَحْلَ مَطِيَّةٍ حَرَجٍ يَتِمُّ مِنَ الْعِثَارِ بِدَعْدَعٍ

(٢) لسان العرب مادة (جأجأ) ونسبته إلى معاذ السهراء وهو أديب كوفي من المعمرين مات سنة

على القاضي قوله جلّ ثناؤه: ﴿وما عَلَّمْتُم من الجوارح مَكَلِّبِينَ تَعَلَّمُونَهُنَّ مما عَلَّمَكُم الله فكلوا ممّا أَمْسَكُنْ عَلَيْكُمْ﴾^(١) فَأَمْسَكَ القاضي عن الحجر على الكَهْلِ .

وكذلك إذا قال: مالي لِذَوِي الْحَسَبِ أو «امنعوه السَّفَلَةَ» وما أشبه هذا مما يطول الباب بذكره فلا وَجَهَ في شيء من هذا غير التقريب والاحتمال، وعلى اجتهاد الموصى إليه أو الحاكم فيه . وإلا فَإِنَّ تحديده حتى لا يجوز غيره بعيدٌ .

وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه، وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم نحن من قولنا^(٢): «عُبْسُور» في الناقة: و «عَيْسَجُور»، و «امرأة ضِنَانِي»، و «فرس أَشَقُّ أُمِّ قُحْبِقُ». ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا إلا الرسم الذي نراه .

وعلماء هذه الشريعة - وإن كانوا اقتصروا من علم هذا على معرفة رَسْمِهِ دون علم حقائقه - فقد اعتاضوا عنه دقيق الكلام في أصول الدين وفروعه من الفقه والفرائض . ومن دقيق النحو وجليله . ومن علم العروض الذي يربي بحسنه ودقته واستقامته على كل ما ييجح به الناسون أنفسهم إلى التي يقال لها: الفلسفة، ولكل زمان علم، وأشرف العلوم علم زماننا هذا والحمد لله .

باب انتهاء الخلاف في اللغات

تقع في الكلمة الواحدة لُغَتَانِ، كقولهم: «الصِّرام»، و «الصِّرام»، و «الحِصاد»، و «الحِصاد» .

وتقع في الكلمات ثلاث لُغَاتِ، نحو: «الزُّجاج»، و «الزُّجاج»، و «الزُّجاج»، و «وَشَكَانَ ذَا»، و «وَشَكَانَ ذَا»، و «وَشَكَانَ ذَا»^(٣) .

وتقع في الكلمة أربع لُغَاتِ، نحو: «الصُّدَاق»، و «الصُّدَاق»، و «الصُّدُوقَة»، و «الصُّدُوقَة» .

وتكون منها خمس لُغَاتِ، نحو: «السَّمَل»، و «السَّمَل»، و «السَّمَل»، و «السَّمَل»، و «السَّمَل» .

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

(٢) العُبْسُور والعُبْسُور والعُبْسُور: الناقة الشديدة السريعة . العَيْسَجُور: الناقة الصلبة، والسريعة . والأشَقُّ من الخيل: الطويل . ومثله أمق وخبق .

(٣) وشكان ما يكون: سرع .

وتكون فيها ست لغات: «قُسْطاس»، و«قِسْطاس»، و«قِسطاس»، و«قُسطاس»، و«قُسْطاس»، و«قُسْطاس»، و«قِسْطاس»، و«قِسْطاس»^(١).
ولا يكون أكثر من هذا.

* * *

والكلام بعد ذلك أربعة أبواب:

الباب الأوّل: المجمع عليه الذي لا علة فيه، وهو الأكثر والأعم. مثل: الحمد والشكر، لا اختلاف فيه في بناء ولا حركة.

والباب الثاني: ما فيه لغتان وأكثر إلّا أن إحدى اللغات أفصح. نحو: «بَعْدَاذ» و«بَعْدَاد» و«بَعْدَان» هي كلّها صحيحة، إلّا أن «بَعْدَاد» في كلام العرب أصحّ وأفصح.

والباب الثالث: ما فيه لغتان أو ثلاث أو أكثر، وهي متساوية، كـ «الحِصَاد» و«الحِصَاد». و«الصِّدَاق» و«الصِّدَاق»، فأياً ما قال القائل فصحيح فصيح.

والباب الرابع: ما فيه لغة واحدة، إلّا أن المؤلّدين غيّرُوا فصارت ألسنتهم بالخطأ جاريةً، نحو قولهم: «أَصْرَفَ اللهُ عَنْكَ كَذَا»، و«إِنْجَاص»، و«امرأة مُطَاعَةٌ»، و«عِرْقُ النِّسَاء» بكسر النون، وما أشبه ذا.

وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى أبو العباس ثعلب^(٢) كتابه المسمّى «فصيح الكلام» وأخبرنا به أبو الحسن القطّان عنه.

باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله

أما واضح الكلام فالذي يفهمه كلّ سامع عرف ظاهر كلام العرب، كقول القائل: شربت ماءً ولقيت زيدا.

وكما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه من قوله: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ

(١) القِسطاس: الميزان، وأقوم الموازين، أو هو ميزان العدل.

(٢) ثعلب: أبو العباس، أحمد بن يحيى لغوي نحوي كوفي، مات سنة ٢٩٢ هـ.

ولحم الخنزير»^(١)، وكقول النبي ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً»^(٢)، وكقول الشاعر:

إن يحسدوني فإنني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا^(٣)
وهذا أكثر الكلام وأعمه.

وأما المشكل فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة.

فأما المشكل لغرابة لفظه فقول القائل: «يَمْلَخُ في الباطل ملخاً يَنْقُضُ مَذْرُوبَهُ». وكما أنه قيل: «أَيْدَالُكَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةُ؟» قال: «نعم، إذا كان مُلْفَجاً» ومنه في كتاب الله جل ثناؤه: «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»^(٤)، «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ»^(٥)، «وَسَيِّدًا وَحَصُورًا»^(٦)، «وَيُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ»^(٧)، وغيره مما صَنَّفَ علماؤنا فيه كتب غريب القرآن.

ومنه في حديث النبي ﷺ: «على التَّيِّعَةِ شاةٌ، والتَّيِّمَةُ لصاحبها، وفي الشُّيُوبِ الْخُمْسُ لا خِلَاطَ ولا وِرَاطَ ولا شِنَاقَ ولا شِغَارَ، من أَجَبِي فَقَدِ أَرَبِي»^(٨) وهذا كتابه إلى الأقبال العباهلة^(٩). ومنه في شعر العرب^(١٠):

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٢) رواه مسلم: طهارة ٨٧، وأبو داوود: طهارة ٤٩٥، والترمذي: طهارة ١٩، وأحمد: ٢٤١/٢، ٢٨٩، ٤٥٥، ٤٧١، ٥٠٧.

(٣) ديوان الحماسة لأبي تمام: ١٢٣، دون عزو.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.

(٥) سورة الحج، الآية: ١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٨) حديث: «لا شِغَارَ في الإسلام» رواه النسائي: نكاح ٦٠، ومسلم: نكاح ٦٠، وابن ماجه: نكاح ١٦، أحمد: ٣٥/٢، ٩١، ٢١٥، ٢١٦، ٣/١٦٢، ١٦٥، ١٩٧، ٤/٤٢٩، ٤٠٣/٩، ٤٤١، ٤٤٣.

(٩) الأقبال: جمع القَيْل: الملك، أو دون الملك الأعلى، أو هو في حمير كالوزير في الإسلام. العباهلة: الأقبال المقرون على ملكهم فلم يُزلوا عنه.

(١٠) ديوان رؤبة بن العجاج: ١٠٤. وفي الأصل: وقاتم الأعماق شاز بمن عوه.

وقاتم الأعماق خاوي المخترق مَضْبُورَةٌ قَرَوَاءَ هِرْجَابٍ فُنُقُ
وفي أمثال العرب: «باقعة»^(١)، و «شراب بأنقع»^(٢)، و «مخرنبق لينباع»^(٣).
والذي أشكل لإيماء قائله إلى خبر لم يُفصح به كقول القائل: «لم أفرَّ يومَ
عَيْنَيْنِ»، و «رُويداً سَوَقَكَ بالقوارير»، وقول امرئ القيس:
دَعَّ عَنْكَ نَهَباً صَبِيحاً فِي حَجَرَاتِهِ^(٤)
وقول الآخر^(٥):

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ

وفي كتاب الله جل ثناؤه ما لا يعلم معناه إلا بمعرفة قصته، قوله جل ثناؤه:
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦) وفي أمثال العرب:
عَسَى الْغُوَيْرُ أَبُوَسَاءً^(٧).

والذي يشكل لأنه لا يُحَدِّثُ فِي نَفْسِ الْخَطَابِ، فكقوله جل ثناؤه: ﴿أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ﴾^(٨) فهذا مجمل غير مفصل حتى فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ. والذي أشكل لوجازة
لفظه قولهم^(٩):

الْغَمَرَاتِ تُمَّ يَنْجَلِينَا

والذي يأتيه الإشكال لاشتراك اللفظ قول القائل^(١٠): «وَضَعُوا اللَّجَّ عَلَى قَفِيَّ».

- (١) مجمع الأمثال: ٩٦/١. والباقة: الداهية.
- (٢) مجمع الأمثال: ٣٩٠/١، ويضرب لمن يعاود الأمر مرة بعد مرة.
- (٣) جمهرة الأمثال: ٢٢٥/٢. المخرنبق: اللاطيء. ينباع: ينبسط ويشب.
- (٤) ديوانه: ١٤٦، وشطره:
- (٥) هو الحارث بن وعلة، وانظر جمهرة الأمثال: ٣٢١/١. وصدر البيت:
وزعمت أننا لا حلوم لنا
- (٦) سورة البقرة، الآية: ٩٧.
- (٧) جمهرة الأمثال: ٤٥/٢.
- (٨) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.
- (٩) جمهرة الأمثال: ٧١/٢ بلا عزو. وفي ديوان الأغلب العجلي: ١٦٧. والمقاييس مادة (غمر) بلا
عزو.
- (١٠) الحديث لطلحة كما في أساس البلاغة - مادة (لجج). وأراد السيف شبهه باللج في كثرة مائه.

وعلى هذا الترتيب يكون الكلام كله في الكتاب والسنة وأشعار العرب وسائر الكلام.

باب ذكر ما اختلفت به العرب

من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعرابُ الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوع، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْرٌ من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد.

وذكر بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالأخبار، وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً. لأننا نقول: «أزيدُ عندك؟» و «أزيداً ضربت؟» فقد عمِلَ الإعراب وليس هو من باب الخبر.

وزعم ناس يُتوقف عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمّون الفلاسفة قد كان لهم إعرابٌ ومؤلفاتٌ نحو. قال أحمد بن فارس: وهذا كلام لا يُعرَّجُ على مثله. وإنما تشبّه القوم آنفاً بأهل الإسلام، فأخذوا من كتب علمائنا، وغيرُوا بعض ألفاظها، ونسبوا ذلك إلى قوم ذوي أسماء منكّرة بتراجمٍ بشعةٍ لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها، وأدعوا مع ذلك أن للقوم شعراً، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء، نزرّ الحلاوة، غير مستقيم الوزن.

بلى، الشعر شعر العرب، ديوانهم وحافظ مآثرهم، ومُقيّد أحسابهم، ثم للعرب العروض التي هي ميزان الشعر، وبها يُعرف صحيحه من سقيم.

ومن عرف دقائقه وأسراره وخفائيه علم أنه يُربي على جميع ما يبيحُ به هؤلاء الذين يتتخلون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والخطوط والنقط التي لا أعرف لها فائدة غير أنها مع قلة فائدتها تُرقّ الدين، وتنتج كل ما نعوذ بالله منه.

وللعرب حفظ الأنساب وما يُعلم أحدٌ من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب. قال الله جل ثناؤه: ﴿يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكْرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلٍ لتعارفوا﴾^(١) فهي آية ما عمِلَ بمضمونها غيرهم.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

ومما حَصَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ الْعَرَبَ طَهَارَتَهُمْ وَنَزَاهَتَهُمْ عَنِ الْأَدْنَسِ الَّتِي اسْتَبَاحَهَا غَيْرُهُمْ مِنْ مَخَالَطَةِ ذَوَاتِ الْمُحَارِمِ. وَهِيَ مُنْقَبَةٌ تَعْلُو بِجَمَالِهَا كُلَّ مَأْثَرَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

باب الأسباب الإسلامية

كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَنِسَائِكِهِمْ^(١) وَقَرَابِينِهِمْ. فَلَمَّا جَاءَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْإِسْلَامِ حَالَتْ أَحْوَالٌ، وَنَسِخَتْ دِيَانَاتٌ، وَأَبْطَلَتْ أُمُورٌ، وَنَقِلَتْ مِنَ اللَّغَةِ أَلْفَاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَى مَوَاضِعَ أُخَرَ بِزِيَادَاتٍ زِيدَتْ، وَشُرَائِعَ شُرِعَتْ، وَشُرَائِطُ شُرِطَتْ. فَعَفَى الْآخِرُ الْأَوَّلَ، وَشُغِلَ الْقَوْمُ - بَعْدَ الْمُغَاوَرَاتِ وَالتَّجَارَاتِ، وَتَطَلَّبَ الْأَرْبَاحَ وَالكَدْحَ لِلْمَعَاشِ، فِي حَلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَبَعْدَ الْإِغْرَامِ بِالصَّيْدِ وَالمُعَاقَرَةِ وَالمِيَاسِرَةِ^(٢) - بِتَلَاوَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَبِالتَّقَفُّهِ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحِفْظِ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

فَصَارَ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَنَشَأُوا عَلَيْهِ كَأَن لَمْ يَكُنْ وَحْتَى تَكَلَّمُوا فِي دَقَائِقِ الْفِقْهِ وَغَوَامِضِ أَبْوَابِ الْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَتَأْوِيلِ الْوَحْيِ بِمَا دُونَ وَحِفْظِ حَتَّى الْآنِ.

فَصَارُوا - بَعْدَمَا ذَكَرْنَاهُ - إِلَى أَنْ يُسْأَلَ إِمَامٌ مِنَ الْأُمَّةِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مَنْبَرِهِ عَنْ فَرِيضَةٍ فَيَقْتِي وَيَحْسُبُ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ. وَذَلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ صَلَوَاتِ اللهُ عَلَيْهِ حِينَ سُئِلَ عَنْ ابْتَيْنِ وَأَبْوَيْنِ وَامْرَأَةٍ: «صَارَ تُمْنُهَا تُسْعَاءً» فَسَمِيَتْ «الْمَنْبَرِيَّةَ». وَإِلَى أَنْ يَقُولَ هُوَ صَلَوَاتِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَى مَنْبَرِهِ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ مُتَوَافِرُونَ: «سَلُونِي، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَلْبَلِيلَ نَزَلَتْ أَمَ بِنَهَارٍ، أَمَ فِي سَهْلٍ أَمَ فِي جَبَلٍ» وَحَتَّى قَالَ صَلَوَاتِ اللهُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَى ابْنِيهِ: «يَا قَوْمَ، اسْتَنْبَطُوا مِنِّي وَمَنْ هَذِينَ عِلْمَ مَا مَضَى وَمَا يَكُونُ».

(١) النسائك: جمع النسيكة: الذبيحة.

(٢) المعاقرة: المفخرة بالإبل. والمياسرة: لعب الميسر.

وإلى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده، كالمشتركة، ومسألة المباهلة^(١) والغزاء، وأمّ القروخ، وأمّ الأرامل، ومسألة الامتحان، ومسألة ابن مسعود، والأكدرية، ومختصرة زيد، والخرقاء، وغيرها مما هو أغمض وأدقّ..

فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه، عمّا ألفوه ونشأوا عليه وغدوا به، إلى مثل هذا الذي ذكرناه. وكلّ ذلك دليل على حقّ الإيمان وصحة نبوة نبيّنا محمد ﷺ.

فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأنّ العرب إنّما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسمٌ جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق اليربوع^(٢). ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه.

ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدُّعاء. وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة، فقالوا^(٣):

أَوْ ذُرَّةَ صَدْفِيَّةٍ، غَوَّاصُهَا بِهِجٍ، مَتَى يَرَهَا يُهْلَ وَيَسْجُدِ
وقال الأعشى^(٤):

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا سَجُودًا، وَطَوْرًا جُؤَارًا

والذي عرفوه منه أيضاً ما أخبرنا به عليّ بن عليّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: قال أبو عمرو: «أسجد الرجل: طأطأ وأنحنى» قال حميد بن

(١) المباهلة: الملاعة.

(٢) النفاق: إحدى جحرة اليربوع يكتبها ويظهر غيرها.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ١٤٦.

(٤) ديوانه: ٧٦. والجوار: رفع الصوت بالدعاء.

ثور^(١):

فضول أزمتهما أسجدت سجودَ النصارى لأربابها^(٢)
وأنشد^(٣):

فقلن له: أسجد ليلى، فأسجداً

يعني البعير إذا طأطأ رأسه لتركبه.

وهذا وإن كان كذا، فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد، والمواقيت، والتحریم للصلاة، والتحلل منها. وكذلك القيام أصله عندهم الإمساك ويقول شاعرهم^(٤):

خيلٌ صيامٌ، وأخرى غير صائمةٍ تحت العجاج، وخيلٌ تعلق اللجما

ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والمباشرة وغير ذلك من شرائع الصوم. وكذلك الحج، لم يكن عندهم فيه غير القصد، وسبر الجراح. من ذلك قولهم^(٥):

وأشهد من عوفٍ حلولاً كثيرةً يحجون سبب الزبرقان المزعفرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره.

وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره.

وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه.

فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغويٌّ وشرعيٌّ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به. وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم، كالنحو والعروض والشعر، كل ذلك له اسمان لغويٌّ وصناعيٌّ.

(١) ديوانه: ٩٦.

(٢) في الديوان: سجود النصارى لأحبارها.

(٣) مجمل اللغة مادة (سجد) دون عزو.

(٤) البيت للناطقة الذبياني كما في ديوانه: ٢١٧. والعجاج: الغبار والدخان.

(٥) البيت للمخبل السعدي كما في المجمل مادة (حج).

باب القول في حقيقة الكلام

زعم قوم أن «الكلام ما سُمع وفُهم» وذلك قولنا: «قام زيد» و«ذهب عمرو».

وقال قوم: «الكلام حروف مؤلَّفة دالة على معنى».

والقولان عندنا مُتقاربان، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلَّفة تدل على معنى.

وقال لي بعض فقهاء بغداد: إن الكلام على ضربين مهمَل ومستعمل. قال: فالمهمَل: «هو الذي لم يوضع للفائدة»، والمستعمل: «ما وضع ليفيد» فأعلمته أن هذا كلام غير صحيح، وذلك أن المهمَل على ضربين: ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بئس، وذلك كجيم تؤلَّف مع كاف أو كاف تقدَّم على جيم، وكعين مع غين، أو حاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبهه لا يأتلف.

والضرب الآخر ما يجوز تألَّف حروفه لكن العرب لم تقُل عليه، وذلك كإرادة مريد أن يقول: «عضخ» فهذا يجوز تألُّفه وليس بالنافر، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة: «خضع» لكن العرب لم تقُل عضخ، فهذان ضربا المهمَل.

وله ضرب ثالث وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الدَّلَق أو الإطباق^(١) حرف.

وأى هذه الثلاثة كان فإنه لا يجوز أن يسمى: «كلاماً» لما ذكرناه من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد. وأهل اللغة لم يذكروا المهمَل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقُل عليها العرب. فقد صح ما قلناه من خطأ من زعم أن المهمَل كلام.

(١) يقال: دَلَقَ اللسان، أي ذَرَب، فهو ذَلِيق أي حديد بليغ، والحروف الدَّلَق: حروف طرف اللسان، ثلاثة ذوقية اللام والراء والنون، وثلاثة شفوية الباء والفاء والميم. وحروف الإطباق: الصاد والضاد والطاء والظاء.

باب أقسام الكلام

أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة: اسم وفعل حرف.

فأما الاسم فقال سيبويه^(١): «الاسم نحو رجل و فرس»، وهذا عندنا تمثيل، وما أراد سيبويه به التحديد، إلا أن ناساً حكوا عنه أن «الاسم هو المحذث عنه» وهذا شبيه بالقول الأول لأن «كيف» اسم ولا يجوز أن يحدّث عنه.

وسمعت أبا عبدالله بن محمد بن داود الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد^(٢) يقول: مذهب سيبويه أن «الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً» قال: وذلك أن سيبويه قال: «ألا ترى أنك لو قلت: إن يضرب يأتينا، وأشباه ذلك لم يكن كلاماً، كما تقول إن ضاربك يأتينا»، قال: فدل هذا على أن الاسم عنده ما صلح له الفعل.

قال: وعارضه بعض أصحابه في هذا بأن «كيف» و «عند» و «حيث» و «أين» أسماء وهي لا تصلح أن تكون فاعلة. والدليل على أن «أين وكيف» أسماء قول سيبويه: «الفتح في الأسماء قولهم: كيف وأين» فهذا قول سيبويه والبحث عنه.

وقال الكسائي^(٣): «الاسم ما وُصِفَ» وهذا أيضاً مُعارض بما قلناه من «كيف وأين» أنهما اسمان ولا يُنعتان.

وكان الفراء^(٤) يقول: «الاسم ما احتمل التنوين، أو الإضافة، أو الألف واللام» وهذا القول أيضاً مُعارض بالذي ذكرناه أو نذكره من الأسماء التي لا تنون ولا تصاف ولا يُضاف إليها ولا يدخلها الألف واللام.

وكان الأخفش^(٥) يقول: «إذا وجدت شيئاً يحسن له الفعل والصفة نحو: زيد

(١) سيبويه: هو عمرو بن بشر بن قنبر، إمام اللغة والنحو، مات سنة ١٥٤ هـ.

(٢) المبرّد: من علماء البصرة في اللغة والنحو، مات سنة ٢٨٦ هـ.

(٣) الكسائي: علي بن حمزة، إمام في اللغة والنحو والقراءات من أهل الكوفة، مات سنة ١٨٩ هـ.

(٤) الفراء: يحيى بن زياد الديلمي أعلم الكوفيين في النحو واللغة والأدب، مات سنة ٢١٧ هـ.

(٥) هو سعيد بن مسعدة، النحوي اللغوي البصري، مات سنة ٢١٥ هـ.

قام، وزيد قائم، ثم وجدته يثنى ويُجمع نحو قولك: الزيدان والزيدون، ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم». وقال أيضاً: ما حَسُنَ فيه «ينفعني» و «يضرُّني».

وقال قوم: ما دخل عليه حرف من حروف الخفض، وهذا قول هشام وغيره. وله قول آخر: إن الاسم ما نودي. وكلّ ذلك مُعارض بما ذكرناه من «كيف وأين» ومن قولنا: «إذا» وإذا اسم لِحِين. فحدثني علي بن إبراهيم القطان قال: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد يقول: حدّثني أبو عثمان المازني قال: سألت الأَخْفَشَ عن «إذا»، ما الدليل على أنها اسم لِحِين؟ فلم يأت بشيء. قال: وسُئِلَ الجَرَمِيُّ فَشَغَبَ. وسُئِلَ الرِّياشِيُّ فَجَوَّدَ وقال: الدليل على أنها اسم لِحِين أنه يكون ضميراً، ألا ترى أنك تقول: «القتال إذا يقوم زيد» كما تقول: «القتالُ يومَ يقوم زيد؟» وقد أوما الفراء في معنى «إذا» إلى هذا المعنى.

وعاد القول بنا إلى تحديد الاسم. فقال المبرّد في كتاب المُقْتَضَب: كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم، فإن امتنع من ذلك فليس باسم. وهذا معارض أيضاً «بكيف وإذا» وهما اسمان لا يدخل عليهما شيء من حروف الجر.

وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير وأبا محمد سلّم بن الحسن يقولان: سُئِلَ الزَّجَاجُ^(١) عن حد الاسم فقال: صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غير دال على زمان ولا مكان. وهذا القول معارض بالحرف وذلك أنا نقول: «هل» و «بل»، وهو صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غير دال على زمان ولا مكان.

وقول من قال: «الاسم ما صَلَحَ أن ينادى» خطأ أيضاً لأن «كيف» اسم و «أين وإذا»، ولا يَصْلُحُ أن يقع عليها نداء.

قال أحمد بن فارس: هذه مقالات القوم في حد الاسم يُعارضها ما قد ذكرته. وما أعلم شيئاً مما ذكرته سلم من معارضة. والله أعلم أيّ ذلك أصحّ. وذكّر لي عن بعض أهل العربية أن «الاسم ما كان مُسْتَقَرّاً على المسمى وقت ذكرك إيّاه ولازماً له» وهذا قريب.

(١) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، عالم بالعربية والنحو، مات ببغداد سنة

باب الفعل

قال الكسائي: «الفعل ما دلَّ على زمان».

وقال سيبويه: «أما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداتِ الأسماء وبُنيت لما مضى، وما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»^(١) فيقال لسيبويه: ذكرتَ هذا في أول كتابك وزعمتَ بعدُ أن «لَيْسَ» و«عَسَى» و«نِعَمَ» و«بِئْسَ» أفعال، ومعلومٌ أنها لم تُؤخذ من مصادر. فإن قلتَ: إني حَدَدْتُ أكثرَ الفعل وتركتَ أقلَّهُ قيل لك: إن الحد عند النُّظار ما لم يزد المحدود ولم ينقصه ما هو له.

وقال قوم: «الفعل ما امتنع من التثنية والجمع». والرَّدُّ على أصحاب هذه المقالة أن يقال: إن الحروف كلها ممتنعة من التثنية والجمع وليست أفعالاً.

وقال قوم: «الفعل ما حَسُنَتْ فيه التاء نحو قمتُ وذهبتُ»، وهذا عندنا غلط لأننا قد نسميه فعلاً قبل دخول التاء عليه.

وقال قوم: «الفعل ما حَسُنَ فيه أمس وغداً» وهذا على مذهب البصريين غير مستقيم، لأنهم يقولون أنا قائم غداً، كما يقولون: أنا قائم أمس.

والذي نذهب إليه ما حكيناه عن الكسائي من أن «الفعل ما دلَّ على زمان كخرج ويخرج» دلَّنا بهما على ماضٍ ومستقبل.

باب الحرف

قال سيبويه: وأما ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل، فنحو «ثمَّ» و«سَوْفَ» و«واو القسم» و«لام الإضافة».

وكان الأَخْفَشُ يقول: ما لم يحسُنْ له الفعل ولا الصفة ولا التثنية ولا الجمع ولم يَجُزْ أن يتصَرَّفَ - فهو حرف.

وقد أكثر أهل العربية في هذا، وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه، إنه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل. نحو قولنا: «زيدٌ منطلقٌ»، ثم نقول: «هل زيدٌ منطلقٌ؟» فأفدنا بـ «هل» ما لم يكن في «زيد»، ولا «منطلق».

باب أجناس الأسماء

قال بعض أهل العلم:

الأسماء خمسة: «اسم فارق»، و «اسم مفارق»، و «اسم مُشتق»، و «اسم مُضاف»، و «اسم مُقتضٍ».

فالفارق: قولنا: «رجل» و «فرس»، فرقنا بالاسمين بين شخصين.
والمفارق: قولنا: «طفل»، يفارقه إذا كَبُرَ.

والمشتق: قولنا: «كاتب»، وهو مشتق من «الكتابة»، ويكون هذا على وجهين: أحدهما مَبْنِيًّا على فَعَلٍ، وذلك قولنا: «كتب فهو كاتب»، والآخر يكون مشتقاً من الفعل غير مَبْنِيٍّ عليه كقولنا: «الرحمن» فهذا مشتق من «الرحمة» وغير مَبْنِيٍّ من «رحم».

وكلّ ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ، لأن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم» لأننا نقول: «رَحِمَ فهو راحم ورحيم» ونقول: «قَدَّرَ فهو قادرٌ وقدير». وإذا قلنا: «الرحمن» فليس هو من «رَحِمَ» وإنما هو من «الرَّحْمَة». وعلى هذا تجري النعوت كلها في قولنا: «كاتب»، و «كَتَّاب»، و «ضارب»، و «ضَرُوب». والمضاف: قولنا «كلّ» و «بعض» لا بدّ أن يكونا مضافين.

والمُقتضي: قولنا «أخ» و «شريك» و «ابن» و «خَصْم» كلُّ واحد منها إذا ذُكِرَ اقتضى غيره، لأن الشريك مُقتضٍ شريكاً والأخ مقتضٍ آخر.

وقال بعض الفقهاء: أسماء الأعيان خمسة: اسم لازم، واسم مفارق، واسم مُشتق، واسم مُضاف، واسم مُشَبَّه.

فاللازم: «إنسان»، و «سماء»، و «أرض». لأن هذه الأسماء لا تنتقل من مُسمياتها.

قال: والمُفارق: اللقب الذي يُسمى نحو: «زيد» و «عمرو». وقد يقع أيضاً بأن يُقال: المفارق «الطفل»، لأنه اسم يزول عنه بكبره.

والمشتق: ك «دَابَّة» و «كاتب».

والمضاف: قولنا «ثوبُ عمرو»، و جزء الشيء».
 والمشبّه: قولنا «رَجُلٌ حَدِيدٌ وَأَسَدٌ» على وجه التشبيه.
 قال: وجماعها أنها وُضِعَتْ للدلالة بها.
 قلنا: وهذه قسمة ليست بالبعيدة.

باب النعت

النَّعْتُ: هو الوصف كقولنا: «هو عاقل» و «جاهل».
 وذكّر عن الخليل أن النعت لا يكون إلّا في محمود، وأن الوصف قد يكون
 فيه وفي غيره.

والتَّعْتُ: يجري مجريَّين: أحدهما تخلص اسم من اسم كقولنا: «زيد
 العطار»، و «زيد التَّمِيمِيّ»، خلصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه. والآخر على
 معنى المدح والذم نحو: «العاقل» و «الجاهل».
 وعلى هذا الوجه تجري أسماء الله جلّ وعزّ، لأنه المحمود المشكور المثني
 عليه بكلّ لسان، ولا سَمِيَّ له جلّ اسمه فيخلص اسمه من غيره.

باب القول على الاسم

من أيّ شيء أُخذ؟

قال قوم: الأسماء سِمَاتٌ دالّةٌ على المُسَمَّيات، يُعرَفُ بها خطاب
 المخاطب.

وهذا الكلام محتمل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سِمَةً كالعلامة
 والسيماء^(١). والآخر أن يقال: إنه مشتق من «السِّمَّة». فإن أراد القائل أنها سِمَات
 على الوجه الأول فصحيح. وإن كان أراد الوجه الثاني فحدثني أبو محمد سلّم بن
 الحسن البغدادي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزّجاج يقول: معنى
 قولنا: «اسمٌ» مشتق من «السمو» والسمو الرفعة. فالأصل فيه «سمو» على وزن

(١) السِّمَّة والسِّماء بمعنى العلامة.

حِمْلٍ وجمعه «أسماء»، مثل قولك: قِنُوْ وأقناء^(١). وإنما جعل الاسم تنويهاً ودلالة على المعنى، لأن المعنى تحت الاسم. ومن قال: إن اسماً مأخوذ من «وَسَمْتُ» فهو غلط؛ لأنه لو كان كذا لكان تصغيره «وُسَيْمٌ» كما أن تصغير عِدَّةٍ وصِلَةٌ: وُعَيْدَةٌ ووُصَيْلَةٌ.

قال أبو إسحاق: وما قلناه في اشتقاق «اسم» ومعناه قول لا نعلم أحداً فسره قبلنا.

قلت: وأبو إسحاق ثقة. غير أنني سمعت أبا الحسين أحمد بن عليّ الأحول يقول: سمعت أبا الحسين عبدالله بن سفيان النحوي الخزاز يقول: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد يقول: الاسم مُشتق من «سما» إذا علا. قال: وكان أبو العباس رُبما اختصني بكثير من علمه فلا يُشركني فيه غيري.

باب آخر في الأسماء

قد قلنا فيما مضى ما جاء في الإسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما.

وقد كانت حدثت في صدر الإسلام أسماء، وذلك قولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية «مُخْضَرَمٌ». فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم قال: حدثنا محمد بن عباس الخُشْكِ عن اسماعيل بن أبي عبيدالله قال: المخضرمون من الشعراء: من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام.

فمنهم: حسان بن ثابت، ولييد بن ربيعة، ونابغة بني جعدة، وأبو زيد، وعمرو بن شاس، والزُّبَيْرُقان بن بدر، وعمرو بن معدي كرب، وكعب بن زهير، ومعن بن أوس.

وتأويل المخضرم: من خَضَرَمَت الشيء أي قطعته، وخَضَرَمَ فلان عطيته أي قطعها، فسمى هؤلاء «مخضرمين» كأنهم قطعوا من الكفر إلى الإسلام. وممكن أن يكون ذلك لأن رتبهم في الشعر نقصت لأن حال الشعر تكامنت في الإسلام لما

(١) القِنُو: الكِبَاسَة وجمعه أقناء.

أنزل الله جل ثناؤه من الكتاب العربي العزيز. وهذا عندنا هو الوجه، لأنه لو كان من القطع لكان كلُّ من قُطع إلى الإسلام من الجاهلية مخضرمًا، والأمر بخلاف هذا.

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم^(١): المِرباع، والنَّشِيطَة، والفضول، ولم نذكر الصَّفِيَّ لأن رسول الله ﷺ قد اصطفى في بعض غزواته وحُصَّ بذلك، وزال اسم الصَّفِيِّ لما توفي رسول الله ﷺ.

ومما تُرك أيضاً^(٢): الإتاوة، والمكس، والحلوان. وكذلك قولهم: انعم صباحاً، وانعم ظلاماً. وقولهم للملك: أبيت اللعن. وتُرك أيضاً قول المملوك لمالكة: رَبِّي. وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. قال الشاعر^(٣):

وَأَسْلَمْنَ فِيهَا رَبَّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ وَرَبَّ مَعْدُ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعَرٍ

وتُرك أيضاً تسمية من لم يَحُجَّ «صَرُورَةً»، فحدثنا علي بن إبراهيم، عن علي بن عبدالعزيز، عن أبي عبيد، في حديث الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ»^(٤) ومعنى ذلك فيما يقال: هو الذي يَدْعُ النِّكَاحَ تَبْتُلًا^(٥). حدثني علي بن أحمد بن الصَّبَّاح قال: سمعت ابن دُرَيْد يقول: أصل الصَّرُورَة أن الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحرم لم يُهَجِّجْ وكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم قيل: هو صَرُورَة فلا تهجه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبّد الذي يجتنب النساء

(١) المِرباع: الرُبْعَة: الرجل بين الطول والقصر. والمِرباع: المكان ينبت نبتة في أول الربيع. والنشيطَة في الغنيمة: ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم. والنشيطَة من الإبل: التي تؤخذ فتساق من غير أن يُعمد لها. وحلف الفضول: هو أن هاشمًا وزهرة وتيمًا دخلوا على عبد الله بن جدعان، فتحالفوا بينهم على دفع الظلم وأخذ الحق من الظالم، سمي بذلك لأنهم تحالفوا أن لا يتركوا عند أحد فضلًا يظلمه أحدًا، إلا أخذوه له منه.

(٢) الإتاوة: الحَرَج، والرشوة. والمكس في البيع: جباية المال. والمكس: النقص والظلم، ودرهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية. والحلوان: أجرة الدلال والكاهن، ومهر المرأة، أو ما أعطي من نحو رشوة.

(٣) هو ليبد بن ربيعة، ديوانه: ٧١. وفيه: وأهلكن يوماً. والخبت: موضع سهل بالحرّة، أو موضع بين مكة والمدينة. وعرعر: موضع في بلاد هذيل، أو واد قرب عرفة.

(٤) رواه أبو داوود: مناسك ٣، وأحمد: ٣١٢/١.

(٥) التبتل: الانقطاع إلى الله والإخلاص له، أو ترك النكاح والزهد فيه.

وطيب الطعام: ضرورة وضرورياً، وذلك عني النابغة بقوله^(١):

صُرورة متعبد

أي منقبض عن النساء. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام وأوجب إقامة الحدود بمكة وغيرها سمي الذي لم يحجَّ «صُرورة» خلافاً لأمر الجاهلية، كأنهم جعلوا أن تركه الحجَّ في الإسلام كترك المتأله^(٢) إتيان انساء والتنعّم في الجاهلية.

ومما ترك أيضاً قولهم: الإبل تُساق في الصّدق النّوافج^(٣). على أن من العرب من كان يكره ذلك. قال شاعرهم^(٤):

وليس تِلادي من وِراثه والدي ولا شانَ مالي مُستفادُ النّوافجِ
وكانوا يقولون: «تَهْنِكُ النّافِجَةُ» مع الذي ذكرنا من كراهة ذوي أقدارهم لها
وللعقول. قال جندل الطّهويّ^(٥):

وَمَا فَكَّ رِقي ذاتُ خَلقِ خَبْرَنيجِ^(٦) ولا شانَ مالي صدقةٌ وعقولُ
ولكن نماني كلُّ أبيضِ صارمِ^(٧) فأصبحتُ أدري اليومَ كيفَ أقولُ

ومما كرهه في الإسلام من الألفاظ قول القائل: «خَبِثْتُ نَفْسي» قال رسول الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم خَبِثْتُ نَفْسي»^(٨).

وكُره أيضاً أن يقال: استأثر الله بفلان.

ومما كرهه العلماء قول من قال: سُنّة أبي بكر وعمر، إنما يقال: فَرَضَ اللهُ

(١) ديوانه: ١٤٩. وتام البيت - وهو في وصف المتجردة:

أو أنها عَرَضَتْ لأشمط راهب عبد الإله ضرورة متعبد المتأله: المتعبد.

(٢) النوافج: جمع النافجة: البنت لأنها تعظم مال أبيها بمهرها.

(٣) البيت في أساس البلاغة مادة (نفع) دون عزو، وفي الحيوان: ٣٣٤/١ دون عزو.

(٤) هو ابن المشنى الطهوي، شاعر راجز من تميم مات سنة ٩٠ هـ.

(٥) الخلق الخبرنج: الخلق الحسن.

(٦) الأبيض الصارم، أي: السيف.

(٨) رواه البخاري: أدب ١٠، ومسلم: ألفاظ ١٧، وأبو داود: أدب ٧٦، وأحمد: ٥١/٦، ٦٦،

جَلَّ وَعَزَّ وَسُنَّتُهُ، وسنة رسول الله ﷺ.

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم: حَجْرًا محجوراً. وكان هذا عندهم لمعنيين: أحدهما عند الحِرْمَانِ إذا سئِلَ الإنسان قال: حَجْرًا محجوراً، فيعلم السائل أنه يريد أن يحرمه. ومنه قوله^(١):

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصُوى فقلت لها: حَجْرٌ حرام ألا تلك الدَّهَارِيسُ
والوجه الآخر: الاستعاذة. كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه قال: حَجْرًا
محجوراً، أي حرام عليك التعرُّضَ لي. وعلى هذا فُسِّرَ قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ
الملائكةَ لا بُشْرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حَجْرًا محجوراً﴾^(٢)، يقول المجرمون
ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا.

باب ما جرى مجرى الأسماء

وإنما هي ألقاب

ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قولهم: مُدْرَكَةٌ وطابخة. وذلك في
العرب على ثلاثة أضرب: ضربٌ مدح، وضربٌ ذم، وضربٌ تلُقَّبُ الإنسان لفعل
يفعله.

فالمدح^(٣): تَلْقِيهِمُ البَحْرَ، والحَبْرَ، والباقرَ، والصادقَ، والديباجَ،
وغيرهم.

والذم^(٤): فَتَلْقِيهِمُ بالوَزَعِ وَرَشَحَ الحَجَرَ وما أشبه ذلك.

وأما اللقب المأخوذ من فعل يُفْعَلُ فكطابخة ومُدْرَكَةٌ.

(١) البيت للمتلمس كما في «ما اتفق لفظه واختلف معناه»: ٨٢ مادة (الحجر). وفي جمهرة أشعار العرب: ٢٦٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٢.

(٣) يريدون بالبحر: الرجل الكريم، وبالبحر: الرجل العالم أو الصالح، وبالباقر: العالم المتبحر بالعلم لأن أصل البقر: الشق والتوسُّع، والديباج: من المعرب: الناقة الفتية الشابة.

(٤) الوَزَعُ: جمع الوَزَعَةِ وهي سام أبرص وسميت بها لخفتها وسرعة حركتها، ويسمى الرجل الحارص الفشل بالوزع.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(١) فقال قتادة: هو أن تقول للرجل: يا فاسق يا منافق.

وروى الشَّعْبِيُّ عن أَبِي جُبَيْرَةَ بن الضَّحَّاك - وأبو جبيرة رجل من الأنصار من بني سلمة - قال: فينا أنزلت هذه الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ قَدِمَ عَلَيْنَا، وليس منا رَجُلٌ إِلَّا له لقبان أو ثلاثة، فجعل بعضنا يدعو بعضاً بلقبه، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فجعل هو أحياناً يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب، ف قيل له: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد، فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سمّاه بما يراه أو يسمعه مما يُتَّفَعَلُ به، فإن رأى حَجْرًا أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر. وإن رأى ذئبًا تأوّل فيه الفطنة والنُّكْر والكسب. وإن رأى حماراً تأوّل فيه طول العُمَر والوقاحة. وإن رأى كلباً تأوّل فيه الحِرَاسَة وبُعْد الصوت والإلْف. وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكره من هذه الأسماء.

باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المُجاوِرة والسَّبب

قال علماؤنا: العرب تسمي الشيءَ باسم الشيءِ إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب. وذلك قولهم «التيمّم» لِمَسْحِ الوجه من الصعيد^(٢)، وإنما التيمّم الطلب والقصد. يقال: تيمّمتك وتأممتك أي تعمّدتك.

ومن ذلك تسميتهم السحاب «سماء» والمطر «سما» وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبتَ سماءً. قال شاعرهم^(٣):

إذا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمِ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) الصعيد: التراب، أو وجه الأرض.

(٣) لسان العرب مادة (سما) ونسبه إلى معوّد الحكماء معاوية بن مالك وهو جاهلي من الأزد. وفي تاج العروس مادة (سما) للفرزدق، وفي المقاييس، مادة (سمو) دون عزو. وعجزه:

«رعيناه وإن كانوا غُضابا»

وربما سماوا الشحم «ندى» لأن الشحم عن النبت، والنبت عن الندى قال ابن
أحمر^(١):

كثُور العَدَاب^(٢) الفَرْدِ يَضْرِبُهُ النَّدَى تَعَلَّى النَّدَى فِي مَتْنِهِ وَتَحَدَّرَا
ومن هذا الباب قول القائل: «قد جعلتُ نفسي في أديم» .
أراد بالنفس الماء وذلك لأن قوام النفس الماء .

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ
أَزْوَاجٍ﴾^(٣) يعني خلق . وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات،
قال: ومثله ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾^(٤) وهو جل ثناؤه إنما أنزل الماء، لكن
اللباس من القطن، والقطن لا يكون إلا بالماء . قال: ومنه قوله جل ثناؤه:
﴿وَلَيْسَتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾^(٥) إنما أراد - والله أعلم - الشيء يُنكحُ به من
مهر ونفقة، ولا بد للمتزوج به منه .

باب القول في أصول أسماء قيسَ عليها وألحقَ بها غيرها

كان الأصمعي يقول: أصل «الورد» إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء
وزدأ . و «القرب» طلب الماء . ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال: «هو يقرب
كذا» أي يطلبه و «لا تقرب كذا» .

ويقولون: «رفع عقيرته» أي صوته، وأصل ذلك أن رجلاً عُقرت رجله
فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقليل بعد ذلك لكل من رفع صوته: رفع
عقيرته .

ويقولون: «بينهما مسافة» وأصله من «السوف» وهو الشم . ومثل هذا كثير .

(١) ديوانه: ٨٤، وابن أحمر: هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي، شاعر مخضرم مات سنة
٦٥ هـ .

(٢) العذاب: ما استرق من الرمل .

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٥ .

(٥) سورة النور، الآية: ٣٣ .

قلنا: وهذا الذي ذكرنا عن الأصمعي وسائر ما تركنا ذكره لشهرته فهو راجع إلى الأبواب الأول، وكلّ ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له.
وقول هؤلاء: إنه كثر حتى صار كذا، فعلى ما فسرناه من أن الفرع مَوْقَفٌ عليه، كما أن الأصل مَوْقَفٌ عليه.

باب الأسماء كيف تقع على المُسميات

يُسمّى الشيطان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرّس.

وتُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: «عين الماء» و«عين المال» و«عين السحاب».

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: «السيف والمهتد والحسام»^(١).

والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو «السيف» وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.

وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد. وذلك قولنا^(٢): «سيف وعَضْبٌ وحُسام».

وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي «قعد» معنى ليس في «جلس» وكذلك القول فيما سواه.

وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه: لو كان لكل لفظ معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته. وذلك أننا نقول في «لا ريب فيه»: «لا شك فيه» فلو كان «الرَّيب» غير «الشَّك» لكانت العبارة عن معنى الرِّيب بالشك

(١) المهتد: السيف الهندي. والحُسام: السيف القاطع أو طرفه الذي يُضرب به.

(٢) العَضْب: السيف القاطع.

خطأ. فلما عبّر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا: وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة. كقولهم^(١):

وهندُ أتى من دونها النَّأْيُ والبُعْدُ

فقالوا: فالنأبي هو البعد قالوا: وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الإضرُّ.

ونحن نقول: إن في قعد معنى ليس في جلس. ألا ترى أننا نقول «قام ثم قعد»، و«أخذهُ المقيّمُ والمقعدُ»، و«قعدتِ المرأةُ عن الحيض». ونقول لناس من الخوارج «قعدتُ» ثم نقول: «كان مضطجعاً فجلس» فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن «الجلسَ: المرتفع»، فالجلوس ارتفاع عما هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبّر عن الشيء بالشيء. فإننا نقول: إنما عبّر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى.

ومن سُنن العرب في الاسماء أن يسمّوا المتضادّين باسم واحد، نحو «الجَوْنُ» للأسود و«الجَوْنُ» للأبيض. وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده. وهذا ليس بشيء، وذلك أنّ الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهتدّاً، والفرسَ طِرفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادّين باسم واحد. وقد جرّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا ردّاً ذلك ونقضه، فلذلك لم نكرّره.

من ذلك: «المائدة»، لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها الطعام، لأن المائدة من «مادني يميّدني» إذا أعطاك. وإلا فاسمها «خَوَان».

وكذلك «الكأس» لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب، وإلا فهو «قدح» أو «كوب».

(١) ديوان الحطيئة: ٣٩ وصدرة: ألاحبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ.

وكذلك «الحلّة» لا تكون إلا ثوبين: إزار ورداء من جنس واحد فإن اختلفا لم تُدَعِ حُلّة.

ومن ذلك «الظّعيّنة» لا تكون ظّعيّنة حتى تكون امرأة في هودج^(١) على راحلة.

ومن ذلك «السّجل» لا يكون سجلاً إلا أن يكون دلوّاً فيه ماء، و«اللّحية» لا تكون لحية إلا شعراً على دقن ولحيّين^(٢).

ومن ذلك «الأريكة» وهي الحَجْلة^(٣) على السرير لا تكون إلا كذا، فسمعت عليّ بن إبراهيم يقول: سمعت ثعلباً يقول: الأريكة لا تكون إلا سريراً مُتَّخِذاً في قبة عليه شِوَارُهُ ونَجْدُهُ^(٤).

وكذلك «الذّنوب» لا تكون ذنوباً إلا وهي ملاءى، ولا تسمّى خالية ذنوباً.

ومن ذلك «القلم» لا يكون قلماً إلا وقد بُرِيَ وأصلح، وإلا فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي: «ما القلم؟» فقال: «لا أدري» فقيل له: «تَوَهَّمُهُ» فقال: «هو عود قَلَمٍ من جانبيه كتقليم الأظفور^(٥) فسُمِّيَ قلماً».

ومن ذلك «الكوب» لا يكون إلا بلا عروة، و«الكوز» لا يكون إلا بعروة.

باب الاسمين المصطلحين

أخبرنا عليّ بن إبراهيم عن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد قال: قال الأصمعي: إذا كان أخوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُميا جميعاً باسم الأشهر، قال الشاعر^(٦):

(١) الهودج: مركب النساء يوضع على راحلة.

(٢) اللحيان: عظما الحنكين.

(٣) الحَجْلة: كالفبّة، وموضع يُزَيَّن بالثياب والستور للعروس.

(٤) الشّوَار: الهيئة واللباس والزينة. التّجْد: جمع التّجد وهو ما يتجدد به البيت من بسط وفرش ووسائد.

(٥) الأظفور: لغة في الظّففر.

(٦) لسان العرب مادة (حزر) ونسبته إلى المنخل الشكري، وأراد بالحرين: الحر وأخاه أبيتاً.

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ «الْحُرَيْنِ» عَنِي مُغْلَغَلَةً وَخُصَّ بِهَا أُيَّيَا؟
واحدُهما هو «الْحَرُّ». وكذلك الزَّهْدَمَانُ والثَّعْلَبَتَانُ^(١).

ويكون ذلك في الألقاب كقولهم لِقَيْسٍ وَمُعَاوِيَةَ ابْنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ:
«الْكُرْدُوسَانُ»، وَلِعَيْسٍ وَذُبْيَانَ: «الأَجْرِبَانُ».
وَذَكَرَ الأبوابَ بطولها، وإنما نذكر من كلِّ شيءٍ رسماً لشهرته.

باب في زيادات الأسماء

ومن سُننِ العربِ الزيادة في حروف الاسم، ويكون ذلك إما للمبالغة وإما
للتشويه والتقييح.

سَمِعْتُ مَنْ أَثِقُ بِهِ قَالَ: تَفْعَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ لِلتَّشْوِيهِ، يَقُولُونَ لِلْبَعِيدِ مَا بَيْنَ
الطَّرْفَيْنِ الْمَفْرُطِ الطُّوْلُ: «طَرِمَاحٌ»، وَإِنَّمَا أَصْلُهُ مِنَ «الطَّرْحِ» وَهُوَ الْبَعِيدُ، لَكِنَّهُ لَمَّا
أَفْرَطَ طَوْلُهُ سُمِّيَ طَرِمَاحًا، فَشُوِّهَ الْاسْمُ لَمَّا شُوِّهَتِ الصُّورَةُ. وَهَذَا كَلَامٌ غَيْرُ
بَعِيدٍ.

وَيَجِيءُ فِي قِيَاسِهِ قَوْلُهُمْ: «رَعَشَنٌ» لِلَّذِي يَرْتَعِشُ، وَ«خَلْبَنٌ» وَ«زُرْقُمٌ»
لِلشَّدِيدِ الزَّرْقِ، وَ«صِلْدِمٌ» لِلنَّاقَةِ الصُّلْبَةِ، وَالْأَصْلُ صَلْدٌ، وَ«شَدَقَمٌ» لِلْوَاسِعِ.
وَيَكُونُ مِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ لِلكَثِيرَةِ التَّسْمُوعِ وَالتَّنْظُرِ: «سَمْعَنَةٌ، نِظْرَنَةٌ».
وَمِنَ الْبَابِ: كَبِيرٌ وَكُبَارٌ وَكُبَّارٌ. وَطُوَالٌ وَطُؤَالٌ.

(١) الزَّهْدَمَانُ: أَخْوَانٌ مِنْ عَبْسٍ: زَهْدَمٌ وَكَرْدَمٌ وَأَوْقَيْسٌ. وَالثَّعْلَبَتَانُ: ابْنُ جَدْعَاءَ، وَابْنُ رُومَانَ.

باب الحروف

قال أحمد بن فارس: هذا باب يصلح في أبواب العربية، لكنني رأيت فقهاءنا يذكرون بعض الحروف في كتب الأصول، فذكرنا منها ما ذكرناه على اختصار.

فأصل الحروف الثمانية والعشرون التي منها تأليف الكلام كله. وتتولد بعد ذلك حروف كقولنا^(١): «اضطبر» و«اذكر» تولدت الطاء لعلّة، وكذلك الدال.

فأول الحروف الهمزة، والعرب تنفرد بها في عرض الكلام مثل «قرأ»، ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً.

ومما اختلفت به لغة العرب الحاء والطاء. وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم.

قال أبو عبيدة: وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين للتعريف، كقولنا: «الرجل» و«الفرس» فليسا في شيء من لغات الأمم غير العرب.

باب ذكر دخول ألف التعريف ولامه

في الاسماء

تدخل ألف التعريف ولامه على اسمين: متمكن وغير متمكن، فالذي هو غير متمكن «الذي» و«التي». والمتمكن قولنا: «رجل» ثم يكون ذلك للجنس والتعريف. فالأول قولنا: «رجل» لمنكور، فإذا عهد مرة قيل «الرجل». والجنس قولنا: «كثر الدينار والدّرهم»، و«الذئب أخشاه إن مررت به» لا يريد به ذيباً بعينه، إنما يريد أنه يخشى هذا الجنس من الحيوان.

ويكون الألف واللام بمعنى الذي كقولنا: «جاءني الضاربُ عمراً» بمعنى:

(١) اضطبر: أصله اصتبر على وزن افتعل، وقلبت التاء طاءً لتناسب الصاد. واذكر: أصله اذتكر على وزن افتعل، قلبت التاء دالاً ثم أدغمت الذال بالذال.

الذي ضرب عمراً.

وربما دخلا على الاسم وضعاً، لا لجنس ولا لشيء من المعاني كقولنا: «الكوفة»، و «البصرة»، و «البشر»، و «الثَّارُ».

وربما دخلا للتفخيم نحو: «العبّاس» و «الفضل». وهذان هما اللذان يدخلان في أسماء الله جلّ وعزّ وصفاته.

باب الألف المُبتدأ بها

يقولون: أَلِفٌ أَصْلٌ، وَأَلْفٌ وَصَلٌ، وَأَلْفٌ قَطَعَ، وَأَلْفٌ اسْتَفْهَمَ، وَأَلْفٌ الْمُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ.

فالألف التي للأصل قولنا: «أتى يأتي». وألف القطع مثل «أكرم». وألف الاستفهام نحو: «أخرج زيد؟». وألف المُخْبِرِ عن نفسه نحو: «أنا أخرج».

وألف الوصل: تدخل على الاسماء والأفعال والأدوات. ففي الاسماء قولنا: «اسم» و «ابن»، وفي الأفعال قولنا: «أضرب». والتي تدخل على الأدوات مختلف فيها: قال قوم: هي الألف في قولك: «أيم الله». والألف التي تدخل على لام التعريف مثل: «الرجل»، وهذا في مذهب أهل البصرة. وكثيراً ما سمعت أبا سعيد السيرافي يقول في ألف الرجل: «ألف لام التعريف». والكوفيون يقولون: «ألف التعريف ولامه»، وهما مثل: «هل» و «بل».

بابُ وُجُوهِ دُخُولِ الألفِ فِي الأفعالِ

دخول الألف في الأفعال لوجوه:

أحدها أن يكون الفعل بالألف وغير الألف بمعنى واحد نحو قولهم: «رَمَيْتُ على الخمسين»، و «أَرَمَيْتُ» أي زِدْتُ، و «عِنْدَ العِرْقِ» إذا سال و «أَعْنَدَ».

والوجه الآخر أن يتغيّر المعنيان، وإن كان الفعلان في القياس راجعين إلى أصل واحد نحو: «وَعَيْتُ الحديث»، و «أَوْعَيْتُ المتاعَ في الوعاء». ومن هذا الباب «أَسْقَيْتُهُ» إذا جعلت له سُقِيًّا، و «سَقَيْتُهُ» إذا أنت سقيته.

والوجه الثالث أن يتضادَّ المعنيان بزيادة الألف نحو: «تَرَبَّ» إذا أَتَقَرَّ،

و «أَتْرَبَ» إِذَا اسْتَعْنَى .

والوجه الرابع أن يكون الفعلان لشيئين مختلفين، فيكون بغير ألف لشيء، وبالألف لشيء آخر. من ذلك: «حَيَّي الْقَوْمَ بَعْدَ هُزَالٍ» إِذَا حَسَنَتْ أَحْوَالَهُمْ، و «أَحْيَوَا» إِذَا حَيَّتْ دَوَابَّهُمْ .

والوجه الخامس أن يكون بالألف بمعنى العَرَضِ، وبغير ألف لإنفاذ الفعل نحو: «بِعْتُ الْفَرَسَ» إِذَا أَمْضَيْتَ بَيْعَهُ، و «أَبَعْتُهُ» إِذَا عَرَضْتَهُ لِلْبَيْعِ .

والوجه السادس أن يكون بالألف إخباراً عن مجيء وقت نحو: «أَحْصَدَ الزَّرْعُ» حَانَ لَهُ أَنْ يُحْصَدَ .

والوجه السابع أن يكون دالاً على وجود شيء بصفة نحو: «أَحْمَدْتُ الرَّجُلَ» إِذَا وَجَدْتَهُ مَحْمُوداً .

والوجه الثامن أن يدل على إتيان فعل نحو: «أَخَسَّ الرَّجُلَ» أَتَى بِخَسِيسٍ .

وتكون الألف للتعدية نحو: «أَذْهَبْتُ زَيْدًا» .

وربما كانت هذه الألف للشيء نفسه، ويكون الفاعل ذلك بلا ألف نحو: «أَفْشَعَ الْغَيْمُ» و «فَشَعْتَهُ الرِّيحُ»، و «أَتَرَفَّتِ الْبُتْرُ» ذَهَبَ مَأْوَاهَا و «تَرَفْنَاهَا نَحْنُ»، و «أَنْسَلَ رَيْشُ الطَّائِرِ» سَقَطَ، و «نَسَلْتَهُ أَنَا»، و «أَكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ» قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ﴾^(١) و «كَبَّهُ اللَّهُ» قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^(٢) .

باب شرح جُملةٍ تقدّمت في أَلِفَاتِ الوَصْلِ

أَلِفَاتِ الوَصْلِ - تكون في صدور الأسماء والأفعال والأدوات، ويذكر أهل العربية أنها نَيْتٌ وأربعون ألفاً - على تكرير يقع في بعضها - لأن الذي يذكر منها في المصادر مكرراً في الأفعال .

فأما التي في الأسماء فَتَسَعُ عَشْرَةُ أَلْفًا . وهي على ضربين: أَلْفٌ فِي اسْمٍ لَمْ

(١) سورة الملك، الآية: ٢٢ .

(٢) سورة النمل، الآية: ٩٠ .

يَصْدُرُ عن فعل، فالألفات في الأسماء التي لم تصدر عن الأفعال ثمان: أَلْفُ «ابن» و «ابنة» و «اثنين» و «اثنتين» و «امرىء» و «امرأة» و «اسم» و أَلْفُ ثامنة. والألفات في الأسماء الصادرة عن الأفعال هي التي في: «اقتطاع»، و «انقطاع»، و «استعطاف»، و «ارتداد»، و «احميرار»، و «اسحنكك»^(١)، و «اقشعرار»، و «اخروَاط»^(٢)، و «اغريراء»^(٣)، و «اطواف»، و «اثيقال». وهذه تكون في الإدراج ساكنةً وإذا ابتدء بها كانت مكسورة.

وأما التي في الأفعال فثلاث: منها في الأمر بالفعل الثلاثي، مثل: «اضرب»، اعلم، أقتل». ومنها في الأفعال الماضية التي صدرت عنها الأسماء المتقدم ذكرها إحدى عشرة ألفاً وهي: أفتعل، وأنفعل، واستفعل، وأفعل، وأفعال، وأفعلل، وأفعول، وأفعول، وأفعل، وأفعل. وقد ذكرنا ترجمة هذه الأمثلة.

ثم تقع هذه الألفات بعينها في الأفعال المستقبلية المأمور بها وهي: أفتعل، وأنفعل، واستفعل، وأفعلل، وأفعالل، وأفعلل، وأفعول، وأفعول، وأفعل، وأفعل.

وقد أعلمت أن فيها تكريراً ليكون الباب أبلغ شرحاً.

وأما التي تقع في الأدوات فقليلة على اختلاف فيها، وإنما هي في قولهم: «أيمُ الله»^(٤). والألف التي مع اللام في قولنا: «الرجل». وموضع الاختلاف أن الألف في «أيمُ» مقطوعة صحيحة. وهي بالهمزة أشبه بألفات الوصل، إلا أن نقول «إيمُ الله» بالكسر فيكون حينئذ أشبه بألف الوصل، والألف التي مع اللام قد تقدم ذكرها.

باب الباء

الباء من حروف الشفة. ولذلك لا تأتلف مع الفاء والميم: أما الفاء فلا تقارنها بباء متقدمة ولا متأخرة. وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقةً لها بوجه،

(١) اسحنكك الليل: أظلم، واسحنكك الكلام عليه: تعذر.

(٢) اخروط بهم الطريق: طال وامتد. واخروطت اللحية: طالت.

(٣) اعرورى: سار في الأرض وحده، واعرورى قبيحاً إذا أتاه.

(٤) أيم الله بمعنى أيمن الله، للحلف والقسم.

ومتأخرة كذلك إلا في قولنا: «شِبْمٌ». وقد يدخل بينهما دخيل في مثل «عَبَامٌ» وهي على الأحوال يِقْلُ تألفها معها.

وهي من الحروف الأصلية، وما أعلمهم زادوها في شيء من أبنية كلامهم، إلا في حرف قاله الأغلب:

فَلَّكَ ثدياها مع الثُّوب

أراد «الثُّوب» فزاد الباء.

والباء تكون للإلصاق، وللاعتمال، وفي موضع «عن»، وفي موضع «من»، وتكون للمصاحبة، وتقع موقع «مع». وتقع موقع «في» و«على»، وتكون للبدل، ولتعدية الفعل، وللسبب، وتكون دالة على نفس المُخْبِرِ عنه وظاهرها يُوهِمُ أن الإخبارَ عن غيره، ومنها المُلصِّقة بالاسم والمعنى الطرح، ومنها باء الابتداء، ومنها باء القَسَمِ.

فالإلصاق قولك: «مسحت يدي بالأرض». ومن أهل العربية من يقول: «مررت بزيد» إنها للإلصاق، كأنه ألصق المرورَ به. وكذا إذا قال: «هزأت به».

والاعتِمَال قولنا: «كتبت بالقلم»، و«ضربت بالسيف». وذكر ناس أن هذه والتي قبلها سواء.

والباء الواقعة موقع «عن» قولهم: «سألت به» إنما أردت عنه ومنه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ﴾^(١). ومنه^(٢):

وسائِلَةٌ بثعلبةَ بنِ سير

والباء الواقعة موقع «من» في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٣) أراد منها. و^(٤):

(١) سورة المعارج، الآية: ١.

(٢) الأصمعيات: ٢٠٣ للمفضل النكري. وعجزه:

وقد أودت بثعلبة العَلَوِيُّ

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(٤) ديوان عنترة: ١٦٣. وتام البيت:

شربتُ بماء الدحرضيين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرِضَيْنِ

وباء المصاحبة: «دخل فلان بثيابه وسيفه»، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وقد دخلوا بالكفر﴾^(١)، ومنه: «ذهبت به» لأنك تكون مصاحباً له. والباء التي في موضع «في» قوله^(٢):

ما بكاءً الكبير بالأطلال

والتي في موضع «على» قوله^(٣):

أَرَبُّ يَبُولِ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ؟

أراد «على».

وباء البدل، قولهم: «هذا بذاك»، أي عوض منه. ومنه:

قالت بما قد أراه بصيراً

وباء تعدية الفعل: «ذهبت به» بمعنى «أذهبت». وقوله جلّ ثناؤه: ﴿أسرى بعبده﴾^(٤) ليس من ذا، لأن سرى وأسرى واحد.

وباء السبب، قوله جلّ ثناؤه: ﴿والذين هم به مشركون﴾^(٥) أي من أجله. فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾^(٦) فمحتمل أن يكونوا كفروا بها وتبرأوا منها. ويجوز أن تكون باء السبب، كأنه قال: «وكانوا من أجل شركائهم كافرين».

والباء الدّالة عن نفس المُخبر عنه والظاهر أنها لغيره قولك: «لقيت بفلان

(١) سورة المائدة، الآية: ٦١.

(٢) ديوان الأعشى: ٢٠٤، وعجزه:

وسؤال فهل ترد سؤالي

(٣) الحيوان: ٦/٣٠٤ بلا عزو، وفي ديوان العباس بن مرداس: ١٦٧. وعجزه:

لقد هان من بالت عليه الثعالب

وقيل: إن الثعلبان ذكر الثعالب، والأنثى ثعالة.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة الروم، الآية: ١٣.

كريماً» إنما أردته هو نفسه. ومنه قوله (١):

وَلَمْ يَشْهَدْ الْهَيْجَا بِاللَّوْثِ مُعْصِمِ

أراد نفسه.

والزائدة، قولك: «هزرت برأسي»، و«لا يقرأ بالسور».

وباء الابتداء قولك: «باسم الله» المعنى: أبدأ باسم الله.

وباء القسم، قولك: «أقسم بالله» ثم يحذف «أقسم» فيقال: «بالله». فإن

أرادوا أن يُقسموا بمُضَمَّرٍ لم يقولوه إلا بالباء يقولون: «والله» فإذا أضمرُوا قالوا:

«به لا فعلت» قال (٢):

أَلَا نَادَتْ أُمَامَةَ بَارِزِحَالَ لِتُحْزِنَنِي، فَلَا بِكَ مَا أُبَالِي

فأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ﴾ (٣) فقال قوم: الباء في

موضعها وأن العرب تعرف ذلك وتفعله. قال امرؤ القيس (٤):

فَإِنْ تَنَأَتْ عَنْهَا حَقَبَةٌ لَا تُلَاقِيهَا فَإِنَّكَ مِمَّا أَحَدَّثَتْ بِالْمُجْرَبِ

وقال قوم: إنما هو «بالمُجْرَبِ» بكسر الراء، ويكون معناه «كالمُجْرَبِ» كما

قال عدي (٥):

إِنِّي وَاللَّهِ فَاقْبَلْ حَلْفَتِي بِأَيْلٍ كُلِّمَا صَلَّى جَاؤُ

قالوا: معناه «كأبيل» وهو الراهب وبمنزلته في الدين والتقوى.

ومن روى بيت امرئ القيس بالفتح فالمعنى: «بموضع التجريب» كما قال

جلّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٦) أي بحيث يفوزون. وكذلك

«بالمُجْرَبِ» أي بحيث جُرِّبَتْ وبحيث التجريب، والمُجْرَبِ والتجريب واحد.

(١) المقاييس مادة (عصم) بلا عزو. وصدده:

إذا ما غدا لم يسقطِ الروع رمحه

(٢) لسان العرب مادة (با) ونسبته إلى غوية بن سلمى، وفي الخصائص: ١٩/٢.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

(٤) ديوانه: ٤٢ ط.

(٥) ديوان عدي بن زيد: ٦١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

كقولهم: «مُمَزَّق» بموضع تمزيق في قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^(١).

بابُ التاء

التاء: تزداد في الكلام أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة، فزيادتها في الاسماء أولى في نحو: «تَنْضُب»^(٢) و«تَنْفُل»^(٣)، وفي الفعل «تَفَعَّل» وما أشبهه، والثانية نحو «اقتدر»، والثالثة «استفعل»، والرابعة «سَنَبَتُهُ من الدهر»^(٤) لأن الأصل «سَنَبَةٌ»، والخامسة مثل «عفريت»، والسادسة مثل «عنكبوت».

ومن التاء: تاء القسم نحو «تالله»، قالوا: هي عِوَض من الواو كقولهم: «تُجَاه» و«تُكْلَان».

وتقع في جمع المؤنث نحو «قائمات».

وتكون بدلاً من الهاء في لغة من يقول: «ليست عندنا عربيت».

وتاء تدخل على «ثُمَّ» و«رُبَّ» و«لَا»، كقولهم ثُمْتُ وِرْبَتَ ولاتَ حِينٍ. وناس يقولون: هي داخلة على «حين».

وتاء المؤنث نحو «هي تفعل».

وتاء النفس نحو: «فَعَلْتُ» و«فَعَلْتَ» في المَخَاطَبَةِ، و«فَعَلْتِ» و«فَعَلْتِ» في الإخبار عن المؤنث^(٥):

يا قبح الله بني السُعَلَاتِ عَمْرُو بن مسعود شرارِ النّاتِ

وأما التاءُ

فلا أعرف لها عِلَّةً، ولا تقع زائدة.

(١) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٢) التنضب: شجر حجازي شوكة كشوك العوسج.

(٣) التنفل: الثعلب أو جروه.

(٤) السَنَبَةُ: الدهر أو الحقبة.

(٥) لسان العرب مادة (نوت)، وفي الإنصاف: ١١٩/١، ونسبته إلى علباء بن أرقم.

وكذلك الجيم

إلا في الذي ذكرناه من اللغات المستكرهة .

والحاء والخاء

فلا أعرف لهما علةً .

والدال

لا علة لها إلا في لغة من يقلب التاء دالاً . فحدثنا عليّ، عن محمد بن فرح، عن سلمة، عن الفرّاء، قال: قوم من العرب يقولون: «أجدبيك» في موضع «أجتبيك» يجعلون تاء الافتعال بعد الجيم دالاً، ويقولون: «أجدمعوا» وأنشد^(١):

فقلت لصاحبي: لا تحبسانا بنزع أصوله واجدزّ شيحا

والراء

لا أعرف لها علة . وكذلك الزاي .

وأما السين

فإنها تزداد في «استفعل» . ويختصرون «سوف أفعل» فيقولون: «سأفعل» . ولا أعرف للسين علة غير الذي ذكرناه في الحروف المستكرهة وكذلك في الحروف التي بعدها حتى العين .

وعلة العين أنها تقوم مقام الهمزة في لغة بني تميم فيقولون: «علمت عنّ ذاك» كأنما أراد «أن» .

وكذلك الحروف التي بعدها حتى الفاء .

باب الفاء

قال البصريون: «مررت بزيد فعمره، الفاء أشركت بينهما في المرور

(١) خزانة الأدب: ١٧/١١، وفي شرح شواهد الشافية: ٤٨١ ونسبته إلى مضرّس بن ربيعي .

وجعلت الأول مبدوءاً به».

وكان الأخفش يقول: الفاء تأتي بمعنى الواو» وأنشد^(١):

بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

وخالفه بعضهم في هذا فقال: ليس في جعل الشاعرِ الفاء في معنى الواو فائدةً، ولا حاجة به إلى أن يجعل الفاءَ في موضع الواو ووزنُ الواو كوزن الفاء. قال: وأصل الفاء أن يكون الذي قبلها علةً لما بعدها. يقال: «قام زيد فقام الناس».

وزعم الأخفش أن الفاء تُزاد، يقولون: «أخوك فَجَهْدٌ» يريد: أخوك جَهْدٌ، واحتجَّ بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾^(٢).

وكان قُطْرُبٌ يقول بِقَوْلِ الأَخْفَشِ، يقول: إن الفاء مثلُ الواو في: «بين الدخول فَحَوْمَلٍ» قال: ولولا أن الفاء بمعنى الواو لفسد المعنى، لأنه لا يريد أن يُصَيِّرَهُ بَيْنَ الدَّخُولِ أَوْلَا ثَم بَيْنَ حَوْمَلٍ وهذا كثير في الشعر.

وتكون الفاء جواباً للشرط. تقول: «إِن تَأْتِنِي فَحَسَنٌ جَمِيلٌ». ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾^(٣)، دخلتِ الفاء لأنه جعل الكفر شريطة كأنه قال: ومن كفر فتعسا له.

وَأَمَّا الْقَافُ

فلا أعلم لها علةً إلّا في جعلهم إياها عند التعريب مكان الهاء نحو: «يَلْمَقُ».

باب الكاف

تقع الكاف مخاطبة: للمذكر مفتوحة، وللمؤنث مكسورة. نحو: «لَكَ» و«لِكِ».

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٩، وصدرة:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ٨.

وتدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم. نحو: «زيد كالأسد»، وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلاً من الإعراب، ولذلك يقولون: «مررت بكالأسد» أرادوا بمثل الأسد، وأنشدوا^(١):

على كالخفيف السَّحْق يدعو به الصدى له قُلبٌ عَادِيَةٌ وَصُحُونُ

فأما الكاف في قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(٢) فقال

البصريون: هذه الكاف زائدة، زيدت لمعنى المخاطبة. قال محمد بن زيد: وكذلك رُوِيْدَكَ زِيداً. قال: والدليل على ذلك أنك إذا قلت أَرَأَيْتَكَ زِيداً؟ فإنما هي أَرَأَيْتَ زِيداً؟ لأن الكاف لو كانت اسماً لاستحال أن تُعَدِّي «أَرَأَيْتَ» إلى مفعولين إلّا والثاني هو الأول. يريد قولهم: «أَرَأَيْتَ زِيداً قائماً؟» لا يتعدى «رَأَيْتَ» إلى مفعولين إلّا إلى مفعول هو «زيد»، ومفعول آخر هو «قائم» فالأول هو الثاني. قال: و«أَرَأَيْتَكَ زِيداً؟» الثاني غير الكاف، قال: وإن أردت رؤية العين لم يتعدّ إلّا إلى مفعول واحد. قال: ومع ذلك إن فعل الرجل لا يتعدى إلى نفسه فيتصل ضميراً إلّا في باب «ظَنَنْتَ» و«عَلِمْتَ». فأما ضَرَبْتَنِي وَضَرَبْتَكَ فلا يكون. وكذلك إذا قلت: «رُوِيْدَكَ زِيداً» إنما يُراد «أرودُ زِيداً» قال الزجاج: الكاف في هذا المكان لا موضع لها لأنها ذكرت في المخاطبة توكيداً. وموضع هذا نصب بـ«أَرَأَيْتَكَ؟». وقال الكوفيون: إن محلّ هذه الكاف الرفع إذا قلنا «لولاك» فهي في موضع رفع. ثم نقول: «لولا أنت» وإنما صلّح هذا لأن الصورة في مثل هذا صورة واحدة في الرفع والنصب والخفض.

وتكون الكاف دالة على البعد. تقول: «ذا» فإذا بُعِدَ قلت: «ذاك».

وتكون الكاف زائدة كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣).

وتكون للعجب نحو: «ما رأيت كالיום ولا جلدٌ مُخْبَأَةٌ».

(١) لسان العرب مادة (خفف). الخفيف: أراداً الكتان، والطريق. السَّحْق: الثوب البالي.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

باب اللام

اللام: تقع زائدة في موضعين: في قولهم: «عبدل»، وفي قولهم: «ذلك». واللام تكون مفتوحة ومكسورة: ففي المفتوحات لام التوكيد وربما قيل: لام الابتداء نحو قوله جل ثناؤه: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾^(١). وقال:

لَلْبُسِّ عَبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ^(٢)
وتكون خبراً لـ «إن»: إن زيدا لقائم.

ولام التوكيد: إن هذا لأنت.

وتكون في خبر الابتداء نحو: «أم الحُلَيْسِ لعجوز».

وزعم ناس أنها تقع صلة لا اعتبار بها. ويزعم أنه اعتبر ذلك من قراءة بعض القراء «إلا أنهم ليأكلون» ففتح «أن» وألغى اللام، وأنشد بعض أهل العربية^(٣):

وأعلمُ علماً ليس بالظنِّ أنه متى ذلَّ مولى المرء فهو ذليلٌ
وأن لسان المرء - ما لم تكن له حصاة - على عوراته لدليل

واللام تكون جوابَ قَسَمٍ «والله لأقومن» وتلزمها النونُ فإن كانت للماضي لم يُحتججَ إلى النونِ «والله لقام».

ولام الاستغاثة نحو قولهم: «يا للنَّاسِ» فإن عَطَفْتَ عليها أخرى كَسَرْتَ. يُنشدون:

يُبْكِيكَ نَاءٌ بَعِيدُ الدَّارِ مُعْتَرِبٌ يَا لِلْكَهُولِ وَلِلشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ^(٤)

قال بعض أهل العلم: إن لام الإضافة تجيء لمعان مختلفة:

منها أن تصيرَ المُضَافَ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ. نحو: ﴿والله ما في السماوات﴾^(٥).

(١) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٢) خزانة الأدب: ٥٠٣/٨، ونسبته إلى ميسون بنت بحدل الكلابية. والمقتضب: ٢٧/٢. والشفوف جمع الشَّف: الثوب الرقيق.

(٣) ديوان طرفة: ١١٢. والمراد بالبيت الثاني أن الإنسان العاقل يتحلَّى بالروية فيتحكم بلسانه كي لا ييوح بما يجب أن يكتمه.

(٤) المقتضب: ٢٥٦/٤ بلا عزو. وفيه: وللشبان للعجب. وفي الخزانة: ١٥٤/٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٩.

ومنها أن تكون سبباً لشيء، وعِلَّةٌ له، مثل: ﴿إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾^(١).

ومنها أن تكون إرادة. نحو «قُمْتُ لأضرب زيداً» بمعنى: قمت أريد ضربه.

ومنها أن تكون بمعنى «عند» مثل قوله جل ثناؤه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢) و﴿لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي عنده.

ومنها أن تكون بمنزلة «في». مثل قوله جل وعزّ: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾^(٣) أي في أول الحشر.

ومنها أن تكون لمرور وقت. نحو قول النابغة^(٤):

تَوَهَّمْتُ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِنَّةِ أَعْوَامِ وَذَا الْعَامِ سَابِعُ
ومنه قولهم: «غلام له سنة» أي أتت عليه سنة.

وتكون بمعنى «بعد» مثل قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته»^(٥) أي بعد رؤيته.

وتكون للتخصيص، نحو: «الحمد لله»، وفي الكلام «الفصاحة لقريش والصباحة لبني هاشم»^(٦).

وتكون للتعجب، نحو: «الله دَرُّهُ!» ويُشَدُّون^(٧):

الله يبقى على الأيام ذو حيدٍ بمُشْمَخِرٍ به الظَّيَّانُ والآسُ
ويقولون: «يا لِلْعَجَبِ!» معناه: يا قوم تعالوا إلى العجب وللعجب أدعوا.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

(٢) سورة طه، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٢.

(٤) ديوان النابغة الذبياني: ٧٩.

(٥) تمام الحديث: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، رواه النسائي: صيام ٨، وأحمد: ٣٢١/٤.

(٦) الصبّاحة: الجمال.

(٧) المقتضب: ٣٢٤/٢، بلا عزو. وفي شرح شواهد الإيضاح ص ٥٤٤ لأبي ذؤيب الهذلي. والحيد:

جمع الحيد: ما شخص من نواحي الشيء، وكل نتوء في قرن أو جبل. والمشمخ: الجبل العالي الأس: ضرب في الشجر الواحدة: آسة. والظيان: ياسمين البرّ وهو نبت يشبه النسرين. والبيت في لسان العرب: مادة (شمخر) و(ظين)، وفيه: تالله يبقى... وقوله يبقى يريد: لا يبقى.

وقد تجتمع التي للنداء والتي للعجب فيقولون^(١):

ألا يا لقومٍ لَطِيفِ الخيالِ يُؤرِّقُ من نازِحِ ذي دلالِ
وتكون للأمر. نحو: ﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾^(٢) وربما حُذفت هذه فيقولون^(٣):

محمد تَفَدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ

وقالوا في لام الأمر: كان الأصل «اذهب» فلما سقطت الألف لم يوصل إلى الفعل إلا بلام، لأن الساكن لا يُبدأ به.

وقوله جَلِّ ثَنَاؤَهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ﴾^(٤) فقال قائل: لمَ جاز أن تكون المَغْفِرَةُ جزاءً لما امتنَّ به عليه وهو قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن الفتح وإن كان من الله جَلِّ ثَنَاؤَهُ فكل فعل يفعله العبد من خير فالله الموفق له والمُيسِّر، ثم يجازي عليه، فتكون الحسنة من العبد مِنَّةً من الله جَلِّ وَعَزَّ عليه. وكذلك جزاؤه له عنها منه. والوجه الآخر أن يكون قوله جَلِّ ثَنَاؤَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾^(٥) فأمره بالاستغفار إذا جاء الفتح، فكأنه أعلمه أنه إذا جاء الفتح واستغفر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكأن المعنى على هذا الوجه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، فإذا جاء الفتح فاستغفر ربك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقال قوم: فتحنا لك في الدين فتحاً مبيناً لتتهدي به أنت والمسلمون فيكون ذلك سبباً للغفران.

ومن اللامات لام العاقبة، قوله جَلِّ ثَنَاؤَهُ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٦) وفي أشعار العرب ذلك كثير:

جاءت لِنُطْعَمِهِ لِحْمًا وَيَفْجَعَهَا بَابِنِ، فَقَدْ أَطْعَمَتْ لِحْمًا وَقَدْ فَجَعَا

(١) شرح أشعار الهذليين: ٤٩٤/٢، وفي خزائن الأدب، ٤٢٠/٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٩.

(٣) شرح شذور الذهب: ٢٧٥، وفي المقتضب: ١٣٢/٢ بلا نسبة. وعجزه:

إذا ما خفت من شيء تبالا

(٤) سورة الفتح، الآية: ١.

(٥) سورة النصر، الآية: ١.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨.

وهي لم تجيء لذلك، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك، لكن صارت العاقبة ذلك.

ومن الباب قوله جل ثناؤه: ﴿رَبَّنَا لِيَضَلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾^(١) أي: آتيتهم زينة الحياة فأصارهم ذلك أن ضلُّوا. وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا...﴾^(٢) هي لام العاقبة.

وتكون زائدة. نحو ﴿هَمَّ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٣)، و﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٤).

باب زيادة الميم

والميم تزداد أولى في مثل: مُفَعَّلٌ وَمِفْعَلٌ وَمَفْعَلٌ وغير ذلك. وتزداد في أواخر الاسماء، نحو: زُرُقُمٌ وَشَدَقُمٌ.

والنون

تزداد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة.

فالأولى: «نَفَعَلٌ». وقالوا: «نَزَجِسٌ»، وليس نرجس من كلام العرب، والنون لا تكون بعدها راء. والثانية: نحو «نَاقَةٌ عَنَسَلٌ»، والثالثة: في «قَلَنَسُوءَةٌ»، والرابعة: في «رَعَشَنٌ»، والخامسة: في «صَلَتَانٌ»، والسادسة: في «زَعْفَرَانٌ».

وتكون في أول الفعل للجمع، نحو «نخرج».

وعلاوة للرفع في: «يخرجان»، فإذا قلنا: الرجلان، فقال قوم: هي عوض من الحركة والتنوين. وقال آخرون: هي فرق بين الواحد المنصوب والاثنين المرفوعين.

وتقع في الجمع نحو: «مسلمون» وربما سقطت فقالوا^(٥):

(١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٥) لسان العرب: مادة (وكف)، ونسبته إلى عمرو بن امرئ القيس، وقيل لقيس بن الخثيم، وتمايم البيت: =

الحافظو عورة العشيرة

وتكون ثانية فعل المطاوعة نحو: «انكسر» و «بَغَيْتُهُ فأنبغى».

وتكون للتأكد مُخَفِّفَةٌ ومُثَقِّلَةٌ. نحو: «اضْرِبَنَّ» و «اضْرِبَنَّ» إلا أنها تقلب عند التخفيف في الكتاب ألفاً. نحو «لَسْفَعاً».

وتكون للمؤنثة، نحو «تفعلين» وللجماعة «تفعلن».

وتلحق آخر الاسم في: «زيدٌ خرج»، فَرَقَ بين المفرد والمضاف.

ويقولون: فرقا بين ما يجري وما لا يجري. وقالت الجماعة: إنما اختيرت النون لأنها أشبه بحروف الإعراب من جهة الغنة.

ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة، وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها باء تنقلب ميماً نحو: «عَنْبِرٌ» و «سُنْبَاءٌ».

والهاء

تَزَادُ في «يا زَيْداه»، وفي «سُلْطَانِيهِ» وهم يسمونها استراحة وبيان حركة. وللوقف على الكلمة نحو «عِه» و «شِه» و «أَقْتِدِه».

باب الواو

لا تكون الواو زائدة أولى. وقد تزداد ثانية وثالثة ورابعة وخامسة.

فالثانية نحو: «كوثر». والثالثة نحو: «جدول». والرابعة نحو: «قَرْنُوَةٌ»^(١). والخامسة نحو: «قَمَحْدُوَةٌ»^(٢).

وتكون لِلسَّقِ، وهو العطف، نحو: «زيد وعمرو».

وتكون علامة رفع نحو: «أخوك والمسلمون».

= والحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائهم وكف
(١) القَرْنُوَةٌ: الهرنوة أو عشبة أخرى، ولا نظير لهما سوى عَرْقُوَةٌ وعَنْصُوَةٌ، وترْقُوَةٌ وثَنْدُوَةٌ.
(٢) القَمَحْدُوَةٌ: الهمة الناشزة فوق القفا وأعلى القَدَالِ خلف الأذنين.

فإذا قالوا: «يُعجني ضَرْبُ زيدٍ وتَغَضَّبَ» فقال قوم: نُصِبَ «تَغَضَّبَ» على إضمار «أن» معناه وأن تغضب فيصيرُ في معنى المصدر. كأنك قلت «يعجني ضَرْبُ زيدٍ وغَضْبُكُ» فتخرج بذلك من أن تكون ناسِقةً فعلاً على اسم. ويقولون^(١):

للبُّسُ عباءةٌ وتَقَرَّرَ عيني

بمعنى وأن تقرَّ عيني. فإن نَسَقْتَ فعلاً على فعل مجموعين فأعربهما واحد نحو «يقوم ويضرب زيداً» فإن لم تُرد الجمعَ بينهما نصبتَ الثاني فيقال نَصَبَ بإضمار «أن» يقولون: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن» و^(٢):

لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلُهُ

وتكون بمعنى الباء في القَسَمِ نحو: «والله».

وتكون الواو مُضْمَرَةً في مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا﴾^(٣) التأويل: ولا على الذين - إذا ما أتوك لتحملهم وقلت: لا أجد ما أحملكم عليه - تولوا. فجواب الكلام الأول تولوا.

وتكون بمعنى «رُبَّ». نحو: «وَقَاتِمِ الأعْمَاقِ».

وتكون بمعنى «مَعَ» كقولهم: «استوى الماء والخشبة» أي مع الخشبة وأهل البصرة يقولون في قوله جلّ ثناؤه: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾^(٤) معناها مع شركائكم. كما يقال: «لو تُركت الناقة وفصيلها» أي مع فصيلها.

وقال آخرون: أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم، اعتباراً بقوله جلّ وعزّ: ﴿وادعوا من استطعتم﴾^(٥).

(١) البيت لميسون بنت بحدل الكلابية كما في خزنة الأدب: ٥٠٣/٨، والمقتضب: ٢٧/٢. وشرطه:

أحب إلي من لبس الشُّفوفِ

(٢) لأبي الأسود الدؤلي، ديوانه: ٤٠٤، وبلا عزو في المقتضب: ٢٦/٢. وعجزه:

عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٥) سورة هود، الآية: ١٣.

وتكون صِلَةً زائِدَةً كقوله جَلَّ وعز: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) المعنى إلا لها .

وتكون بمعنى «إذ» كقوله جَلَّ وعز: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾^(٢) يريد إذ طائفة . وتقول: «جئت وزيدٌ ركب» أي: إذ زيد .

قال قوم: للواو معنيان: معنى اجتماع ومعنى تفرُّق نحو: «قام زيد وعمرو» . وإن كانت الواو في معنى اجتماع لم تُبَلَّ بأيهما بدأت . وإن كانت في معنى تفرُّق فعمرو قائم بعد زيد .

وذهب آخرون إلى أن الواو لا تكون إلا للجمع . قالوا: إذا قلت: «قام زيد وعمرو» جاز أن يكون الأمر وقع منهما جميعاً معاً في وقت واحد، وجاز أن يكون الأول تقدم الثاني، ونكتة بابها أنها للجمع .

وتكون الواو عَطْفًا بالبناء على كلام يُتَوَهَّمُ وذلك قولك - إذا قال القائل: «رأيتُ زيداً عند عمرو»: قلتَ أنتَ: «أَو هو ممن يُجالسه؟» قال البصريون: معناه كأنَّ قائلاً قال: «هو ممن يجالسه»، فقلتَ أنتَ: «أَو هو كذاك؟» . وفي القرآن: ﴿أَوِ امْنِ أَهْلُ الْقُرَى﴾^(٣)، وكذلك قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿أَنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا؟﴾^(٤) فليس بأو إنما هي واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام كأنه لما قيل لهم: ﴿إِنكُمْ مَبْعُوثُونَ﴾^(٥) وآبَاؤُكُمْ استفهموا عنهم .

وتكون الواو مُقَحَّمَةً كقوله جَلَّ ثناؤه: ﴿فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾^(٦) أراد - والله أعلم - فاضرب به لا تحنث، جزماً على جواب الأمر، وقد تكون نهياً والأول أجود . وكذلك: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾^(٧) أراد «لنعلمه»، وقد قيل: «ولنعلمه فعلنا ذلك» . وكذلك: ﴿وَاحْفَظْ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾^(٨) أي:

(١) سورة الحجر، الآية: ٤ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٨ .

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦ ، ١٧ .

(٥) سورة هود، الآية: ٧ .

(٦) سورة ص، الآية: ٤٤ .

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢١ .

(٨) سورة الصافات، الآية: ٧ .

«وحفظاً فعلنا ذلك». وقوله^(١):

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى

قيل: هي مُقْحَمَةٌ. وقيل: معناه أَجَزْنَا وَانْتَحَى.

باب الياء

«الياء» تُرَادُ أُولَى وَثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً وَخَامِسَةً.

فالأولى «يَرْمَعُ»^(٢) و«يَرْبُوعٌ»^(٣). والثانية «حَيْدَرٌ»^(٤). والثالثة «خَفِيدٌ»^(٥). والرابعة «إِصْلِيَّتٌ»^(٦) والخامسة «ذَفَارِيٌّ»^(٧).

وتكون أولى في الأفعال نحو: «يضرب».

وللإضافة نحو: «عِبَادِي».

وللثنوية والجمع نحو: «الزَيْدَيْنِ» و«الزَيْدِينَ».

وتكون علامة للتحفُّض نحو: «أخيك».

وللثانوية نحو: «اسْتَغْفِرِي».

وللتنصُّغ نحو: «بَيْتٌ».

وللنسب نحو: «كُوفِي».

(١) ديوان امرئ القيس: ٤١، وعجزه:

بنا بطن خَبَّتْ ذِي حَقَافِ عَقَنْقَلِ

(٢) اليرمَعُ: الخُدروف يلعب به الصبيان، وحجارة رخوة إذا فتت انفتت.

(٣) اليربوع: دابة، ولحمة المتن.

(٤) الحيدر: الأسد، والغلام السمين، أو الحسن الجميل.

(٥) الخفيدد: السريع، والظليم.

(٦) الإصليت: الرجل الماضي في الحوائج، والسيف الصقيل الماضي.

(٧) الذفاري: جمع الذفري، من جميع الحيوان: العظم الشاخص خلف الأذن.

باب القول على الحروف المفردة الدّالة على المعنى

وللعرب الحروف المفردة التي تدلّ على المعنى، نحو التاء في: «خَرَجْتُ»، و «خَرَجْتَ»، ونحو الياء في «ثُوبِي» و «فَرَسِي».

ومنها حروف تدلّ على الأفعال نحو: «إِ زِيداً» أي عِدُهُ. و «ح» من وحيثُ، و «د» من ودَيْتُ، و «ش» من وشَيْتُ، و «ع» من وعَيْتُ، و «ف» من وفَيْتُ، و «ق» من وقَيْتُ، و «ل» من ولَيْتُ، و «ن» من ونَيْتُ، و «ه» من وهيت. إلا أنّ حُذَاق النحويين يقولون في الوقف عليها: «شِه» و «دِه»، فيقفون على الهاء.

ومن الحروف ما يكون كناية، وله مواضع من الإعراب نحو قولك: «ثوبه»، فالهاء كناية لها محلّ من الإعراب.

ومنه ما يكون دلالة له مثل «رأيتها»، فالهاء اسم له محلّ والميم والألف علامتان لا محلّ لهما، فعلى هذا يجيء الباب.

فأمّا الحروف التي في كتاب الله جلّ ثناؤه فواتح سور فقال قوم: كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله، فالألف من اسمه «الله»، واللام من «لطيف»، والميم من «مجيد». فالألف من آلائه واللام من لطفه والميم من مجده. يُروى ذا عن ابن عباس وهو وجه جيّد، وله في كلام العرب شاهد، وهو:

قلنا لها: قفي، فقالت: قاف

وقال آخرون: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي يقرأه محمد ﷺ هو الكتاب الذي أنزله الله جلّ ثناؤه لا شك فيه. وهذا وجه جيد، لأن الله جلّ وعزّ دلّ على جلاله قدر هذه الحروف، إذ كانت مادّة

البيان ومباني كتب الله عزّ وجلّ المنزلة باللغات المختلفة، وهي أصول كلام الأمم، بها يتعارفون، وبها يذكرون الله جلّ ثناؤه. وقد أقسم الله جلّ ثناؤه في كتابه بالفجر والطور وغير ذلك، فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها.

وقال قوم: هذه الأحرف من التسعة وعشرين حرفاً دارت بها الألسنة، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه جلّ وعزّ، وليس منها حرف إلا هو في آياته وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم: فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون. رواه عبدالله بن جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، وهو قول حسن لطيف، لأنّ الله جلّ ثناؤه أنزل على نبيه محمد ﷺ الفرقان، فلم يدع نظماً عجيباً ولا علماً نافعاً إلا أودعه إياه، علم ذلك من علمه وجهله من جهله. فليس مُنكراً أن ينزل الله جلّ ثناؤه هذه الحروف مشتملة - مع إيجازها - على ما قاله هؤلاء.

وقولُ رُوي عن ابن عباس في ﴿الم﴾^(١): «أنا الله أعلم». وفي ﴿المص﴾^(٢): «أنا الله أعلم وأفضل». وهذا وجه يقرب مما مضى ذكره من دلالة الحرف الواحد على الاسم التام والصفة التامة.

وقال قوم: هي أسماء للشُّور ف ﴿الم﴾ اسم لهذه و ﴿حم﴾^(٣) اسم لغيرها. وهذا يُؤثّر عن جماعة من أهل العلم، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، فكذلك هذه الحروف في أوائل الشُّور موضوعة لتمييز تلك الشُّور من غيرها.

فإن قال قائل: فقد رأينا ﴿الم﴾ افتتح بها غير سورة، فأين التمييز؟ قلنا: قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين، ثم يميز ما يجيء بعد ذلك من صفة ونعت كما قيل: «زيد وزيد»، ثم يميزان بأن يقال: «زيد الفقيه» و «زيد العربي» فكذلك إذا

(١) سورة البقرة، الآية: ١، سورة آل عمران الآية: ١، سورة العنكبوت، الآية: ١، سورة الروم، الآية: ١، سورة لقمان، الآية: ١، سورة السجدة، الآية: ١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١.

(٣) سورة غافر، الآية: ١، سورة الشورى، الآية: ١، سورة الزخرف، الآية: ١، سورة الدخان، الآية: ١، سورة الجاثية، الآية: ١، سورة الأحقاف، الآية: ١، سورة فصلت، الآية: ١.

قرأ القارىء ﴿الم ذلك الكتاب﴾^(١) فقد ميّزها عن التي أولها ﴿الم الله لا إله إلا هو﴾^(٢).

وقال آخرون: لكل كتاب سرٌّ وسرّ القرآن فواتح السور. وأظنّ قائل هذا أراد أن ذلك من السرّ الذي لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم والراسخون فيه.

وقال قوم: إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم لبعض: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾^(٣) فأنزل الله تبارك وتعالى هذا النظم ليتعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده، فترق حينئذ القلوب وتلين الأفتدة.

وقول آخر: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعاً، وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن فيما بين ظهيريم أنه بالحروف التي يعقلونها فيكون ذلك تقريعاً لهم ودلالة على عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد أن أعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها.

قال أحمد بن فارس: وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا: إن أولى الأمور أن تجعل هذه التأويلات كلّها تأويلاً فيقال: إن الله جلّ وعزّ افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد. فتكون الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً للسور، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله جلّ ثناؤه، وأن يكون الله جلّ ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قسماً بها، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله جلّ وعزّ في أنعامه وأفضاله ومجده، وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع إلى القرآن من لم يكن يستمع، وأن فيها إعلماً للعرب أن القرآن الدال على صحّة نبوة محمد ﷺ هو بهذه الحروف، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم، وأن كلّ عدد منها إذا وقع في أول سورة فهو اسم لتلك السورة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

وهذا هو القول الجامع للتأويلات كلها من غير اطراح لواحد منها، وإنما قلنا هذا لأن المعنى فيها لا يمكن استخراجها عقلاً من حيث يزول به العذر، لأن المرجع إلى أقاويل العلماء، ولن يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالطعن وهم من العلم بالمكان الذي هم به، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق. والله أعلم بما أراد من ذلك.

باب الكلام في حروف المعاني

رأيتُ أصحابنا الفقهاء يضمنون كتبهم في أصول الفقه حروفاً من حروف المعاني، وما أدري ما الوجه في اختصاصهم إياها دون غيرها. فذكرت عامة حروف المعاني رسماً واختصاراً، فأول ذلك ما كان أوله ألف:

باب أم

«أم» حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل نحو «أزيد عندك أم عمرو؟».

ويقولون: ربما جاءت لقطع الكلام الأول واستئناف غيره، ولا يكون حينئذ من باب الاستفهام. يقولون: «إنها لإبلٌ أم شاء». ويكون ههنا - في قول بعضهم - بمعنى «بل» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿أم يقولون شاعرٌ﴾^(١) وينشدون^(٢):

كذبتك عينك، أم رأيتَ بواسطِ غَلَسِ الظلامِ من الربابِ خيالاً
وقال أهل العربية: أمررت برجل أم امرأة «أم» تُشرك بينهما كما أشركت بينهما «أو»؟.

وقال آخرون: في «أم» معنى العطف، وهي استفهام كالألف، إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف.

وقال قوم: هي «أو» أبدلت الميم من الواو لتحول إلى معنى، يريد إلى معنى «أو» وهو قولك في الاستفهام: «أزيد قام أم عمرو؟» فالسؤال عن أحدهما بعينه. ولو جئت بـ «أو» لسألت عن الفعل. وجواب أو «لا» أو «نعم»، وجواب أم «فلان» أم «فلان».

وقال أبو زيد: العرب تزيد «أم». وقال في قوله جلّ ثناؤه: ﴿أم أنا خيرٌ من

(١) سورة الطور، الآية: ٣٠.

(٢) ديوان الأخطل: ٢٤٥. الرباب: السحاب الأبيض. الغلس: ظلمة آخر الليل.

هذا الذي هو مَهِينٌ ﴿١﴾: معناه «أنا خير».

وكان سيبويه يقول: «أفلا تبصرون»: أم أنتم بصراء.

وكان أبو عبيدة يقول: «أم» يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله جلّ ثناؤه: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟﴾^(٢) بمعنى «أتريدون؟».

وقال أبو زكريا الفراء: العرب تجعل «بل» مكان «أم»، وأم مكان بل، إذا كان في أول الكلام استفهام. فقال^(٣):

فوالله ما أدري أسلمى تغولت أم النوم، أم كلُّ إليّ حبيب

معناه: «بل».

فأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾^(٤) فقيل: أظننت يا محمد هذا، ومن عجائب ربك جلّ وعزّ ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف؟.

وقال آخرون: «أم» بمعنى ألف الاستفهام كأنه قال: «أحسبت؟» و«حسبت» بمعنى «علمت»، ويكون الاستفهام في «حسبت» بمعنى الأمر كما تقول لمن تخاطبه: «أعلمت أن زيدا خرج؟» بمعنى أمر، أي اعلم أن زيدا خرج. قال: فعلى هذا التدريج يكون تأويل الآية: اعلم يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً.

باب أو

أو: حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشكّ: «أزيد عندك أو بكر؟» تريد «أحدهما عندك؟» فالجواب «لا» أو «نعم». وإذا جعلت مكانها «أم» فأنت مثبت أحدهما غير أنك شاكٌّ فيه بعينه فتقول: «أزيد عندك أم عمرو؟» فالجواب «زيد» أم «عمرو».

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٣) لسان العرب: مادة (درک) بلا عرو.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩.

وتكون «أو» للتخيير كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فِإِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(١).

وتكون للإباحة تقول: «خذ ثوباً أو فرساً».

وأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٢) فقال قوم: هذا يُعَارِضُ وَيُقَابِلُ بِضَدِّهِ فيصح المعنى ويبين المراد، وذلك أنا نقول: «أطع زيداً أو عمراً» فإنما نريد أطع واحداً منهما، فكذا إذا نَهَيْتَاهُ وقلنا: «لا تطع زيداً أو عمراً» فقد قلنا لا تطع واحداً منهما.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٣) فقال قوم: هي بمعنى الواو «يزيدون». وقال آخرون: بمعنى «بل». وقال قوم: هي بمعنى الإباحة كأنه قال: إذا قال قائل: «هم مائة ألف» فقد صدق. وقول القائل: «مررت برجل أو امرأة» فقد أشركت «أو» بينهما في الخفض وأثبتت المرور بأحدهما دون الآخر.

وتكون «أو» بمعنى «إلا أن» تقول «لألزمتك أو تعطيني حقي» بمعنى إلا أن تعطيني. قال امرؤ القيس^(٤):

فقلتُ له لا تبك عينك، إنَّما نُحاولُ مُلكاً أو نموتُ فُتُعدراً

وزعم قوم أن «أو» تكون بمعنى الواو ويقولون: كل حق لها داخل فيها أو خارج منها، وكل حق سميناه في هذا الكتاب أو لم نسمه وإن شئت قلت بالواو وأنشدوا^(٥):

فذلكما شهرين أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكما ما عَيَّيتني غيايبا

وكان الفراء يقول في «مائة ألف أو يزيدون»: بل يزيدون. وقال بعض البصريين منكرها لها: لو وقعت «أو» في هذا الموضع موقع «بل» لجاز أن تقع في غير هذا الموضع وكنا نقول «ضربت زيداً أو عمراً» على غير الشك لكن بمعنى

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٤) ديوانه: ٩٥.

(٥) الخصائص: ٢/٤٦٠ بلا عزو، وبهامشه لابن أحمر، وفيه: ألا فالبثا شهرين.

«بل»، وهذا غير جائز قالوا: ووجه آخر أن بل تأتي للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله جلّ ثناؤه، فإن أتى ثناؤه بها بعد كلام قد سبق من غير القائل فالخطأ إنما لحق كلام الأول نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(١) فهم أخطأوا في هذا وكفروا به فقال جلّ وعزّ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. وزعم قوم أن معناها «أو يزيدون على ذلك».

قلنا: والذي قاله الفراء فقول قد تقدمه فيه ناس. وقول من قال: إن «بل» لا يكون إلا إضراباً بعد غلط أو نسيان فخطأ، لأن العرب تُنشد^(٢):

بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا

وهذا ليس من المعنيين في شيء.

فأما قوله «أو أشدّ قسوة» وما أشبهه من قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلِمَاحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(٣) أن المخاطب يعلمه، لكنه أبهمه على المخاطب وطواه عنه. وقال آخرون: بعضها كالحجارة وبعضها أشد قسوة. أي هي ضربان: ضرب كذا أو ضرب كذا.

باب إي وأي

إي: في زعم أهل اللغة يكون بمعنى «نعم» تقول «إي وربّي» أي: «نعم وربّي». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي﴾^(٤).

وأَي: معناها «يقول» ومثال ذلك أن تقول في تفسير «لا ريب فيه»: «أَي لا شك فيه»، المعنى: يقول لا شك فيه.

وسمعتُ أبا بكر أحمد بن علي بن إسماعيل الناقد يقول: سمعت أبا إسحاق الحربي يقول سمعت عمر بن أبي عمرو الشيباني يقول سألت أبي عن قولهم «أي»، فقال: كلمة للعرب تُشيرُ بها إلى المعنى.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٢) مغني اللبيب: ٤١٢/٢، وبهامشه للعجاج. وقد زيدت «بل» في أول الشطر.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٣.

باب إِنَّ وَأَنَّ وَإِنْ وَأَنَّ

قال الفراء: «إِنَّ» مقدرة لقسم متروك استغني بها عند التقدير: «والله إن زيدا عالم». وكان ثعلب يقول: «إن زيدا لقائم» هو جواب «ما زيد بقائم»، ف «إن» جواب «ما» و «اللام» جواب «الباء». وكان بعض النحويين يقول: «إن» مضارعة للفعل لفظاً ومعنى: أما اللفظ فللمفتحة فيها كما تقول: «قام». والمعنى في «أن» زيدا قائم: ثبت عندي هذا الحديث. وقال سيبويه: سألت الخليل عن رجل سميناه بـ «إن» كيف إعرابه؟ قال: بفتح الألف لأنه يكون كالاسم، وإذا كان بكسر الألف لكان كالفعل والأداة، ولذلك نُصب في ذاته لأنه كالفعل ومعناه الثبوت للخبر الذي بعده، ولذلك نصب به الاسم الذي يليه. ومما يدل على أن «إن» للتثبوت قول القائل^(١):

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضُوا مَهَلًا

وتكون «أن»: بمعنى «لعل» في قوله عز وجل: ﴿وما يشعرُكم أنها إذا جاءت﴾^(٢) بمعنى «لعلها إذا جاءت». وحكى الخليل: «أنت السوق أنك تشتري لنا شيئاً» بمعنى «لعلك».

و «أن» إذا كانت اسماً كانت في قولك: «ظننت أن زيدا قائم» فيكون «أن» والذي بعدها قصةً وشأنًا، نحو «ظننت ذلك» فيكون محله نصباً. وإذا قلت: «بلغني أن زيدا عالم» فهذا في موضع رفع. وإذا قلنا: «عجبت من أن زيدا كلمك» فمحله خفض على ما رتبناه من أنه اسم.

وأما «إن»: فإنها تكون شرطاً، تقول: «إن خرجت خرجت». وتكون نفيًا كقوله جل وعز: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾^(٣). وكقول الشاعر^(٤):

وما إن طبتنا جنباً

(١) الأعمش، ديوانه: ١٥٤. وفيه: مضى مهلاً.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٠.

(٤) خزنة الآداب: ١١٢/٤، ونسبته إلى فروة بن مسيك، وفيه: وما إن طبتنا جنب.

وتكون بمعنى «إذ» قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)
بمعنى «إذ» لأنه جلّ وعزّ لم يخبرهم بعلوهم إلا بعدما كانوا مؤمنين .

وزعم ناس أنها تكون بمعنى «لقد» في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٢) بمعنى: «والصومُ خيرٌ لكم»^(٣) .

وتكون بمعنى «إذ» تقول: «أعجبني أن خرجت»، و«فرحتُ أن دخلتَ الدار» .

وقد تُضمَر في قوله^(٤):

ألا أيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الوغَى

وتكون بمعنى «أي» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا﴾^(٥)
بمعنى: أي امشوا .

باب إلى

تكون «إلى» بمعنى الانتهاء، تقول: «خرجتُ من بغدادَ إلى الكوفة» .

وتكون بمعنى «مع» . قالوا في قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٦) :
بمعنى «مع الله» وقال قوم: معناها مَنْ يُضَيِّفُ نُصْرَتَهُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لِي؟
فيكون بمعنى الانتهاء، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى
أَمْوَالِكُمْ﴾^(٧) .

وربما قامت «إلى» مقام «اللام» قال الشَّمَاخُ^(٨):

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤ .

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٩ .

(٤) ديوان طرفة بن العبد: ٤٦، وعجزه:

وَأَنْ أَشْهَدُ اللِّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي

(٥) سورة ص، الآية: ٦ .

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٢ .

(٧) سورة النساء، الآية: ٢ .

(٨) ديوان الشَّمَاخ: ١٢٢ . والشَّمَاخ هو ابن ضرار الغطفاني، شاعر مخضرم، مات سنة ٢٢ هـ .
وبجيلة: اسم قبيلة وهي بجيلة أيضاً . وخفاف ورَعَل ومطروود: أسماء .

فَالْحَقُّ بِبِجَلَّةَ، نَاسِبُهُمْ وَكُنْ مَعَهُمْ حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجْدًا غَيْرَ مَوْطُودٍ
وَاتَرَكَ تَرَاثَ خُفَافٍ إِنَّهُمْ هَلَكُوا وَأَنْتَ حَيٌّ إِلَى رِغْلٍ وَمَطْرُودٍ

يقول: اترك تراث خفاف لرعل ومطروود. وخفاف ورعل ومطروود بنو أب واحد. وأخبرنا علي بن إبراهيم القطان، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي قال: ألقى علي أعرابي هذا البيت فقال لي: ما معناه؟ فأجبتة بجواب، فقال لي: ليس هو كذا، وأجابني بهذا الجواب. وكان الذي أجابه به ابن الأعرابي أن خفافاً من غير رعل ومطروود.

باب أَلَا

«أَلَا» افتتاح كلام، وقد قيل: إن «الهمزة» للتنبيه و«لا» نفي لدعوى في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾^(١) فالهمزة تنبيه لمخاطب و«لا» نفي للإصلاح عنهم.

وفي كلام العرب كلمة أخرى تُشبهها لم تجيء في القرآن وهي «أما» وهي كلمة تحقيق إذا قلت «أما إنه قائم» فمعناه «حقاً إنه قائم».

باب إِنَّمَا

سمعت علي بن إبراهيم القطان يقول: سمعت ثعلباً يقول: سمعت سلمة يقول: سمعت الفراء يقول: إذا قلت «إنما قمت»، فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلا القيام، وإذا قلت: «إنما قام أنا» فإنك نفيت القيام عن كل أحد وأثبتته لنفسك.

قال الفراء: يقولون: «ما أنت إلا أخي» فيدخل في هذا الكلام الأفراد. كأنه ادعى أنه أخ وغير الأخوة، فنفي بذلك ما سواها. قال: وكذلك إذا قال: «إنما أنت أخي». قال الفراء: لا يكونان أبداً إلا رداً، يعني أن قولك «ما أنت إلا أخي» و«إنما قام أنا» لا يكون هذا ابتداءً أبداً وإنما يكون رداً على آخر، كأنه ادعى أنه أخ ومولى وأشياء أخرى، فنفاه وأقر له بالأخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيها كلها ما خلا القيام.

وقال قوم: «إنما» معناه التحقير، تقول: «إنما أنا بشر» محقراً لنفسك. وهذا

(١) سورة البقرة، الآية: ١١.

ليس بشيء، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١) فأين التحقير ها هنا؟
والذي قاله الفراء صحيح، وحجته قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ».

باب إلاً

أصل الاستثناء أن تَسْتَثْنِي شيئاً من جملة اشتملت عليه في أول ما لفظ به، وهو قولهم: «ما خَرَجَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا» فقد كان «زيد» في جملة الناس ثم أُخْرِجَ منهم، ولذلك سمي «استثناء» لأنه نُثِّيَ ذكره مرةً في الجملة ومرةً في التفصيل. ولذلك قال بعض النحويين: المستثنى خرج مما دخل فيه. وهذا مأخوذ من «الثنا» والثنا الأمر يثنى مرتين: قال رسول الله ﷺ: «لَا ثِنَا فِي الصَّدَقَةِ»^(٢) يعني لا تؤخذ في السنة مرتين. قال أوس^(٣):

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَعْتَنِي مَلَامَةً؟ لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتَهَا ثِنَاً
يقول: ليس هذا بأول لومها، فقد فعلته قبل هذا، وهذا ثناً بعده.

وقال بعض أهل العلم: «إلاً» تكون استثناء لقليل من كثير، نحو «قام الناس إلا زيداً». وتكون محققة لفعلٍ منفيٍّ عن اسمٍ قبلها، نحو «ما قام أحد إلا زيد». وتكون بمعنى «واو العطف» كقوله^(٤):

وَأَرَى لَهَا دَاراً بِأَغْدَرَةِ السَّيِّدِ سَدَانٍ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمٌ
إِلَّا رَمَاداً هَامِداً دَفَعْتُ عَنْهُ الرِّيَّاحَ خَوَالِدُ سُحْمٌ
أَرَادَ «وَرَمَاداً».

وتكون بمعنى «بل» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكُّرَةً﴾^(٥) بمعنى «بل تذكرة». ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٠.

(٢) رواه مسلم: هبة ٢٤، وبيوع ٨٥.

(٣) ديوانه: ١٤١. ولعله أراد أوس بن مغراء وهو شاعر تميمي مخضرم، مات سنة ٥٥ هـ. والبيت في ديوان كعب بن زهير: ٩ برواية: قطعني قلامه.

(٤) هو المخبّل السعدي، ربيع بن مالك شاعر مخضرم جاهلي إسلامي، انظر ديوانه: ٣١٢. وفي لسان العرب: مادة (إلا) سُحْمٌ: جمع أسحم: أسود.

(٥) سورة طه، الآية: ٣.

فبشّرهم بعداب أليم إلا الذين آمنوا^(١) معناه: والذين آمنوا - ﴿لهم أجرٌ غير ممنون﴾.

وتكون «إلا» بمعنى «لكن» وتكون من الذي يسمونها الاستثناء المنقطع، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى﴾^(٢) - معناه: لكن من تولى - ﴿وكفر﴾.

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء﴾^(٣) كان الفراء يقول: استثنى الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار، ومن ذلك هذه الآية. ثم قال: وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿والفواحش إلا اللّمم﴾^(٤) قال: هو مختصر، معناه «إلا أن يصيب الرجل اللّمم» واللمم أصغر الذنوب. والله جلّ ثناؤه لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيره. قال: ومما جاء في شعر العرب قول أبي خراش^(٥):

نجا سالم، والنفس منه بشدقه ولم ينجُ إلا جفن سيفٍ وممّزرا
فاستثنى الجفن والممّزر وليسا من سالم، وإنما هذا على الاختصار.
وأنشد^(٦):

وبلدة ليس بها أنيسُ إلا العافير وإلا العيسُ
معناه «لكن فيها» ومثله قوله جلّ ثناؤه: ﴿فإنهم عدوّ لي، إلا رب العالمين﴾^(٧) وأما قوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجةٌ، إلا الذين ظلموا﴾^(٨) فقال قوم أراد: «إلا على الذين ظلموا فإنّ عليهم الحجة» ويكون حينئذ «الذين» في موضع خفض ويكون أيضاً على «لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم» تبتدئه. وقال

(١) سورة السجدة، الآية: ٨.

(٢) سورة الفاشية، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٥٥٨/٢ ونسبته إلى حذيفة بن أنس الهذلي، وفي اللسان مادة (نفس) لأبي خراش، وهو خويلد بن مرة، شاعر مخضرم، مات سنة ١٥ هـ.

(٦) هو جران العود، عامر بن الحارث النميري مخضرم، انظر ديوانه: ٥٢.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

جلّ وعزّ: ﴿ولا تُجادلوا أهلَ الكتابِ إلّا بالتي هي أحسن، إلّا الذين ظلموا﴾^(١) فهذا قد انقطع من الأوّل ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله كأنه قال: «إلّا الذين ظلموا فجادلوهم بالتي هي أسوأ من لسانٍ أو يدٍ» أي أغلظ، يريد مشركي العرب. وقوله جلّ ثناؤه: ﴿لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ من القولِ، إلّا من ظلم﴾^(٢) قال قوم: إنما يريد المُكْرَهَ لأنه مظلوم فذلك عنه موضوع وإن نطق بالكفر. والاستثناء باب يطول.

وقد يُستثنى من الشيء الموحّد لفظاً وهو في المعنى جمع، نحو: ﴿إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ، إلّا الذين آمنوا﴾^(٣).

واستثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له مع الذي ذكرناه من حقيقة الاستثناء.

وإذا جَمَعَ الكلام ضرباً من المذكورات وفي آخره استثناء، فالأمر إلى الدليل فإن جاز رجع على جميع الكلام كان على جميعه كقوله جلّ ثناؤه: ﴿إنما جزاءُ الذين يحاربون اللهَ ورسولَه﴾^(٤) ثم قال: ﴿إلّا الذين تابوا﴾^(٥) والاستثناء جائز في كلِّ ذلك والذي يمنع منه الدليل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فاجلدوهم ثمانينَ جلدَةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً﴾^(٥) فالاستثناء هنا على ما كان من حق الله جلّ ثناؤه دون الجلد.

باب من الاستثناء آخر

قال قوم: لا يُستثنى من الشيء إلّا ما كان دون نصفه: لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة. وقال قوم: يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه. وهذه العبارة هي الصحيحة. فأما من يقول: يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة، قالوا: فيقال «عشرة إلا خمسة» حتى يبلغ التسعة. قالوا: ومن الدليل على أن نصف الشيء قد يستثنى من الشيء قوله جلّ ثناؤه: ﴿يا أيها المزملُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة العصر، الآية: ٢، ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٤.

قُم الليلَ إلا قليلاً^(١) ثم قال: ﴿نصفه﴾ أفلا تراه سمى النصف قليلاً واستثناه من الأصل؟.

قال أحمد بن فارس: واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على أبي عبد الله مالك بن أنس في قوله في الجائحة، لأن مالكا يذهب إلى أن الجائحة^(٢) إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله العوافي^(٣) من الطير وغيرها وما تلقيه الريح، فإذا بلغت الجائحة الثلث وما زاد فهي كثيرة ولزم وضعها للحديث المروي فيها. قال المعترض على أبي عبد الله مالك رضي الله تعالى عنه: فقد دقع هذا الفصل المعنى الذي ذهب إليه مالك، لأن قوله جلّ ثناؤه: ﴿قُم الليلَ إلا قليلاً﴾^(٤) قد جعل النصف قليلاً، فإذا كان نصف الشيء قليلاً منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف.

فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جعله الثلث كثيراً إلى حديث حدثناه علي بن إبراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «مرضت عام الفتح حتى أشرفت، فعادني رسول الله ﷺ فقلت: أي رسول الله إن لي مالا وليس يرثني إلا ابنتي أفأصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن ترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس» فبقول رسول الله ﷺ أخذ مالك، ورسول الله ﷺ أعلم بتأويل كتاب الله جلّ ثناؤه.

باب إيّا

«إيّا» كلمة تحضيض. إذا قلت: «إياك أردت» وكان الأصل «أردتك» فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به في «ضربت زيدا» لم تستقم كاف وحدها مقدمة على فعل فوصل بها «إيّا».

(١) سورة المزمل، الآية: ١.

(٢) الجائحة: الشدة المجتاحة للمال.

(٣) العوافي: من قولك: عافت الطير أي استدارت على الشيء أو الماء أو الجيف.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢.

وقد تكون «إِيَا» للتحذير كقوله:

فِيإِيَاكُمْ وَحِيَّةَ بَطْنِ وَاِدٍ هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ (١)

باب إذا

تكون «إذا» شرطاً في وقت موقت، تقول: «إذا خرجت خرجت».

وزعم قوم أن «إذا» تكون لغواً وفضلاً وذكروا قوله جل ثناؤه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

انْشَقَّتْ﴾ (٢) قالوا: تأويله: «انشقت السماء» كما قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ (٣) و ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ (٤). قالوا: وفي شعر العرب قوله (٥):

حتى إذا أسلكوهم في قتائدهِ شلاً كما تطرد الجمالةُ الشردا

المعنى: حتى أسلكوهم.

وأنكر ناس هذا وقالوا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ لها جواب مضمرة. وقول

القاتل: «حتى إذا أسلكوهم» فجوابه قوله: «مثلاً»، يقول: «أسلكوهم شلّوهم شلاً» واحتج أصحاب القول الأول بقول الشاعر (٦):

فإذا وذلك لا مهاةَ لذكرهِ والذهرُ يعقبُ صالحاً بفسادِ

قالوا: المعنى «وذلك».

وقال أصحاب القول الثاني: الواو مقحمة، المعنى «فإذا ذلك». وقولهم:

«إذا فعلت كذا» يكون على ثلاثة أضرب: ضربٌ يكون المأمور به قبل الفعل تقول:

«إذا أتيت الباب فلبس أحسن لباس» ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

فَاغْسِلُوا﴾ (٧). وضربٌ يكون مع الفعل كقولك: «إذا قرأت فترسل». وضربٌ

(١) ديوان الحطيئة: ١٣٩.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ١.

(٣) سورة القمر، الآية: ١.

(٤) سورة النحل، الآية: ١.

(٥) الإنصاف: ٤٦١/٢، ونسبته إلى عبد مناف بن ربح الهذلي.

(٦) الأسود بن يعفر، جاهلي، انظر ديوانه: ٣١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦.

يكون بعد الفعل نحو: ﴿إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(١) و ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ فَاسْعَوْا﴾^(٢).

باب إِذْ

«إِذْ» تكون للماضي تقول: «أتذكر إذ فعلت كذا؟» فأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا﴾^(٣) فـ «ترى» مستقبل و «إِذْ» للماضي، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله جل ثناؤه قد كان، لأن علمه به سابق وقضائه به نافذ، فهو كائن لا محالة، والعرب تقول مثل ذا، وإن لم تعرف العواقب، قال^(٤):

ستندم إذ يأتي عليك رعيننا بأرعن جرارٍ كثير صواهلُهُ
وقوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ﴾^(٥) فقال قوم: قال له ذلك لما رفعه إليه. وقال آخرون: «إِذْ» و «إِذَا» بمعنى. كقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَعُوا﴾^(٦) بمعنى: «إِذَا». قال أبو النجم^(٧):

ثم جزاه اللُّهُ عَنَّا إِذْ جَزَىٰ جنات عدن في العَلالي العُلَى
المعنى: «إِذَا جَزَى» لأنه لم يقع. ومثله قول الأسود^(٨):

الحافظ الناس في تحُوطَ إِذَا لم يرسلوا تحت عَائِدِ رُبَعَا
وهبَّت الشَّمَالُ البليل وَإِذْ بات كَمِيعُ الفتاة مُلتَفِعَا
قالوا: فـ «إِذَا» و «إِذْ» بمعنى. قال:

وَنَدْمَانِ يَزِيدُ الكَاسَ طيباً سقيتُ إِذَا تَغَوَّرَتِ النجومُ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩، وتمام الآية: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

(٤) مقاييس اللغة: مادة (جر) بلا عزو. والرعي: القطعة من الخيل. أرعن جرار يعني جيشاً له فضول.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٥١.

(٧) تاج العروس: مادة (إِذَا). وأبو النجم من رجال العصر الأموي.

(٨) ديوان أوس بن حجر: ٥٤.

و «إذ» تكون بمعنى «حين» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾^(١) أي: «حين تفيضون».

باب إذأ

«إذأ» مجازاة على فعل يقول: «أنا أقوم» فتقول: «إذأ أقوم معك»، هذا هو الأصل. ومنه قوله ﷺ: «فإني إذأ صائم» أي إذا لم يحضر الطعام فإني صائم، وقال الشاعر^(٢):

ازجر حماري لا يرتع بروضتنا إذا يرد وقيد العير مكروب

باب أي

«أي» تكون استفهاماً، تقول: «أي الرجلين عندك؟». وتكون للترجيح بين أمرين تقول: «أيًا ما فعلت فلي كذا»، أي إن فعلت هذا وإن فعلت هذا.

وتكون للتعجب نحو: «أي رجل زيد!».

باب أنى

«أنى» بمعنى «كيف» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿أنى يحيي هذه الله﴾^(٣). وتكون بمعنى: «من أين» كقوله: «أنى يكون له ولد؟» أي من أين. والأجود أن يقال في هذا أيضاً كيف. قال الكمي^(٤):

أنى ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوّة ولا ريب؟
فجاء بالمعنيين جميعاً.

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

(٢) الأصمعيات: ٢٢٨، خزنة الأدب: ٤٦٢/١، ديوان الحماسة لأبي تمام: ١٦٥، ونسبته إلى عبدالله بن عمرة الضبي، وفي لسان العرب: مادة (كرب) و(سوا) ونسبته إلى سلام بن عوية الضبي، وفي جمهرة اللغة (برك) إلى عبدالله بن عمرة وهو شاعر مخضرم، مات بعد سنة ١٥ هـ، وقوله: ازجر حمارك، يريد: كف أذاك.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٤) الروضة المختارة: ٤٩.

باب أَيْنَ وَأَيْنَمَا

«أَيْنَ» تكون استفهاماً عن مكان، نحو: «أَيْنَ زيدٌ؟».

وتكون شرطاً لمكان، نحو: «أَيْنَ لقيتَ زيداً فكلّمهُ» بمعنى أي مكان.

فأما «أَيْنَمَا» فإنّما يكون شرطاً لمكان، نحو: «أَيْنَمَا تَجَلِسُ أَجْلِسُ» ولا يكون استفهاماً.

باب أَيَّانَ

«أَيَّانَ» بمعنى «متى» و«أَيَّ حِينَ»، قال بعض العلماء: نُرى أصلها «أَيَّ أَوَانٍ» فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان واحدة. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١)، أي متى، و﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾^(٢) أي متى.

باب الْآنَ

يقولون: «الآن» حدُّ الزمانين، حدُّ الماضي من آخره وحدُّ المستقبل من أوله. وكان الفراء يقول: بُني على الألف واللام لم يُخلعاً منه وتُرى على مذهب الصفة لأنه صفة في المعنى واللفظ، كما فعلوا في «الذي» و«الذين» فتركوهما على مذهب الأداة، والألف واللام غير مفارقين. ومثله قوله^(٣):

فإنَّ الأولاءِ يَعْلَمُونَكَ مِنْهُمُ كَعَلِمِي مُطْئُوكَ مَا دُمْتَ أَشْعَرَا

فأدخل الألف واللام على «أولاء» ثم تركها مخفوضة في موضع نصب كما كانت قبل أن يدخلها الألف واللام ومثله^(٤):

وإني حُبِسْتُ اليَوْمَ والأَمْسِ قَبْلَهُ بِيَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

فأدخل الألف واللام على «أمس» ثم تركه مخفوضاً على جهته الأولى. ومثله^(٥):

(١) سورة النحل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٢.

(٣) لسان العرب: مادة (أين) بلا عزو.

(٤) الإنصاف: ٣٢٠/١.

(٥) الإنصاف: ٣١٣/١. ونسبته إلى ابن أحمَر، وهو في ديوانه: ١٥٩. والخازن: ذباب يكون في =

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِبَازِ بِهِ جُنُونًا

وأصل «الآن» إنما كان «أوان» حذفت منها الألف وغيّرت واوها إلى الألف، كما قالوا في الراح «الرياح» أنشد الفراء أنشدني أبو القمقام الأسدي^(١):

كَأَنَّ مَكَائِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةً نَشَاوَى تَسَاقَوْا بِالرِّيَاحِ الْمُفْلَلِ

فجعل «الرياح» و «الأوان» مرةً على جهة «فَعَلَ» ومرة على جهة «فَعَالٌ» كما قالوا: «زَمَنَ» و «زَمَانَ» وإن شئت جعلت «الآن» من قولك «أَنَّ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ» أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فِعْلٍ فأتى النصب من نصب «فَعَلَ» وهو وجه جيد. كما قالوا^(٢): «نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال». و «الآن» في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾^(٣)، ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٤) أي في هذا الوقت وهذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل.

قال الزجاج: «الآن» عند الخليل وسيبويه مبنيٌّ على الفتح تقول: «نحن من الآن نصيرُ إليك» فتفتح. لأن الألف واللام إنما تدخل لعهد، و «الآن» تُعْهَدُ قَبْلَ هذا الوقت، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت. المعنى: «نحن من هذا الوقت نفعل» فلما تَضَمَّنَتْ معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ففتحت للالتقاء الساكنين.

باب إمّا لا

هما كلمتان «إمّا» و «لا» تقول: «اخرج» فإذا امتنع قلت: «إمّا لا فتكلّم» أي «إن لم يكن منك خروج فليكن منك تكلم».

ف «إمّا» شرط و «لا» جَحْدٌ. كأنك قلت: «إن لا».

= الروض، أو هي حكاية أصواته، وداء يأخذ في أعناق الإبل والناس، ونبستان، والسنور. القلع: الدم، وما على جلد الأجرّب كالفشر.

(١) ديوان امرئ القيس: ٦٣. والمكائي: جمع المكاء: طائر. الجواء: البطن من الأرض والواسع من الأودية.

(٢) غريب الحديث: ٢٧١/٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥١.

باب أَمَّا وَإِمَّا

«أَمَّا» كلمة إخبار لا بدّ في جوابها من «فاء»، تقول: «أَمَّا زيد فكريم».

«وَإِمَّا» تكون تَخْييراً وإباحة، نحو اشربْ إِمَّا ماءً وَإِمَّا لَبَنًا.

وقد تكون بمعنى الشرط، والأكثر في جوابها نون التوكيد. نحو: ﴿إِمَّا تَرِينَّ
مِنَ الْبَيْسَرِ أَحَدًا﴾^(١) و ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ﴾^(٢) وقد يكون بلا «نون» نحو
قوله^(٣):

إِمَّا تَرِي رَأْسِي عَلاَنِي أَغْثُمُهُ

ومما أوله باء

بَلَى

«بَلَى» تكون إثباتاً لمنفيّ قبلها. يقال: «أما خرج زيد؟» فتقول: «بَلَى»
والمعنى أنها «بل» وُصِلَتْ بها ألفٌ تكون دليلاً على كلام. يقول القائل: «أما خرج
زيد؟» فتقول: «بَلَى» فـ «بل» رُجُوعٌ عن جَحْد، و «الألف» دلالةٌ على كلام، كأنك
قلت: «بل خرج زيد». وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(٤)
المعنى والله أعلم: «بل أنت ربُّنا».

بَلْ

«بَلْ» إِضْرَابٌ عن الأوّل وإثباتٌ للثاني. واختلف فيه أهل العربية. فقال
قوم: جائز «مررت برجل بل حمارٍ» وقد يكون فيه الرفع أي: «بل هو حمارٌ».
والكوفيون لا يَنْسُقُونَ بـ «بَلْ» إِلَّا بعد نفي. قال هشام: محال: «ضَرَبْتُ

(١) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٣.

(٣) لسان العرب: مادة (لهز)، وفي مادة (غثم) لرجل من بني فزارة وشطره:

لهزَمَ خدي به ملهزَمُهُ

الأغثم: الشعر غلب بياضه سواده.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

أَخَاكَ بَلَّ أَبَاكَ» لَأَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ ثُبَّتْ لَهُ الضَّرْبُ.

والبصريون يقولون: لَمَّا كَانَ «بَلَّ» تَفَعُّلاً لِلإِضْرَابِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ عَنِ النَّفْيِ وَقَعْتَ بَعْدَ الإِجْبَابِ كَوَقُوعِهَا بَعْدَ النَّفْيِ. وَ «لَا بَلَّ» مِثْلُهَا.

وَقَالَ قَوْمٌ: يَكُونُ «بَلَّ» بِمَعْنَى «إِنَّ» فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ص، وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) مَعْنَاهُ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ الْقَسَمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَوَابٍ.

وَيَزَعُمُ نَاسٌ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ فِي الإِثْبَاتِ كَانَتْ اسْتِدْرَاكًا. تَقُولُ: «لَقَيْتُ زَيْدًا بَلَّ عَمْرًا» وَهَذَا عِنْدَ الْغَلْطِ.

بَلَّةٌ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلَّةٌ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ»^(٢) قَالُوا: مَعْنَاهُ «سَوَى» وَ «دَعَّ» كَأَنَّهُ قَالَ: «سَوَى مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ» وَ «دَعَّ مَا أَطْلَعْتُهُمْ» قَالَ أَبُو زَيْدٍ^(٣):

تَمْشِي الْقَطُوفُ إِذَا غَنَّى الْحُدَاةُ لَهَا^(٤) مَشْيَ النَّجِيَّةِ، بَلَّةُ الْجِلَّةِ التُّجَبَا

بَيْدٌ

قَالُوا: «بَيْدٌ» بِمَعْنَى «غَيْرٌ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدٌ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ»^(٥) أَي «غَيْرَ أَنَّهُمْ» قَالَ الشَّاعِرُ^(٦):

(١) سورة ص، الآية: ١.

(٢) غريب الحديث: ٢٨٦/١. «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا» أَي لَا مِثْلَ لَهَا.

(٣) أبو زيد: هُوَ الْمُنْدَرِجُ بِنِ حَرْمَلَةَ الطَّائِي، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلَمْ، مَاتَ سَنَةَ ٦٢ هـ، وَالْبَيْتُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَةٌ (بَلَّةٌ) لِابْنِ هَرْمَةَ.

(٤) دَابَّةٌ قَطُوفٌ: الدَّابَّةُ إِذَا ضَاقَ مَشِيهَا. وَالنَّجِيَّةُ: صِفَةُ النَّاقَةِ الْكَرِيمَةِ. الْجِلَّةُ: الْمَسَانُ مِنَ الْإِبِلِ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: جُمُعَةٌ: ١٩ - ٢٠، وَضَوْءٌ: ٦٨، أَنْبِيَاءٌ: ٥٤، أَيْمَانٌ: ١، دِيَاتٌ: ١٥، تَعْبِيرٌ: ٤٠، تَوْحِيدٌ: ٣٥، وَالنِّسَائِيُّ: جُمُعَةٌ، وَأَبُو دَاوُدَ مَقْدَمَةٌ ١.

(٦) مَغْنِي اللَّيْبِ: ١/١٢٢ بَلَا عَزْوٍ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ مَادَةٌ (رَتْنٌ) وَنَسَبُهُ إِلَى مَنْظُورِ بْنِ مَرْثَدٍ. وَفِيهِ: أَخَافُ إِنْ هَلَكْتُ.

عَمْدًا فَعَلْتُ ذَاكَ بِيَدِ أَنْي إِخَالٌ لَوْ هَلَكْتُ لَمْ تُرْتِي

بيننا وبيننا

هما لزمان غير محدود، واشتقاقهما من قولنا: «بيني وبينه قيدُ كذا» فإذا قلنا: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ زَيْدٍ أَتَانَا فَلَانٌ» فالمعنى «بَيْنَ أَنْ حَصَلْنَا عِنْدَ زَيْدٍ وَبَيْنَ زَمَانٍ آخِرِ أَتَانَا فَلَانٌ» قال (١):

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مُعَلَّقَ شَكْوَى وَزَنَادٍ رَاعٍ

بَعْدُ

يَدُلُّ عَلَى أَنْ يَعْقَبَ شَيْءٌ شَيْئًا، تقول: «جاء زيدٌ بعد عمرو» ويقولون: إنها تكون بمعنى «مع» يقال: «هو كريم وهو بعد هذا فقيه» أي: «مع هذا» ويتأولون قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٢) على هذا، بمعنى «مع ذلك».

ومما أوله تاء

تَعَالَى

يقال: إنها أمرٌ أي «تفاعل» من «علوت». تَعَالَى.. يَتَعَالَى «فإذا أمرت قلت: «تعال» كما تقول: «تفاض»».

قالوا: وكثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة «هلم» حتى يقال لمن هو في علو: «تعال» وأنت تُريدُ: «اهبط».

ولا يجوز أن تنتهي بها، وقد تُصَرَّفُ فيقال: «تعاليتُ» و «إلى أي شيء أتعالى؟».

ومما أوله ثاء

ثُمَّ

«ثُمَّ» يكون لِتَرَاخِي الثَّانِي عَنِ الْأَوَّلِ: «جاء زيد ثم عمرو».

(١) الكتاب: ١٧١/١ لرجل من قيس عيلان، وفيه: نحن نطلبه، وفضة وزناد.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٣٠.

وتكون «ثم» بمعنى «واو العطف» قال الله جلّ ذكره: ﴿فَالْيُنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^(١) أي وهو شهيد.

وتكون بمعنى التعجب كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾^(٢) و ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٣) وأنشد قطرب أن «ثم» بمعنى «الواو»:

سألت ربيعة: مَنْ خَيْرُهَا أَبَا ثُمَّ أُمًّا؟ فقالت: لِمَهُ؟

ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤) فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾^(٥) فقال قوم معناها: «وصوّرناكم» وقال آخرون: المعنى «ابتدأنا خلقكم» لأنه جلّ ثناؤه ابتداء خلق آدم عليه السلام من تُراب، ثم صوّره. وابتداء خلق الإنسان من نُطفة ثم صوّره. قالوا: ف «ثم» على بابها. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿يُؤَلِّمُكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِّرُونَ﴾^(٦).

وزعم ناس أن «ثم» تكون زائدة. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ﴾^(٧) إلى قوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تَابَ عليهم» وقوله جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾^(٨) وقد كان قضى الأجل، فمعناه: «أخبركم أنّي خلقته من طين، ثم أخبركم أنّي قضيت الأجل» كما تقول: «كلمتك اليوم ثم قد كلمتك أمس» أي إني أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا.

وهذا يكون في الجمل، فأما في عطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل فلا يكون إلا مرتباً أحدهما بعد الآخر.

(١) سورة يونس، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) سورة القيامة، الآية: ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ٢.

و: ثَمَّ

بمعنى: «هُنَالِكَ» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾^(١) وقرئت: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾^(٢) أي: هنالك الله شهيد.

ومما أوله جيم

جَيْرِ

يقولون: «جَيْرٍ» بمعنى «حَقًّا» قال المُفَضَّل: هي خَفْضٌ أبدأ، ورُبَّمَا نَوْنُهَا. وأنشد المُفَضَّل^(٣):

ألا يا طالَ بالغَرَبَاتِ لِيَلِي	وما تَلَقَى بَنُو أَسَدٍ بِهِنَّ
وقائلة: أَسَيْتَ. فقلت: جَيْرِ	أَسِيٌّ إِنَّهُ مِنْ ذَاكَ إِنَّهُ
أَصَابَهُمُ الْحِمَا وَهُمْ عَوَافٍ	وَكَنَّ عَلَيْهِمْ نَجْسًا لِعِنَّةِ
فجئتُ قَبُورَهُمْ بَدَأُ وَلَمَّا	فَنَادَيْتُ الْقَبُورَ فَلَمْ يُجِبْنَهُ
وكيفَ تَجِيبُ أَصْدَاءُ وَهَامٌ	وَأَجْسَادُ بُدْرَنْ وَمَا نُحِرْنَهُ ^(٤)

الحما: أراد الحِمَامَ. وبُدْرَنْ: طِعْنٌ فِي الْبُؤَادِرِ.

لا جَرَمَ

قال: «جَرَمَ» بمعنى «حُقِّقَ». قال^(٥):

ولقد طعنْتُ أبا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً
جَرَمْتُ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَعْضُبُوا
وذكر ناس أنها بمعنى: «لا بُدَّ» و«لا مَحَالَةَ».

وأصلح ما قيل في ذلك أن «لا» نفي لما ظنُّوا أنه ينفَعهم في قوله جلّ ثناؤه: ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْآخِصْرُونَ﴾^(٦) والمعنى: «لا» أي: «لا ينفَعهم ظَنُّهُمْ»

(١) سورة الدهر، الآية: ٢٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٦.

(٣) خزائن الأدب: ١٠/١١١، ١١٣، ١١٧، والغربيات: جمع الغربة: النزوح عن الوطن.

(٤) أصداء: جمع صدى، وهو طائر يطير بالليل، أو ماء يخرج من رأس المقتول إذا بلي، وقد أراد ههنا جسد الأدمي بعد موته. الهام: جمع الهامة: رأس كل شيء، وهي بمعنى الصدى.

(٥) المقتضب: ٢/٣٥٢، وقيل: البيت لأبي أسماء بن الضربية.

(٦) سورة هود، الآية: ٢٢.

ثم يقول مبتدئاً: ﴿جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي: «كَسَبَهُمْ ذَلِكَ» «حُقَّ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ».

قال ابن قتيبة: وليس قول من قال: «حُقَّ لِفَزَارَةِ الْغَضَبِ» بشيء، والأمر بخلاف ما قاله، لأن الذي يحصل من الكلمة ما قلناه أنه بمعنى «حُقَّ» فيكون على هذا «جَرَمَتْ فِزَارَةٌ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا» المعنى: «أَحَقَّتْ الطَّعْنَةُ لِفَزَارَةِ الْغَضَبِ». ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾^(١) ثم قال: ﴿لَا﴾ وهو ردّ عليه، وقال بعدها: ﴿جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي حُقَّ وكسب.

ومما أوله حاء

حَتَّى

تكون للغاية، قال الله جلّ ذكره: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٢) بمعنى «إلى» وقال تبارك اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾.

وتكون بمعنى: «كَيْ» تقول: «أَكَلَمَهُ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ» أي: «كَي يَرْضَىٰ».

ويقولون: إنها تكون بمعنى العطف، تقول: «قَدِمَ الْجَيْشُ حَتَّىٰ الْأَتْبَاعِ».

ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن يُعْطَفَ بِهَا حَتَّىٰ يَكُونُ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ، قالوا: لو قلت: «كَلَّمْتُ الْعَرَبَ حَتَّىٰ الْعَجْمَ» لم يجوز. وقال الفراء: لا يجوز «كَلَّمْتُ أَخَاكَ حَتَّىٰ أَبَاكَ»، وهو مثل الاستثناء، كما لا يجوز «كَلَّمْتُ أَخَاكَ إِلَّا أَبَاكَ».

وأجاز الفراء: «إِنَّهُ لِيُقَاتِلُ الرَّجَالَ حَتَّىٰ الْفَرَسَانَ»، و«إِنْ كَلْبِي لِيَصِيدَ الْأَرَانِبَ حَتَّىٰ الطُّبَّاءَ» خفضاً ونصباً، قال الفراء: لأن الطباء وإن كانت مخالفة للأرانب فإنها من الصيد وهي أرفع منها.

وقال البصريون: هذا خطأ وفيه بطلان الباب. قالوا: لأن «حَتَّىٰ» إنما جعلت لما تتناهى إليه الأشياء من أعلاها وأسفلها مما يكون منتهى في الغاية، فإذا قلت: «ضَرَبْتُ الْقَوْمَ» جاز أن يتوهم السامع أن زيدا لم يدخل في الضرب، إما لأنه

(١) سورة النحل، الآية: ٦٢.

(٢) سورة القدر، الآية: ٥.

أعلاهم أو لأنه أدونهم، فمعنى «إلى» فيها قائم إذا كانت «إلى» منتهى الغاية.
والكوفيون لا يجعلون «حتّى» حرف عطف، إنما يعربون ما بعدها بإضمار.

حاشا

معناها الاستثناء، واشتقاقها من «الحشا» وهي «الناحية» تقول: «خرجوا حاشا زيد» أي: إني أجعله في ناحية من لم يخرج ولا أجعله في جملة من خرج. قال الشاعر^(١):

بأَيِّ الحَشَا أَمْسَى الخَلِيْطُ المُبَايِنُ؟

ومن ذلك قولهم: «لا أحاشي بك أحداً» أي: لا أجعلك وإياه في حشاً واحد، أي في ناحية واحدة بل أميّزك عنه.

ومما أوله خاء

خَلا وما خَلا

أصلهما من قولنا: «خلا البيت» و«خلا الإناء» إذا لم يكن فيه شيء. كذلك إذا قلنا: «خرج الناسُ خلا زيد» فإنما تُريد: أنه خلا من الخروج، أو خلا الخروجُ منه. وعلى هذا التأويل فالنصب فيه أحسن. ومنه قول العرب: «افعلْ كذا وخلاك ذم» يريدون «عداك الذم» و«خلوت من الذم».

ومما أوله راء

رُبَّ

يقولون: للتقليل، وهي مُناقِضة لـ «كَم» التي للتكثير، تقول: «رُبَّ رجلٍ لَقِيْتَهُ».

وقال قوم: وُضِعَتْ لتذكُر شيء ماضٍ من خيرٍ أو شرٍّ. قال^(٢):

(١) لسان العرب: مادة (حشا) ونسبته إلى المعطل الهذلي. وصدرة:
يقول الذي أمسى إلى الحزن أهله

(٢) الأغاني: ٩٥/٢ لعدي بن زيد.

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَّالِ
قالوا: وعلى هذا التأويل قوله جل ثناؤه: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ﴾^(١).

رُؤَيْدٌ

قالوا: هو تصغيرُ «رُود» وهو المهمل. قال^(٢):

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ
وقال بعضهم في قوله جل ثناؤه: ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤَيْدًا﴾^(٣) أي قليلاً.

ذو وذات

«ذو» يدلُّ على المُلْك. تقول: «هو ذو الثَّوب».

وقد يكون في غير المُلْك أيضاً، بل يكون في صفة من صفاته نحو قولك:
«هو ذو كلام» و«ذو عَارِضَةٍ». فمن الملك قوله جل ثناؤه: ﴿ذو العرشِ
المجيد﴾^(٤)

وأما «ذات» فيكون في المؤنث كـ «ذا». وتكون لها معانٍ آخر:

تكون كنايةً عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك، كقولك: «ذاتُ يوم»،
و«ذاتُ عَشِيَّة».

وتكون كنايةً عن الحال كقوله^(٥):

وَأَهْلُ خِجَابٍ صَالِحِ ذَاتٍ بَيْنَهُمْ قَدْ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلِ أَنَا آجِلُهُ
ومن هذا قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٦) أي الحال بينكم

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٢) المقاييس مادة (رود) بلا عزو وصدده:

تكاد لا تثلم البطحاء وطأتها

(٣) سورة الطارق، الآية: ١٧.

(٤) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٥) المقاييس: مادة (أجل) ونسبته لخوات بن جبير.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١.

وأزيلوا المشاجرة.

ومن الزمان قوله^(١):

لَمَّا رَأَتْ أَرْقِيَّ وَطُولَ تَقَلُّبِي ذَاتَ الْعِشَاءِ وَلَيْلِي الْمَوْصُولَا

وتكون للبنىة تقول: «هو في ذاته صالح» أي: في بنيته وخلقته.

وتكون للإرادة والنية كقوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢) أراد

السرائر. ومنه فيما ذكروا قوله^(٣):

مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ قَوْمِي، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

فقوله: «ذاتُ الإله» أي إرادتهم الله تبارك اسمه.

سَوْفَ

تكون للتأخير والتنفيس والأناة.

سَوَى

تكون بمعنى «غير» وهما جميعاً في معنى «بدل» وهي مقصورة مكسورة فإذا

مُدَّتْ فَتُحَّ أَوْلَهَا، قال^(٤):

تَجَانَفُ عَنْ جَوْ أَلِيمَامَةٍ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا

أي: لغيرك. و«سواء الجحيم» وسطها، في غير معنى الأول.

وقد جاء «سوى» أيضاً. قال الله جل ثناؤه: ﴿مَكَانًا سَوَى﴾^(٥).

سَيِّمًا

أصلها «السِّيُّ» وهو «المِثْلُ». تقول: «ولا سَيِّمًا كذا» أي «ولا سواء» قال

امرؤ القيس^(٦):

(١) ديوان الراعي النميري: ٢١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ٥٢، وفيه: وجلتهم ذات...

(٤) ديوان الأعشى: ١٢٨، وفيه: عن جُلِّ، و: وما قصدت من أهلها.

(٥) سورة طه، الآية: ٥٨.

(٦) ديوانه: ٣٢.

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمًا بِدَارَةِ جُلُجِلٍ
وَأَصْلُهُ رَاجِعٌ إِلَى «السِّيِّ» وَهُوَ الْمَثَلُ. يَقُولُونَ: «هُمَا سِيَانٌ» قَالَ
الْحُطَيْبَةُ^(١):

فإِيَاكُمْ وَحِيَّةَ بَطْنِ وَاذٍ هَمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ
وسمعت أبا الحسن المعروف بابن التريكية يقول: سمعت ثعلباً يقول: من
قاله بغير اللفظ الذي قاله امرؤ القيس فقد أخطأ.

شَتَّانَ

أصلها من «شَتَّ» ومن «الشَّتَّتْ» وهو التَّفَرُّقُ والتَّبَاعُدُ، تقول: «شَتَّانَ ما
هُمَا» أي: بَعُدَ ما بينهما، ويقال: هذا هو الأفصح، وينشدون^(٢):

شَتَّانَ ما يومي على كُورِها وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ
وربما قالوا: «شتان ما بينهما» وليس بالفصيح.

عَنْ

يدلّ على الانحطاط والنزول، تقول: «نَزَلَ عن الجبل» و«عن ظهر الدابة»
و«أخذ العِلْمَ عن زيد» لأن المأخوذَ عنه أعلى رُتْبَةً من الآخذ.
وتكون بمعنى «بعُد» في قوله: «لم تتنطق عن تفضّل». ولها وجوه والأصلُ
ما ذكرناه.

عَلَى

تكون للعلوّ، تقول: «هو على السطح».
وتكون للعزيمة، كما تقول: «أنا على الحجّ العام».
وتكون للثبات على الأمر تقول: «أنا على ما عرَفْتَنِي به».
وتكون للخلاف، مثل: «زيد على عمرو» أي: مُخَالَفُهُ.

(١) ديوانه: ١٣٩.

(٢) ديوان الأعشى: ٩٥. والكور: الرّحل.

وهي - وإن انشعبت - راجعة إلى أصل واحد.

عَوْض

«عوض» لزمان غير محدود ولا معلوم كنهه، كما قلناه في «الحين» و«الذهر». قال الأعشى^(١):

رضيَعي لبانٍ ثديٍّ أمُّ تقاسما بأسحَمِ داجٍ عَوْضٌ لا تفرقُ
ويقولون: «لأتيك عوض العائضين».

عَسَى

للقرب والدنو، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٢). والأفصح أن يكون بعدها «أن» ورُبّما لم يكن. قال^(٣):

عسى فَرَجٌ يأتي به اللّهُ إِنَّهُ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ
قال «الكِسائي»: كل ما في القرآن من «عسى» على وجه الخبر فهو مَوْحَدٌ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾^(٤) و ﴿عَسَى أَنْ يَكْنَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾^(٤) و ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾^(٥) وَوَحَّدَ عَلَى «عسى الأمر أن يكون كذا».

وما كان على الاستفهام فإنه يُجْمَعُ كقوله جلّ وعزّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾^(٦) قال أبو عبيدة في قوله جلّ ثناؤه: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾^(٧): هل عدوتم ذلك، هل جُزتموه.

غَيْرٌ

«غَيْرٌ» تكون استثناء، وتقوم مقامها «إلا»، تقول: «خرج الناس غير زيد» تريد «إلا زيدا».

(١) ديوانه: ١٢١. وفيه: ثدي أم تحالفا.

(٢) سورة النمل، الآية: ٧٢.

(٣) شرح شذور الذهب: ٣٥١ بلا عزو.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

أو تكون حالاً، وتقوم مقامها «لا» تقول: «فعلت لك غير خائف منك» أي «لا خائفاً منك».

في

زعموا أن «في» للتضمن، تقول: «المال في الكيس» و«الماء في الجرة». ويقولون: إنها تكون بمعنى «على» في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(١).

وإنها تكون بمعنى «مع» في قوله جل ثناؤه: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾^(٢). وكان بعضهم يقول: إنما قال: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾، لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور فلذلك جاز أن يقال فيه هذا، وأنشدوا^(٣):
هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِدْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا

قَدْ

«قَدْ» جواب لمتوقع، وهي نقيض «ما» التي للنفي، وليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً للمتوقع، وقوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) على هذا المعنى، لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك اسمه فقبل لهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ والحقيقة ما ذكرناه.

كَمْ

موضوعة للكثير في مقابلة «رُبَّ» تقول: «كم رجل لقيت». وتكون استفهاماً، تقول: «كم مالك؟». وقال الفراء: نرى أن قول العرب «كم مالك؟» أنها «ما» وُصِلَتْ من أولها بكاف، ثم إن الكلام كثر بـ «كم» حتى حُذِفَت الألف من آخرها وسكنت ميمها،

(١) سورة طه، الآية: ٧١.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٢.

(٣) المقتضب: ٣١٩/٢، بلا عزو، وينسب إلى سويد بن أبي كاهل كما في ملحق ديوانه: ٥٤. والأجدع: السجين أو الأقطع أو الشيطان.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١.

كما قالوا: «لِمَ قَلْتَ ذَاكَ؟» ومعناه: «لِمَ» و«لِمَا قَلْتَ» قال^(١):

فَأَنَا الْأَسْوَدُ لِمَ أَسْلَمْتَنِي لَهُمُومَ طَارِقَاتٍ وَذَكَرَ؟

وقيل لبعض العرب: «مذ كم قعد فلان؟» فقال: «كَمْذُ أَخَذْتَ فِي حَدِيثِكَ»،
فزيادة الكاف في «مُذ» دليل على أن الكاف في «كم» زائدة.

وعاب الزَّجَّاجُ على الفراء قوله في «كم»، وقال: لو كان في الأصل «كما»
وأسقطت ألف الاستفهام لتركَّت على فتحها، كما تقول: «بِمَ» و«عَمَّ» و«فِيمَ أَنْتَ». وال جوابُ عمَّا قاله ما ذكره أبو زكرياء وهو كثرة الاستعمال وحجته ما ذكره
في «لِمَ».

كَيْفَ

سأل عن حال، تقول: «كَيْفَ أَنْتَ؟» أي: بأيِّ حال أَنْتَ؟ وقال بعض أهل
اللغة: لها ثلاثة أوجه:

أحدها سؤال محض عن حال، تقول: «كَيْفَ زِيدَ؟».

والوجه الآخر حالٌ لا سؤال معه، كقولك: «لَأَكْرِمَنَّكَ كَيْفَ كُنْتَ» أي: على
أيِّ حال كنت.

والوجه الثالث «كيف» بمعنى التعجب، وعلى هذين الوجهين يُفسَّر قوله:
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(٢) قالوا: معناها «على أيِّ حال قَدَّرَ» وتعجيب أيضاً. ومن
التعجب قوله جل ثناؤه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٣).

وقد يكون «كيف» بمعنى النفي. قال^(٤):

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لَاحَ فِي الرَّأْسِ مَشِيبٌ وَصَلَعٌ

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥) و﴿كَيْفَ

(١) الإنصاف: ١/٢١١ بلا عزو، وفيه: يا أبا الأسود.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٤) ديوان سويد بن أبي كاهل: ٣٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨.

يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴿١﴾ .

وتكون توبيخاً، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (٢).

فأما قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٣) فهو تأكيد لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَتَحْقِيقٌ لِمَا بَعْدَهُ، عَلَى تَأْوِيلٍ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا فَكَيْفَ فِي الْآخِرَةِ.

كَادَ

قال أبو عبيدة: «كاد» للمقاربة في قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا﴾ (٤) أي: لَمْ يَرِ، وَلَمْ يُقَارَبْ، وَمِنَ الْمَقَارِبَةِ قَوْلُ جَرِيرٍ (٥):

حَيُّوا الْمَقَامَ وَحَيُّوا سَاكِنِ الدَّارِ مَا كَدَتْ تَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِ
ويقولون: «كاد النَّعَامُ يَطِيرُ».

فهذه المقارنة للشبه ولا يكون وبيت جرير يكون.

كَانَ

يدلُّ عَلَى الْمُضِيِّ، تَقُولُ: «كَانَ لَهُ مَالٌ».

وتكون بمعنى الْقُدْرَةِ، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ (٦) أي: ما قدرتم.

وتكون بمعنى «صار» كقولك: «إِنْ كُنْتُ أَبِي فَصِلْنِي» أي: إِذَا صِرْتُ أَبِي. وَأَنْشُدْ (٧):

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٥) ديوانه: ٢٤٠.

(٦) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(٧) تذكرة النحاة: ٥٦٩. الأرحبية: صفة الناقة الكريمة، نسبة إلى أرحب وهي قبيلة. الأرنج: جلد أسود.

أَجَزَتْ إِلَيْهِ حُرَّةٌ أَرْحَبِيَّةٌ وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأُرَنْدَجِ
أي: صار.

وتكون بمعنى الرهون، كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا
بَشَرًا﴾^(١) أي: هل أنا إلا بشر.

وتكون بمعنى «يَنْبَغِي» قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾^(٢) أي: ما
ينبغي لنا.

و «كَانَ» تكون زائدة، كقوله^(٣):

وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامًا

وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) أي: بما
يعملون، لأنه قد كان عالماً بما عملوه وهو إيمانهم به.

كَأَيِّنُّ

«كَأَيِّنُّ» يكون بمعنى «كَمْ» قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَأَيِّنُّ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهَا﴾^(٥).

وفيها لغتان: «كَأَيِّنُّ» بالهمز والتشديد. و «كَأَيِّنُّ». وقد قرئ بهما، قال
الشاعر:

وَكَأَيِّنُّ أَرِينَا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ إِذَا مَا اذْدَرَانَا أَوْ أَصَرَ لِمَآثِمِ

وسمعت بعض أهل العربية يقول: ما أعلم كلمةً يثبتُ فيها التنوين خطأً غير هذه.

كَأَنَّ

كلمة تشبيه، قال قوم: هي «إِنَّ» دخلت عليها كافُ التشبيه ففتحت، وقد

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة النور، الآية: ١٦.

(٣) ديوان الفرزدق: ٥٩٧. وصدرة:

فكيف إذا مررت بدار قوم

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١١٢.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٨.

تخفف قال الله جلّ ذكره: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّ مَّسَّةٍ﴾^(١) إلا أنها إذا ثقلت في مثل هذا الموضع قُرِئَتْ بها الهاء فقيلاً: «كأنه لم يدعنا». وقالت الخنساء في التخفيف^(٢):

كَأَن لَّمْ يَكُونُوا حِمَى يَتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذِ ذَاكَ مِنْ عَزِّ بَزَا
أرادت: كأنهم لم يكونوا.

كَلًّا

تكون رداً ورَدْعاً ونفياً لدعوى مُدْعٍ إذا قال: «لقيتُ زيداً» قلت: «كَلًّا».

وربما كان صِلَةً ليمين، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿كَلًّا وَالْقَمَرِ﴾^(٣) وهي - وإن كانت صِلَةً ليمين - راجعةٌ إلى ما ذكرناه. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿كَلًّا لَا تُطْعُهُ﴾^(٤) فهي رَدْعٌ عن طاعةٍ من نهاه عن عبادة الله جلّ ثناؤه. ونكتة بابها النفي والنهي.

وزعم ناس أن أصل «كَلًّا»: «كَلًّا» و«لَا». قال^(٥):

أَصَابَ خَصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا كَلًّا وَأَنْغَلَّ سَائِرُهُ أَنْغِلَالًا

وهذا ليس بشيء. و«كَلًّا» كلمة موضوعه لما ذكرناه على صورتها في التثنية، وقد ذكرنا وجوه «كَلًّا» في كتاب أفردها.

فأما نقيض «كَلًّا» فقال بعض أهل العلم: إن «ذلك» و«هذا» نقيضان لـ «لا». و«أن» كذلك نقيض لـ «كَلًّا»، قال: وقوله جلّ ثناؤه: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾^(٦) على معنى: ذلك كما قلنا وكما فعلنا، ومثله: ﴿هَذَا وَإِنْ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَأَبٌ﴾^(٧) بمعنى: هذا كما قلنا وإن للطاغين لشرٌّ مأب.

(١) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٢) ديوانها: ٨١. وقولها: من عزّ بز مثل، انظر جمهرة الأمثال: ٢٢٩/٢.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٢.

(٤) سورة العلق، الآية: ١٩.

(٥) ديوان ذي الرمة: ١٩٨. الخصاصة: الفقر. انغلّ: دخل.

(٦) سورة محمد، الآية: ٤.

(٧) سورة ص، الآية: ٥٥.

قال: ويدل على هذا المعنى دخول «الواو» بعد قوله: «ذلك» و «هذا» لأن ما بعد الواو يكون مَنسوقاً على ما قبله بها وإن كان مُضَمراً. وقال جلّ ثناؤه: ﴿وقال الذين كفروا لولا نَزَّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً﴾^(١)، ثم قال: ﴿كذلك﴾ أي كذلك فعلناه ونفعله من التنزيل. ومثله في القرآن كثير.

لَوْ وَلَوْأَ

«لَوْ» تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، تقول: «لو حَضَرَ زيدٌ لحضرت» فامتنع هذا لامتناع هذا.

وكان الفراء يقول: «لو» يقوم مقام «إِنْ»، قال جلّ ذكره: ﴿ولو كرهَ الكافرون﴾^(٢) بمعنى: وإن كره، ولولا أنها بمعنى «أَنْ» لاقتضت جواباً. لأن «لو» لا بد لها من جواب ظاهر أو مُضَمَّر كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ولو نَزَّلْنَا عليك كتاباً في قرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيديهم لَقَال﴾^(٣) «وإنما وُضِعَت مقامَ «أَنْ» لأنَّ في كل واحدٍ منهما معنى الشرط، كما يقال في الكلام: «لا كَرِمْتِكَ وإن جَفَوْتَنِي، ولو جَفَوْتَنِي» و «لَا عَطِيَّتِكَ وإن مَنَعْتَنِي، ولو مَنَعْتَنِي».

وأما «لَوْأَ» فإنها تدل على امتناع الشيء لوجود غيره. تقول: «لولا زيدٌ لضربتك» فإنما امتنعت من ضربه لأجل زيد.

وقد يكون «لولا» بمعنى «هَلْأَ» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تَضَرَّعُوا﴾^(٤) أي «فَهَلْأَ». قال الشاعر^(٥):

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا
أَيُّ: «هَلْأَ».

وكذلك «لَوْأَ»، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿لَوْأَ تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾^(٦) أي «هَلْأَ تَأْتِينَا».

وأما «لولا» الأولى فكقوله جلّ ثناؤه: ﴿فلولا أنه كان من المُسَبِّحِينَ لَلَبَّثَ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

(٥) ديوان جرير: ٢٦٥. والنيب: جمع الناب: الناقة المسنة.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٧.

في بطنه»^(١) وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾^(٢) فلها وجهان: أحدهما أن يكون بمعنى «هَلًا» والوجه الآخر أن يكون بمعنى «لَمْ» يقول: فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس. ومثله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾^(٣) بمعنى لم يكن.

لَمْ وَلَمَّا

«لَمْ» تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه إلى الماضي. نحو «لم يقم زيد» تريد: ما قام زيد. فإن دخل عليها حرفُ جزاء لم تنقل معنى الاستقبال، تقول: «إن لَمْ تَقُمْ» ولا يحسنُ السكوت عليها إلا إذا كانت جواباً لمثبت كأنَّ قائلاً قال: «قد خرج زيد» فتقول: «لَمَّا».

و «لَمَّا» لا تدخل إلا على مستقبل، تقول: «جئت ولما يجيء زيدٌ بعدُ» فيكون بمعنى «لَمْ» كقوله جَلَّ ثناؤه: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾^(٤).
فأما «لَمَّا» التي للزمان فتكون للماضي، تقول: «قصدتُك لَمَّا ورَدَ فلان».

لَنْ

«لَنْ» تكون جواباً للمثبت أمراً في الاستقبال، يقول: «سيقوم زيد» فتقول أنت: «لن يقوم».
وحكي عن الخليل أن معناها: «لا أن» بمعنى «ما هذا وقت أن يكون كذا».

لا

«لا» حرف نَسَقٍ يَنْفِي الفعلَ المُسْتَقْبَل، نحو: «لا يخرجُ زيدٌ». ويُنهي به نحو «لا تفعل». ويكون بمعنى «لَمْ» إذا دخلت على ماض كقوله جَلَّ ثناؤه: ﴿فلا صدَّق ولا صَلَّى﴾^(٥) أي: لم يُصدَّق ولم يُصلِّ. وقال الشاعر^(٦):

(١) سورة الصافات، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٨.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٣١.

(٦) الأزهية: ١٥٨.

وَأَيُّ حَمِيسٍ لَا أَفَأْنَا نِهَابَهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبِشِهِ دَمًا
وَأُنْشَدَنِي أَبِي^(١):

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا
أَي: أَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَمْ يُلَمَّ بِالذَّنْبِ.

وكان قُطْرُبٌ يقول: إن العرب تُدخِل «لا» توكيداً في الكلام كما يُدخِلون «ما» في مثل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) و ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾^(٣) وكذلك ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾^(٤) أَي: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ. وكذلك: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٥) المعنى: أُقْسِمُ. وقد يجوز في: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ أن يكون نَفَى بها كلاماً تَقَدَّمَ مِنْهُمْ، كأنه قال: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَا؛ ثُمَّ قَالَ: أُقْسِمُ، وَقَالَ زُهَيْرٌ فِي «لَا»^(٦):

مُورَثُ الْمَجْدِ لَا يَغْتَالُ هِمَّتَهُ عَنِ الرَّيَاسَةِ لَا عَجْزٌ وَلَا سَأْمٌ
أَي: لَا يَغْتَالُهَا عَجْزٌ. وَقَالَ^(٧):

بِیَوْمِ جَدُودَا لَا فَضَحْتُمْ أَبَاكُمْ وَسَلَمْتُمْ وَالخَيْلُ تَدْمَى نُحُورَهَا
يُرِيدُ: فَضَحْتُمْ أَبَاكُمْ. وَحَكَى قَطْرِبُ: «ضَرَبْتُ لَا زَيْدًا». وَقَالَ آخَرُ:
وَقَدْ حَدَاهُنْ بِلَا غَيْرِ خُرْقٍ

وَقَالَ الْهَذَلِيُّ^(٨):

أَفْعَنَكَ لَا بَرَقَ كَأَنَّ وَمِیْضَهُ غَابَ تَسْتَمُّهُ ضَرَامٌ مُثَقَبٌ
وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَثَلَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾^(٩).

(١) مغني اللبيب: ٢٦٩/١، ونسبته إلى أبي خراش الهذلي.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٥) سورة القيامة، الآية: ١.

(٦) ديوان زهير: ٩٥.

(٧) الزهرة: ٦٨١/٢ ونسبته لأبي سفيان بن الحارث.

(٨) هو ساعدة بن جؤية كما في شرح أشعار الهذليين: ١١٠٣، وفيه: غاب تشييمه.

(٩) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

قال أبو عبيدة في قوله جلّ ثناؤه: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١) قال: «لا» من حروف الزوائد لتتميم الكلام، والمعنى إلغاؤها. قال العجاج^(٢):

في بئر لا حُورٍ سرى وما شعرُ

أي: بئر حور، أي هلكة. وقال أبو النجم^(٣):

فما ألوم البِيضَ أن - لا - تَسْخَرَ

يقول: فما ألومهنّ أن يَسْخَرْنَ. وقال الشَّمَاخ^(٤):

أعائش ما لأهلك لا أراهم يُضِيعون الهِجَانَ مع المُضِيعِ؟

يريد: أراهم يضيعون السّوام، و«لا» إنما هي لغة. وقال^(٥):

وَيَلْحَيِّنِي فِي اللّهُو أَنْ لَا أَحِبَّهُ وَلِلّهُو دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرِ غَافِلٍ

المعنى: يلحيني في اللّهُو أن أحبه. وفي القرآن: ﴿ما منعك أن لا

تسجد﴾^(٦) أي: أن تسجد.

قال أحمد بن فارس: أما قوله: إن «لا» في ﴿ولا الضّالّين﴾ زائدة - فقد قيل فيه: إن «لا» إنما دخلت ها هنا مُزِيلَةً لتوهم متوهم أن الضّالّين هم المغضوب عليهم، والعرب تنعت بالواو، يقولون: «مررت بالظريف والعاقل» فدخلت «لا» مُزِيلَةً لهذا التوهم ومُعَلِّمة أن الضّالّين هم غير المغضوب عليهم. وأما قوله في شعر الشَّمَاخ: إن «لا» زائدة في قوله: «ما لأهلك لا أراهم» فغلط من أبي عبيدة لأنه ظنّ أنه أنكر عليهم فساد المال، وليس الأمر كما ظنّ، وذلك أن «الشَّمَاخ» احتجّ على امرأته بصنيع أهلها أنهم لا يضيعون المال. وذلك أن امرأة الشَّمَاخ وهي عائشة قالت للشَّمَاخ: لِمَ تشدّد على نفسك في العيش حتى تلزم الإبلَ وتعزّب

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٢) ديوانه: ٢٠، ومجمل اللغة: مادة (هور)، وشطره:

بإفكه حتى رأى الصبح جشره

(٣) الأزهية: ١٥٤، والمقتضب: ٤٧/١، وعجزه:

لَمَّا رَأَيْنِ السَّمَطَ الْقَفَنَدْرَا

(٤) ديوانه: ٢١٩، الهجان: الخيار. ومن الإبل، الهجان: البيض. والرجل الحسيب.

(٥) ديوان الأحوص الأنصاري: ١٣٢.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

فيها؟ فهوّن عليك. فردّ على امرأته فقال: ما لي أرى أهلك يتعهدون أموالهم ولا يضيعونها، بل يصلحونها، وأنت تأمريني بإضاعة المال؟ فقال^(١):

أعائش ما لأهلك لا أراهم يضيعون الهجان مع المضيع؟
وكيف يضيع صاحب مّدفات على أثباجهنّ من الصّقيع؟^(٢)
لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أغف من القنوع
و «لا» تنفي الاسم المنكور، نحو: «لا رجل عندك».

لات

اختلف الناس فيها: فمنهم من زعم أن «التاء» متصلة بـ «لا» وأنها بمنزلة «ليس» على تأويل: «وليس حين مناص»، نصب «حين» خبر «ليس». وقال الأفوه وجعل «لات» بمعنى «حين»^(٣):

ترك الناس لنا أكتافهم وتولّوا لات لم يُغنِ الفرار

لدن

«لدن» بمعنى «عند». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾^(٤) وقال: ﴿لاتخذناه من لدنا﴾^(٥) أي: من عندنا. وقد تحذف النون من «لدن». قال الشاعر^(٦):

من لدّ لحيته إلى منحوره

لدى

بمعنى «لدن» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وألفياً سيدها لدى الباب﴾^(٧).

(١) ديوان الشماخ: ٢١٩.

(٢) الأثباج: جمع الثبج: وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٣) الطرائف الأدبية: ١٣، للأفوه الأودي.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٧.

(٦) الكتاب: ٢٣٤/٤ ونسبته إلى غيلان بن حريث، وصدرة:

«يستوعب البوعين من جرير»

والبوع: إبعاد خطو الفرس في جريه، وبسط اليد بالمال. والجرير: جبل للبعير.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

لَيْسَ

«ليس» نفيٌ لفعلٍ مستقبلٍ تقول: «ليس يقوم».

وزعم ناس أنها من حروف النَّسَقِ نحو: «ضربتُ عبدالله ليس زيداً» و«قام عبدالله ليس زيداً» و«مررت بعبدالله ليس بزيد»، لا يجوز حذف الباء لأنك لا تضمّر المرور والباء. ولو قلت: «ظننت زيداً ليس عمراً قائماً» جاز. قال لييد:

وإذا جوزيت فرضاً فأجزه إنما يجزي الفتى ليس الجملة^(١)

والبصريون يقولون: لا يجوز العطف بـ «ليس»، وهي لا تُشبه من حروف العطف شيئاً. ألا ترى أنه يبتدأ بها ويضمّر فيها وروى سيبويه هذا البيت:

إنما يجزي الفتى غيرَ الجملة

قالوا: وخطأ «رأيت زيداً ليس عمراً» لأنه لا يكون على تقديرهم فعل بلا فعل، وكان الكسائي يقول: أجريت «ليس» في النسق مجرى «لا».

لَعَلَّ

«لَعَلَّ» تكون استفهاماً وَشكاً. وتكون بمعنى «خليق».

وحكي عن الكسائي أن «لَعَلَّما» تأتي بمعنى «كأنما» و«أنما» وأنكر الفراء هذا، قال: لأن «أنما» معبرة عن «أن» ولا يجوز أن تُسقط «ما» منها أبداً.

وأهل البصرة يقولون: «لَعَلَّ» ترجّح. وبعضهم يقول: توقّع.

وتكون «لَعَلَّ» بمعنى «عسى». وتكون بمعنى «كي». قال الله جلّ ثناؤه:

﴿وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢) يريد: لكي تهتدوا.

لَكِنَّ

قال قوم: هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معانٍ: منها «لا» وهي نفي،

و«الكاف» بعدها مخاطبة، و«النون» بعد الكاف بمنزل «إن» الخفيفة أو الثقيلة،

إلا أن الهمزة حذفت منها استثقلاً لاجتماع ثلاثة معانٍ في كلمة واحدة، ف«لا»

(١) ديوان لييد: ١٤١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٥.

تنفي خبراً متقدماً، و «إن» تُثبت خبراً متأخراً، ولذلك لا تكاد تجيء إلا بعد نفي وجحد، مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١). ومما يدلّ على أن النون في «لكن» بمنزلة «إن» خفيفة أو ثقيلة، أنك إذا ثقّلت النون نصبت بها، وإذا خففتها رفعت بها.

مذُ ومنذُ

هما ابتداءً غايةً في زمان. نحو «مذُ اليوم» و «منذُ الساعة».

مَا

أصلُ «مَا» أنها تكون لغير الناس. تقول: «ما مرَّ بك من الإبل؟».

فأمَّا قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٢) فقال أبو عبيدة: معناها «وَمَنْ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى». وكذلك ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾^(٣) أي: «ومن بناها»، وكذلك ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٤). قال: وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد: «سُبْحَانَ مَا سَبَّحَتْ لَهُ» وبعضهم يقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٥) أي: وخلقهُ الذكر والأنثى.

و «ما» تكون صِلَةً، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦) المعنى: قليلاً تذكرون. ولو كانت اسماً لارتفع فقلت: «قليل ما تذكرون» أي: قليل تذكركم.

و «ما» تكون للتفخيم، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٧) ومنه:

بَانَتْ لَتَحْزُنُنَا عَفَّارَةَ يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَةٌ^(٨)

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) سورة الليل، الآية: ٣.

(٣) سورة الشمس، الآية: ٥.

(٤) سورة الشمس، الآية: ٧.

(٥) سورة الليل، الآية: ٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢.

(٧) سورة الحاقة، الآية: ١، ٢.

(٨) ديوان الأعشى: ٨٣.

وذكر بعضهم أن «ما» هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا: «ما أحسن زيداً».

وقد تكون «ما» مُضمرةً، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾^(١) أراد: ما ثمّ. وكما قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾^(٢) أي: ما بيني. و﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾^(٣) أي: ما بينكم. فإذا قلت: «بينكم» فمعناه: وصلكم. وتكون للنفي، نحو: «ما فعلت».

وتكون للاستفهام، نحو «ما عندك؟». وزعم ناس في قولهم: «قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى» أن «ما» للنفي، وأنشدوا قول الشماخ^(٤):

أَعَدَّوْا الْقِمِصَّى قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى ولم تدرِ ما خُبْرِي، ولم أدرِ ما لها
يقول: نفرت هذه المرأة مني مثل ما نفرت أتان من عَيْرٍ من قبل أن يبلوها
ويعدو إليها. وما جرى، أي: لم يجر إليها.

مِنْ

يُسميها أهل العربية «ابتداءً غاية». وتكون للجنس، نحو: «خاتمٌ من حديد».

وتكون للتبويض، نحو: «أكلت من الرغيف».

وتكون رفعاً للجنس نحو: «ما جاءني من رجل».

وتكون صلةً، نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٥)، و﴿نَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٦).

وتكون تعجباً، نحو: «ما أنت من رجل»، و«حَسْبُكَ مِنْ رَجُلٍ».

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٤) ديوانه: ٢٨٨. والقمصي: العدو الشديد.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣١.

وتكون بمعنى «على»، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾^(١). وكان أبو عبيدة يقول في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾^(٢): «إن من صلة. قال أبو ذؤيب^(٣)»:

جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ لَمَّا أَرَدْتَهُ وما إن جزاك الضَّعْفَ من أحدِ قبلي

وقال غيره: لا تزد من أمرٍ واجب، يقال: «ما عندي من شيء» و«ما عنده من خير» و«هل عندك من طعام؟». فإذا كان واجباً لم يحسن شيء من هذا. لا تقول «عندك من خير».

مَنْ

اسم لمن يعقل، تقول: «لَقِيتُ مَنْ لَقِيتَ» و«مَنْ مَرَّ بِكَ؟» في الاستفهام. وهو يكون في الواحد والاثنين والجمع. ويخرج الفعل منه على لفظ الواحد والمعنى تثنية أو جمع. قال^(٤):

تَعَالَ، فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونِي نكن مثل مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ

وكذلك يكون في المؤنث، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾^(٥). و«من» تضمير، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾^(٦) المعنى: إِلَّا مَنْ. ومثله «وما منا إلا له مقام» أي إِلَّا مَنْ.

مه ومهما

«مه» زجرٌ وإسكات وأمرٌ بالتوقف عما يريد المرید، كأن قائلًا يريد الكلام بشيء أو فاعلاً يريد فعلاً فيقال لهما «مه» أي: قف ولا تفعل. هذا مشهور في كلام العرب. قال:

مَهْ مَا لِيَ لِلَّيْلَةِ، مَهْ مَا لِيَهْ يا راعي ذُودِي وأجماليه

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٣) شرح أشعار الهذليين: ١/٨٨، وفيه: لما اشتكته.

(٤) ديوان الفرزدق: ٦٢٨، وفيه: تعش فإن واثقتني لا تخونني.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

ويكون هذا على أن أمراً تقدم، فردّ عليه القائل فقال: «مَهْ» ثم مرّ كلام نفسه. و«مَهْمَا» بمنزلة «ما» في الشرط، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾^(١). ويقال: إنها «ما» أدخلت عليها «ما» قالوا: تكون إحداهما كالصلة كقوله جلّ ثناؤه: ﴿أَيُّ مَا تَدْعُونَ﴾^(٢)، فغيّر اللفظ.

مَتَى

«مَتَى» سؤالٌ عن وقت، تقول: «متى يخرج زيد؟».

و«متى» يكون شرطاً يقتضي التكرار، تقول: «متى كلمتُ زيداً فعلى كذا» سمعتُ عليّاً يقول: سمعتُ ثعلباً يقول ذلك.

فأما «متى» التي في لغة هُذَيْل فليست من هذا، لأنهم يقولون: «وضعتُه متى كَمِّي» يريدون: الوَسَطَ وينشدون^(٣):

شَرِينٌ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَصَعَّدَتْ متى لُجَجِ خُضْرٍ لَهْنٍ نَثِيجُ
قالوا: معناه من لَجَج. وقالوا: بمعنى وَسَط.

نَعَمْ وَنِعْمَ

«نَعَمْ» عدّة تصديق، و«نِعْمَ» كلمة تنبئ عن المحاسنِ كلّها.

هَلَمْ

قالوا: معناها «تَعَالَ». وكان الفراء يقول: أصلها «هل» ضمّ إليها «أمّ» وتأويل ذلك أن يقال: «هَلْ لَكَ في كذا، أمّ» أي: اقصد وتعال.

وكان الفراء يقول: معنى «اللهم» يا الله أُمَّنَا بخير. فكثرت في الكلام واختلطت وتُركت الهمزة.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٣) شرح أشعار الهذليين، لأبي ذؤيب: ١/١٢٩، وفي مغني اللبيب: ١/١١١ بلا عزو، ويقال: نأجت الريح، أي: تحركت. واللجج: جمع اللج: معظم الماء.

ها

قالوا: معناها «خذ». تتأول «تقول: «ها يا رجل». ويؤمر بها ولا ينهى بها. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾^(١).

هَاتِ

بمعنى «أعط» على لفظ «رَام» و «عَاطِ». قال الله جل ثناؤه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٢) قال الفراء: ولم يُسمع في الاثنين، إنما يقال للواحد والجميع. ويقولون: أنا أهاتيك، وليس من كلامهم هَاتَيْتُ، ولا يُنهى بها. وبلغني أن رجلاً قال لآخر: هات. فقال: لا أهاتيك ولا أوأتيك.

وَيَكَّانَ

اختلف أهل العلم فيها. فقال أبو زيد: معنى «ويكأنه»: ألم تر، وأنشد:

أَلَا وَرَيْكَ الْمَسْرَةَ لَا تَدَوْمُ وَلَا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ النِّعِيمُ
وَأُنشِدُ أَبُو عبيدة^(٣):

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأْتَانِي قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ
وَيَكَّانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشْبٌ يُحِبُّ سَبَّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ

وحدثني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن الفراء قال: هو في كلام العرب تقرير كما يقول القائل: «أما ترى إلى صنع الله».

وحكى الفراء عن شيخ من البصريين قال: سمعت أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال زوجها: ويكأنه وراء الباب. معناه: أما ترينه وراء الباب؟.

قال الفراء: ويذهب بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان، يريد «وَيْكَ» إنما أراد «وَيْلَكَ» فحذف اللام ويجعل «أَنَّ» مفتوحة بفعل مضمرة كأنه قال: ويملك اعلم أن. وقال: إنما حذفوا اللام من «وَيْلَكَ» حتى صارت «وَيْكَ»، فقد تقول العرب

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٣) الكتاب: ١٥٥/٢، ونسبته إلى زيد بن عمرو بن نُفيل.

ذلك لكثرتها في الكلام واستعمال العرب إياها. قال عنترة^(١):

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عتتر أقدم

وقال آخرون: ويك «وي» منفصلة من «كأن» كقولك للرجل: أما ترى بين يديك. فقال: «وي» ثم استأنف «كأن الله» و «كأن» في معنى الظن والعلم. وفيها معنى تعجب. قال: وهذا وجه مستقيم، ولم تكتبها العرب منفصلة. ويجوز أن يكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليس منه، كما اجتمعت العرب على كتاب «يا بنؤم» فوصلوها لكثرتها.

أولى

سمعت أبا القاسم علي بن أبي خالد يقول: سمعت ثعلباً يقول: «أولى له» أي: دانه الهلاك. وأصحابنا يقولون: «أولى» تهذؤ ووعيد. وهو قريب من ذلك. وأنشدوا^(٢):

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية

وقال قوم - وأنا أبرأ من عهده - : إن «أولى» مأخوذ من «الويل». وكان للويل فعل وتصريف درج ولم يبق منه إلا «الويل» قط. قال جرير^(٣):

يَعْمَلْنَ بِالْأَكْبَادِ وَيَلًا وَائِلًا

فقوله: «أولى»: «أفعل» من الويل، إلا أن فيه القلب.

وقال قوم «أولى»: دانه الهلاك فليحذر. قال:

أولى لكم ثم أولى أن تصيبكم مني نواقر لا تبقي ولا تذر^(٤)

يا

تكون للنداء، نحو: «يا زيد». وللدعاء، نحو «يا لله». وتكون للتعجب، كقوله: «يا له فارساً». وفي التعجب من المذموم: «يا له جاهلاً». قال في المدح

(١) ديوانه: ١٨٤.

(٢) مغني اللبيب: ٤١٠/١. وخزانة الأدب: ٢١/٩، ونسبته إلى عمرو بن ملقط.

(٣) لسان العرب: مادة (ويل) وليس في ديوانه.

(٤) النواقر: أي الكلام الذي يسوء، أو الحجاج.

أنشد فيه القطان عن ثعلب:

يا فارساً ما أبو أوفى إذا سُغِلْتُ كلتا اليدين كروراً غير فرارٍ

وفي الذم قول الآخر:

أبو حازم جاز لها وابن بُرْثُنٍ فيا لك جاري ذلّة وصغارٍ

و «يا» للتلهف والتأسف نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿يا حسرةً على العباد﴾^(١).

ويكون تنبيهاً كقوله:

يا شاعراً لا شاعرَ اليوم مثله جرير ولكن في كليب تواضعُ

وعلى هذا يتأولُ قوله جلّ ثناؤه: ﴿ألا يسجدوا﴾^(٢) وقد ذكرناه.

و «يا» تكون للتلذذ نحو قوله:

يا برّدها على الفؤاد لو يقف

(١) سورة يس، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٥.



باب معاني الكلام

وهي عند بعض أهل العلم عشرة: خبرٌ. واستخبار. وأمر. ونهي. ودُعاء. وطلب. وعرض. وتحضيض. وتمنٍ. وتعجبٌ. فهذا:

بابُ الخبرِ

أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلامٌ. تقول: «أخبرته. أخبره» والخبر هو العلم.

وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم. نحو «قام زيد» و «يقوم زيد» و «قائم زيد». ثم يكون واجباً وجائزاً وممتنعاً. فالواجب قولنا: «النار مُحَرَقَةٌ». والجائز قولنا: «لقي زيد عمراً». والممتنع قولنا: «حملت الجبل».

والمعاني التي يحتملها لفظ «الخبر» كثيرة: فمنها التعجب نحو: «ما أحسنَ زيداً». والتمني نحو: «ودِدْتُكَ عندنا». والإنكار: «ما له عليَّ حق». والنفي: «لا بأسَ عليك». والأمر نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿والمطلقات يتربصن﴾^(١). والنهي نحو قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢). والتعظيم نحو «سبحان الله». والدُعاء نحو: «عفا الله عنه». والوعد نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾^(٣). والوعيد نحو قوله: ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾^(٤) والإنكار والتبكيك نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

وربما كان اللفظُ خبيراً والمعنى شرطٌ وجزاء، نحو قوله: ﴿إِنَّا كاشفُو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾^(١) فظاهره خبير، والمعنى: إِنَّا إِنْ نَكْشَفْنَا عَنْكُمْ العذاب وتعودوا. ومثله ﴿الطلاق مرتان﴾^(٢) المعنى: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مَرَّتَيْنِ فَلْيُمْسِكْهَا بَعْدَهُمَا بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَسْرَحْهَا بِإِحْسَانٍ.

والذي ذكرناه في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٣) فهو تبيكت، وقد جاء في الشعر مثله، قال شاعر يهجو جريراً:

أبلغ جريراً وأبلغ مَنْ يُبْلَغُهُ أَنِي الْأَغْرُ وَأَنِي زَهْرَةُ الْيَمَنِ
فقال جريراً مبكّتا له^(٤):

ألم تكن في وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا مِنْ حَانَ مَوْعِظَةٌ يَا زَهْرَةَ الْيَمَنِ؟

ويكون اللفظُ خبيراً، والمعنى دعاء وطلب وقد مرّ في الجملة. ونحوه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) معناه: فَأَعِنَّا عَلَى عِبَادَتِكَ. ويقول القائل: «أستغفر الله» والمعنى: اغْفِرْ. قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٦) ويقول الشاعر^(٧):

أستغفرُ الله ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

باب الاستخبار

الاستخبارُ طلبُ خُبْرٍ ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام.

وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق. قالوا: ذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجأُ بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي. قالوا: والدليل على ذلك أن

(١) سورة الدخان، الآية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٤) ديوانه: ٤٦٧.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

(٧) المقتضب: ٣٢١/٢ بلا عزو.

الباري جلّ ثناؤه يوصّف بالخُبْر ولا يوصف بالفهم.

وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عما لا تعلمه، فتقول: «ما عندك؟» و «مَنْ رأيت؟».

ويكون استخباراً، في اللفظ، والمعنى تعجب. نحو: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾^(١). وقد يسمى هذا تفخيماً. ومنه قوله: ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾^(٢) تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه.

ويكون استخباراً والمعنى توبيخ. نحو: ﴿أذهبتم طياتكم﴾^(٣). ومنه قوله:

أَغْرَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَأَبْنُ الصَّيْفِ تَامِرٌ؟

ويكون اللفظ استخباراً، والمعنى تفجع. نحو: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً﴾^(٤).

ويكون استخباراً، والمعنى تبكيت نحو: ﴿أأنتَ قلتَ للناسِ﴾^(٥)، تبكيت للنصارى فيما ادعوه.

ويكون استخباراً، والمعنى تقرير. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿أألسْتُ بربكم﴾^(٦).

ويكون استخباراً، والمعنى تسوية. نحو: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذروهم﴾^(٧).

ويكون استخباراً، والمعنى استرشاد. نحو: ﴿أنجعلُ فيها من يفسد فيها﴾^(٨).

ويكون استخباراً، والمعنى إنكار نحو: ﴿أتقولون على الله ما لا

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

تعلمون ﴿١﴾ ومنه قول القائل :

وتقول عَزَّةٌ قد مَلَّتْ . فقل لها : أَيْمَلُ شَيْءٌ نَفْسَهُ فَأَمَلَهَا؟

ويكون اللفظ استخباراً، والمعنى عَرَضَ . كقولك : «ألا تنزل» .

ويكون استخباراً، والمعنى تَحْضِيضُ . نحو قولك : «هَلَّا خَيْراً مِنْ ذَلِكَ» و :

بني ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المَقْنَعَا ﴿٢﴾

ويكون استخباراً والمراد به الإفهام . نحو قوله جَلَّ ثناؤه : ﴿وما تلك

بيمينك﴾ ﴿٣﴾ قد علم الله أن لها أمراً قد خفي على موسى عليه السلام، فأعلمه من حالها ما لم يعلمه .

ويكون استخباراً، والمعنى تكثير، نحو قوله جَلَّ ثناؤه : ﴿وكم من قرية

أهلكناها﴾ ﴿٤﴾ ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ﴿٥﴾ . ومثله :

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا
وقال آخر ﴿٦﴾ :

وكم من غائظ من دونِ سلمى قليلِ الأنسِ ليس به كتيحُ

ويكون استخباراً، والمعنى نفي . قال الله جَلَّ ثناؤه : ﴿فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلِّ

اللَّهِ﴾ ﴿٧﴾ فظاهره استخبار والمعنى : لا هادي لمن أضلَّ اللهُ . والدليل على ذلك قوله في العطف عليه : ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ﴿٨﴾ . ومما جاء في الشعر منه قولُ

(١) سورة البقرة، الآية : ٨٠ .

(٢) البيت لججير، ديوانه : ٢٦٥ ، وصدوره :

تعدون عقر الثيب أفضل سعيكم

(٣) سورة طه، الآية : ١٧ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٣ .

(٥) سورة الحج، الآية : ٤٨ ، وسورة محمد، الآية : ١٣ ، وسورة الطلاق، الآية : ٨ .

(٦) ديوان عمرو بن معد يكرب : ١٤٦ . ويقال : ما به كتيح أي ما به أحد . والغائظ : المطمئن من الأرض .

(٧) سورة الروم، الآية : ٢٩ .

(٨) سورة آل عمران، الآية : ٢٢ .

الفرزدق^(١):

أين الذين بهم تُسامي دارمًا أم من إلى سلفي طهيةً تجعلُ
ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿أفأنت تُنقذُ من في النار﴾^(٢) أي لست منقذهم.

وقد يكون اللفظ استخباراً، والمعنى إخبار وتحقيق. نحو قوله جل ثناؤه:
﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾^(٣) قالوا معناه: قد أتى.

ويكون بلفظ الاستخبار، والمعنى تعجب. كقوله جل ثناؤه: ﴿عم يتساءلون﴾^(٤) و﴿لأي يوم أجلت﴾^(٥) ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع في
الشرط وهو في الحقيقة للجزاء. وذلك قول القائل: «إن أكرمك تُكرمني» المعنى:
أكرمني إن أكرمك؟ قال الله جل ثناؤه: ﴿أفإن مت فهم الخالدون؟﴾^(٦) تأويل
الكلام: أفهم الخالدون إن مت؟ ومثله: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم﴾^(٧) تأويله: أفتنقلبون على أعقابكم إن مات؟.

وربما حذفت العرب ألف الاستفهام، من ذلك قول الهذلي^(٨):

رفوني وقالوا: يا خويلد لم ترع فقلت - وأنكرت الوجوه - هم هم؟
أراد: أهم؟ وقال آخر^(٩):

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً شعيت بن سهم، أم شعيت بن منقر؟
وقال آخر^(١٠):

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر، أم بثمان؟

(١) ديوانه: ٤٩٠. وطهية: قبيلة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الدهر، الآية: ١.

(٤) سورة عم، الآية: ١.

(٥) سورة المرسلات، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٨) شرح أشعار الهذليين: ٣/٣٣٧ لأبي خراش. ورفوني: سكنوا رعي.

(٩) ديوان الأسود بن يعفر: ٣٧. والمقتضب: ٣/٢٩٤ بلا عزو.

(١٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢/٣٣٨، وفيه: فوالله ما أدري وإنني لحاسب.

وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله جلّ ثناؤه في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(١): أي: أهذا ربي؟.

باب الأمر

الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً. ويكون بلفظ «أفعل» و«ليفعل» نحو ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) ونحو قوله: ﴿وَلِيَحْكَمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾^(٣).

فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فإن يكون أمراً، والمعنى مسألة. نحو قولك: «اللهم اغفر لي». قال:

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ

ويكون أمراً، والمعنى وعيد. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٤). ومثله قوله جلّ ثناؤه: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٥). ومنه قول عبيد^(٦):

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ فِيهَا الْمُثْمَلُ نَاقِعاً فليشربوا

ومن الوعيد قوله:

ارْوُوا عَلَيَّ وَأَرْضُوا بِي رِحَالَكُمْ وَاسْتَسْمِعُوا يَا بَنِي مَيْثَاءَ إِنْشَادِي

مَا ظَنُّكُمْ بَيْنِي مَيْثَاءَ إِنْ رَقَدُوا لَيْلاً وَشَدَّ عَلَيْهِمْ حَيَّةُ الْوَادِي؟

وقد جاء في الحديث^(٧): «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أي: إن الله جلّ ثناؤه مجازيك، قال الشاعر^(٨):

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٥.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٦) هو عبيد بن الأبرص، والبيت ليس في ديوانه.

(٧) رواه البخاري: أنبياء: ٥٤، أدب: ٧٨، وأبو داود: أدب: ٦، وابن ماجه: زهد: ١٧، والموطأ:

سفر ٤٦، وأحمد: ١٣١/٤.

(٨) ديوان أبي تمام: ٤٩٧.

إذا لم تَخَشْ عاقِبَةَ الليالي ولم تَسْتَحْيِ فاصنع ما تشاء
ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تسليم. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ﴾^(١).

ويكون أمراً، والمعنى تكوين. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِئِينَ﴾^(٢). وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله جلّ ثناؤه.

ويكون أمراً، وهو نذب. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣).
ومثله:

فقلتُ لراعِيها انْتَشِرْ وَتَبَقَّلِ

ويكون أمراً، وهو تعجيز. نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَانفُذُوا، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَانٍ﴾^(٤). ومثله^(٥):

خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهَا وابْرُزْ بِبِرَّةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدْرُ

ويكون أمراً، وهو تعجب، نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾^(٦). قال^(٧):

أَحْسِنْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ موعودها، ولو أنّ النَّصْحَ مَقْبُولُ

ويكون أمراً، وهو تمنّ. تقول لِشَخْصٍ تراه: «كُنْ فلاناً».

ويكون أمراً، وهو واجب في أمر الله جلّ ثناؤه: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٨).

ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تلهيفٌ وتحسير. كقول القائل: «مَتَّ بَغِيظَكَ»

و «مَتَّ بِدَائِكَ» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ مَاتُوا بَغِيظِكُمْ﴾^(٩) ثم قال

(١) سورة طه، الآية: ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

(٥) ديوان جرير: ٢١٩.

(٦) سورة مريم، الآية: ٣٨.

(٧) ديوان كعب بن زهير: ٦١. والخُلَّةُ: الصاحبة.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

جرير^(١):

موتوا من الغَيْظِ غَمًّا فِي جَزِيرَتِكُمْ لَنْ تَقْطَعُوا بَطْنَ وَاذِ دُونَهُ مُضْرٌ
ويكون أمراً، والمعنى خَبَر. كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا
كثيراً﴾^(٢) المعنى: أنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً.

فإن قال قائل: فما حال الأمر في وجوبه وغير وجوبه؟ قيل له: أما العرب
فليس يُحفظُ عنهم في ذلك شيء، غير أن العادة بأن من أمر خادمه بسقيه ماءً فلم
يفعل أن خادمه عاصٍ، وأن الآخر مَعْصِي. وكذلك إذا نهى خادمه عن الكلام
فتكلم، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي.

فأما «النهي» فقولك: «لا تَفْعَلْ». ومنه قوله^(٣):

لا تَنكحِي - إن فَرَّقَ الدهر بيننا - أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا
وأما «الدعاء، والطلب» - فيكون لمن فوق الداعي والطالب. نحو: «اللهم
اغفر». ويقال للخليفة: «انظر في أمري». قال الشاعر^(٤):

إليك أشكو، فتقبَّلْ مَلْقِي واغفرْ خطاياي وثمَّرْ وِرْقِي

و «العرض والتحضيض» - متقاربان. إلا أن العَرْضَ أرفق. والتحضيض
أعزَمُ. وذلك قولك في العرض «ألا تنزل. ألا تأكل» والإغراء والحثُّ قولك: «ألم
يأني لك أن تطيعني». وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥). والحثُّ والتحضيض كالأمر ومنه قوله عز وجل: ﴿أَنْ أُنْتِ
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾^(٦) فهذا من الحثِّ والتحضيض، معناه:
انتههم ومُرهم بالاتقاء.

و «لولا» يكون لهذا المعنى، وقد مضى ذكرها. وربما كان تأويلها النفي،

(١) ديوانه: ٢٠٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٣.

(٣) ديوان هُدبة بن الخشرم: ١٠٥، والأنزع: الذي انحسر الشعر من جانبي جبهته.

(٤) ديوان العجاج: ١/١٧٨.

(٥) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٠.

كقوله جلّ ثناؤه: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾^(١) المعنى: اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسُلطان بَيِّن.

و «التمني» - قولك: «وَدِدْتُكَ عِنْدَنَا» وقوله^(٢):

وَدِدْتُ - وَمَا تُعْنِي الْوَدَادَةُ - أَنِّي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ

قال قوم: هو من الأخبار، لأن معناه «ليس» إذا قال القائل: «لَيْتَ لِي مَالًا» فمعناه: ليس لي مالٌ. وآخرون يقولون: لو كان خبراً لجاز تصديق قائله أو تكذيبه، وأهل العربية مختلفون فيه على هذين الوجهين.

أما «التعجب» فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف. كقولك: «ما أحسن زيداً». وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٣) وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٤) وقد قيل: إن معنى هذا: «ما الذي صَبَّرَهُمْ». وآخرون يقولون: «ما أَصْبَرَهُمْ: ما أجراهم». قال: وسمعت أعرابياً يقول لآخر: ما أصبرك على الله، أي ما أجراك عليه.

باب الخطاب

يأتي بلفظ المذكر، أو لجماعة الذكور

إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم يُنصَّ فيه على ذكر الرجال فإن ذلك الخطاب شامل للذكور والإناث. كقوله جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٥). كذا تُعرف العرب هذا. فإذا قال القائل: «هذا لقوم من بني فلان» فقد ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن «القوم» للرجال دون النساء، فسمعت عليّ بن إبراهيم يقول: سمعت ثعلباً يقول: يقال «امرؤ، وامرءان، وقوم» و «امرأة. وامرأتان. ونسوة». وسمعت عليّاً يقول: سمعت المفسر يقول: سمعت عبد الله بن مسلم يقول: «القوم» للرجال دون النساء، ثم يخالطهم النساء فيقال:

(١) سورة الكهف، الآية: ١٥.

(٢) ديوان كثير عزة: ١٩٩.

(٣) سورة عبس، الآية: ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

«هؤلاء القوم قوم فلان» ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل: هؤلاء قوم فلان، ولكن يقال: هؤلاء من قوم فلان، لأن قومه رجال والنساء منهم. قال: وإنما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور وعند الشدائد يقال: قائم وقوم، كما يقال: زائر وزور، وصائم وصوم، ونائم ونوم، ومثله: «التفر» لأنهم ينفرون مع الرجال إذا استنفرهم. قال امرؤ القيس^(١):

فَهْوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لَا عُدَّ مِنْ نَقَرِهِ

ومما يدل على أن القوم للرجال قول زهير^(٢):

وما أدري، وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

باب أقل العدد الجمع

الرُّتْبُ فِي الْأَعْدَادِ ثَلَاثٌ: رتبة الواحد، ورتبة الاثنين، ورتبة الجماعة، فهي للتوحيد والتثنية والجمع، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضاً. فإن عبّر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز والتحقيق ما ذكرناه. فإذا قال القائل: «عندي دراهم، أو أفراس، أو رجال» فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين. وإلى ذلك ذهب عبدالله بن عباس - ومكانه من العلم باللغة مكانه - في قوله جل ثناؤه: «فإن كان له إخوة فلأمه السدس»^(٣) إلى أن الحجب في هذا الموضع عن الثلث إلى السدس لا يكون إلا بأكثر من اثنين، وقوله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما جماعة»^(٤) فإنما أراد أنهما إذا صلياً فقد حازا فضل الجماعة، لا أن النبي ﷺ سمي الشخصين جماعة. وقول القائل: إن أقل ذلك أن يُجمع واحد إلى واحد فهذا مجاز، وإنما الحقيقة أن يقال: كان واحداً فثني ثم جمع. ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنين معنى بوجه، ونحن نقول: «خرجنا، ويخرجان» فلو كان الاثنان جمعاً لَمَا كان لقولنا «يخرجان» معنى، وهذا لا يقوله أحد.

(١) ديوانه: ١٠٣.

(٢) ديوانه: ١٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) رواه البخاري: أذان: ٣٥، والنسائي: إمامة ٤٣-٤٥، وابن ماجه: إقامة ٤٤، وأحمد:

باب الخطاب

الذي يقع به الإفهام من القائل، والفهم من السامع

يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التصريف. هذا فيمن يعرف الوجهين، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهام السامع بوجوه يطول ذكرها من إشارة وغير ذلك. وإنما المَعْوَل على ما يقع في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله ﷺ أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ.

فأما الإعراب فيه تُمَيِّز المعاني ويُوَقِّف على أغراض المتكلمين. وذلك أن قائلًا لو قال: «ما أحسن زيد» غير معرب، أو «ضرب عمرُ زيد» غير معرب لم يُوَقِّف على مراده. فإذا قال: «ما أحسن زيداً» أو «ما أحسنُ زيدٍ» أو «ما أحسن زيدٌ» أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده.

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يَفْرُقون بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون «مِفْتَح» للآلة التي يُفْتَح بها، و«مَفْتَح» لموضع الفتح و«مِقْصَص» لآلة القص، و«مَقْصَص» للموضع الذي يكون فيه القَص، و«مِحْلَب» للقدح يُحْلَب فيه و«مِحْلَب» للمكان يُحْتَلَب فيه ذوات اللبِن. ويقولون: «امرأة طاهر» من الحيض لأن الرجل يَشْرِكها في هذه الطهارة. وكذلك «قاعد» من الحَبَل و«قاعدة» من القعود.

ثم يقولون: «هذا غلاماً أحسن منه رجلاً» يريدون الحال في شخص واحد. ويقولون: «هذا غلام أحسنُ منه رجل» فهما إذا شخصان.

وتقول: «كم رجلاً رأيت؟» في الاستخبار، و«كم رجلٍ رأيت» في الخبر، يراد به التكثير. و«هُنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ» إذا كُنَّ قَدْ حَجَّجْنَ. و«حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ» إذا أرذُن الحَجَّ. ومن ذلك «جاء الشتاء والحَطَبُ» لم يُرِدْ أَنْ الحطب جاء، إنما أراد الحاجة إليه، فإن أراد مجيئهما قال: «والحطبُ». وهذا دليل يدل على ما وراءه.

وأما التصريف فإن من فاته علمه فاته المُعْظَم، لأننا نقول: «وَجَدَ» وهي كلمة مبهمه، فإذا صرفنا أفصحنا فقلنا في المال: «وَجُدًا»، وفي الضالة «وَجْدَانًا»، وفي الغضب «مَوْجِدَةً»، وفي الحزن «وَجْدًا». وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ

فَكَانُوا لَجَنَّهُمْ حَطْبًا»^(١) وقال: «وَأَقْسَطُوا إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمَقْسُطِينَ»^(٢) كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل إلى الجور. ويكون ذلك في الاسماء والأفعال فيقولون للطريقة في الرمل «خَبَّة» وللأرض المنخبة والمجدبة «خُبَّة». وتقول في الأرض السهلة الخوارة «خارت، تخور، خوراً، وخوراً»، وفي الإنسان إذا ضُغف «خار، خوراً»، وفي الثور «خار، خواراً». ويقولون للمرأة الضخمة «ضِنَاك» وللزُكمة «ضُنَاك» ويقولون للإبل التي ذهبت ألبانها: «شَوْل» وهي جمع «شائلة». والتي شالت أذنانها لِلَّقَح «شَوْل» وهي جمع «شائل». ويقولون لبقية الماء في الحوض «شَوْل» ويقولون للعاشق «عميد» وللبعير المتأكل السنام «عَمِد» إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحصى.

باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى فهو القصد والمراد. يقال: «عَنَيْتُ بالكلام كذا» أي: قَصَدْتُ وَعَمَدْتُ. أنشدني القَطَّان عن ثعلب عن ابن الأعرابي^(٣):

مِثْلُ الْبُرَامِ غَدَا فِي أَصْدَةِ خَلْقٍ لَمْ يَسْتَعِنْ وَحَوَامِي الْمَوْتِ تَغْشَاهُ
فَرَجَّتْ عَنْهُ بِصِرْعَيْنَا لِأَرْمَلَةٍ وَبَائِسٍ جَاءَ مَعْنَاهُ كَمَعْنَاهُ

يقول في رجل قُدِّمَ لِيُقْتَلَ، وأنه فرج عنه بِصِرْعَيْنِ، أي فِرْقَيْنِ من غنم: قد كنتُ أعددتُها لِأَرْمَلَةٍ تَأْتِينِي تَسْأَلُنِي أَوْ لِبَائِسٍ مِثْلَ هَذَا الْمَقْدَمِ لِيُقْتَلَ مَعْنَاهُ كَمَعْنَاهُ، أي إن مقصدهما في السؤال والبؤس مقصد واحد ويجوز أن يكون المعنى «الحال» أي حالهما واحدة.

وقال قوم: اشتقاق «المعنى» من «الإظهار» يقال: «عَنْتِ الْقِرْبَةَ» إذا لم تحفظ

(١) سورة الجن، الآية: ١٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) لسان العرب: مادة (صرع)، والبيت الثاني في المقاييس مادة (صرع). البرام: القُرَاد. الأصد: قميص صغير للصغيرة.

الماء بل أظهرته، و «عنوان الكتاب» من هذا. وقال آخرون: «المعنى» مشتق من قول العرب «عنت الأرض بنبات حسن» إذا أنبت نباتاً حسناً، قال الفراء: «لم تعن بلادنا بشيء» إذا لم تُنبت وحكى ابن السكيت: «لم تعن» من «عنت. تعني» فإن كان هذا فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيد اللفظ كما يقال: «لم تعن هذه الأرض» أي: لم تُفد.

وأما «التفسير» فإنه «التفصيل»، كذا قال ابن عباس في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) أي: تفصيلاً.

وأما اشتقاقه فمن «الفسر». أخبرني القطان عن المعداني عن أبيه عن معروف عن الليث عن الخليل قال: الفسر البيان، واشتقاقه من فسر الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك: «التفسر» أيضاً.

وأما «التأويل» فأخِر الأمر وعاقبته. يقال: «إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟» أي مصيره وأخره وعقباه. وكذا قالوا في قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢) أي: لا يعلم الآجال والمُدَد إلا الله جل ثناؤه، لأن القوم قالوا في مدة هذه الملة ما قالوه، فأعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه.

واشتقاق الكلمة من «المآل» وهو العاقبة والمصير، قال عبدة بن الطبيب^(٣):

وَلِإِحْبَةِ أَيَّامٍ تَذَكَّرُهَا وَلِلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلُ

وقال الأعشى^(٤):

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوِيلُ حُبِّهَا تَأْوِيلَ رِبْعِيِّ السَّقَابِ فَاصْحَبَا

يقول: إن حبها كان صغيراً في قلبه فال إلى العظم ولم يزل يئب حتى أصحَب، فصار كالسَّقَب الذي لم يزل يشبُّ حتى أصحَب، يعني أنه إذا استصحبتَه أمه صحبها.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) المفضليات: ١٣٦، والبين: الفراق.

(٤) ديوانه: ٢٠. السَّقَاب: جمع السَّقَب: ولد الناقة. الربيعي: نسبة إلى الربيع.

باب الخطاب المطلق والمقيّد

أما الإطلاق فأن يُذكر الشيء باسمه لا يُقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك .

والتقيد أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى . من ذلك أن يقول القائل: «زيدٌ لَيْثٌ»، فهذا إنما شَبَّهه بليث في شجاعته، فإذا قال: «هو كالليثِ الحَرَبِ» فقد زاد «الحَرَبِ» وهو الغضبان الذي حُرِبَ فريسته، أي: سلبها . فإذا كان كذا كان أدهى له . ومن المطلق قوله^(١):

ترائبها مَصْقولةٌ كالسَّجَنجَلِ

فشَبَّهَ صدرها بالمرأة، لم يزد على هذا . وذكر ذو الرّمة أخرى فزاد في المعنى حتى قيّد فقال^(٢):

ووجهُ كمرأة الغريبةِ أسجَحُ

فذكر المرأة كما ذكر امرؤ القيس السَّجَنجَلِ، وزاد الثاني ذَكَرَ الغريبة فزاد في المعنى، وذلك أن الغريبة ليس لها من يُعلِّمها محاسنها من مساوئها فهي تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتربّيها ما تحتاج إلى رؤيته من سُنَنِ وجهها . ومنه قول الأعشى^(٣):

تَروُحُ على آلِ المُحَلَّقِ جَفَنَةٌ كجايبةِ الشيخِ العِراقِيِّ تَفْهَتُ

فشَبَّهَ الجفنة بالجايبة، وهي الحوض، وقيدها بذكر الشيخ العراقي، لأن العراقي إذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماء ومواقع الغيث، فهو على جمع الماء الكثير أحرص من البدوي العارف بالمنافع والأحساء . ومن هذا الباب قول حميد بن ثور يصف بعيراً^(٤):

(١) ديوان امرئ القيس: ٤٢ .

(٢) ديوانه: ٤٧، وصدرة: لها أذنٌ حشرٌ وذفرى أسيلة .

وفيه: «وخد كمرأة...» والأسجح: اللين الحسن . الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن . الأسيل: الأملس والطويل .

(٣) ديوانه: ١٢١، وفيه: «نفى الذم عن آل...» والجفنة: القصة . الجايبة: الحوض الضخم .

(٤) ديوانه: ١١١، وفيه: «راعي الضأن لو يتقوف». الثلة: جماعة الغنم .

مُحَلَّى بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الثَّلَاةِ الْمُتَعَيِّفُ

فقال «راعي ثلثة» ولم يطلق اسم الراعي، وذلك أنهم يقولون: إن راعي الغنم أجهل الرعاة، فيقول: إن هذا البعير محلى بأطواق عتاق، أي كريمة، يُبينها راعي الثلثة على جهله فكيف بغيره ممن يعرف.

باب الشيء يكون ذا وصفين

فِيُعَلَّقُ بِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى أَحَدٍ وَصْفِيهِ

أما الفقهاء فمختلفون في هذا.

فأما مذهب العرب فإنَّ العربي قد يذكر الشيء بإحدى صفتيه فيؤثِّر ذلك، وقد يذكره فلا يؤثِّر بل يكون الأمر في ذلك وفي غيره سواءً. ألا ترى القائل يقول^(١):

مَنْ أَنَسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الطَّمَعِ

فلو كان الأمر على ما يذهب إليه مَنْ يُخَالِفُ مَذْهَبَ الْعَرَبِ لاسْتُجِيزَ عَاجِلُ الْفُحْشِ إِذْ كَانَ الشَّاعِرُ إِنَّمَا ذَكَرَ الْعَاجِلَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرٍ بِهِ﴾^(٢) والكفر لا يجوز في حال من الأحوال. وحكى ناس عن أبي عبيد إنما سلك فيما قاله من هذا مسلك التأوُّل ذاهباً إلى مذهب من يقول بهذه المقالة، ولم يَحْكِ ما قاله عن العرب، ولو حكاه عنهم للزم القولُ به، لأنَّ أبا عبيد ثقة أمين فيما يحكيه عن العرب، فأما في الذي تأوله فإننا نحن نُخالفه فيه كما نخالفه في مسألة مُتعة الحج وفي ذوي الأرحام وغير ذلك من المسائل المختلف فيها.

(١) المفضليات: ١٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤١.

باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز

نقول في معنى الحقيقة والمجاز:

إن «الحقيقة» من قولنا: «حَقَّ الشيء» إذا وجب. واشتقاقه من الشيء المحقَّق وهو المُحَكَّم، تقول: «ثوب محقَّق النَّسِج» أي مُحَكَّمه. قال الشاعر:

تَسْرِبِلُ جِلْدَ وَجهِ أَبِيكَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُحَقَّقَةَ الرَّقَاقَا^(١)

وهذا جنس من الكلام يُصَدِّقُ بعضه بعضاً من قولنا: «حَقَّ وحقيقة، ونصُّ الحِقَاق». فالحقيقة: الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: «أحمدُ الله على نِعَمِهِ وإِحسانِهِ»، وهذا أكثر الكلام. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢). وأكثر ما يأتي من الآي على هذا. ومثله في شعر العرب^(٣):

لِمَالِ الْمَرءِ يُصْلِحُهُ فَيُعْنِي مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنْ الْقُنُوعِ

وقول الآخر:

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَرِّينَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

وأما «المجاز» فمأخوذ من «جاز»، يَجُوزُ إذا استنَّ ماضياً تقول: «جاز بنا فلان. وجازَ علينا فارس» هذا هو الأصل. ثم تقول: «يجوز أن تفعلَ كذا» أي: يَنْفُذُ ولا يَرُدُّ ولا يُمْنَعُ. وتقول: «عندنا دراهم وَصَح وازنة وأخرى تَجُوزُ جَوَازَ الوَازِنَةِ» أي: إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازها وجوازها لِقربها منها. فهذا تأويل قولنا: «مجاز» أي: إن الكلام الحقيقي يَمْضِي لِسَنَنِهِ لَا يُعْتَرِضُ عَلَيْهِ،

(١) لسان العرب: مادة (حقق) بلا عزو. والمقاييس: مادة (حق).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤.

(٣) ديوان الشماخ: ٢٢١.

وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه، إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول، وذلك كقولك: «عطاء فلان مُزَنٌ واكفٌ» فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله: «عطاؤه كثير وافٍ» ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ﴾^(١) فهذا استعارة. وقال: ﴿وله الجواري المُنْشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢) فهذا تشبيه. ومنه قول الشاعر^(٣):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يُبْدُ مِنْهُمْ كَوَكِبُ

فالمجاز هنا عند ذكر «السورة» وإنما هي من البناء. ثم قال «يتذبذب»، والتذبذب يكون لذباب الثوب وهو ما يتدلى منه فيضطرب، ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب.

وجاء هذان البابان في نظوم كتاب الله جل ثناؤه، وكذلك ما يجيء بعدهما ما نذكره من سنن العرب، لتكون حجة الله جل اسمه عليهم أكد، ولئلا يقولوا: إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السنن التي نستثها. لا، بل أنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفونها وبالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشهر. ثم جعله تبارك اسمه أحد دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ. ثم أعلمهم ألا سبيل لهم إلى معارضة، وقطع العذر بقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^(٤).

فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معنقاه، كقولهم عند المدح: «قاتله الله ما أشعره» فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه. ومن قول امرئ القيس يصف رامياً^(٥):

فَهُوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَا لَهُ لَا عُدٌّ مِنْ نَقْرِهِ

(١) سورة ن، الآية: ١٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ٤٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٥) ديوانه: ١٠٣.

يقول: إذا عدّ نفره لم يعدّ معهم، كأنه قال: قتله الله، أماته الله، حتى لا يعدّ. ومنه قولهم: «هَوَتْ أُمَّهُ، وَهَبَلَتْهُ، وَثَكَلَتْهُ». قال كعب بن سعد يرثي أخاه^(١):

هَوَتْ أُمَّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيَا وَمَا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُؤُوبُ

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرُّجُل في رميه أو في فعل يفعله وكان عبدالله بن مسلم بن قتيبة يقول في هذا الباب: من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جلّ ثناؤه: ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾^(٢)، و﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٣)، و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤) وأشباه ذلك.

قال أحمد بن فارس: وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره فإنه لا يجوز لأحد أن يُطلق فيما ذكره الله جلّ ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد، لأنهم قُتلوا وأهلكوا وقوتلوا ولُعِنوا، وما كان الله جلّ ثناؤه ليدعوا على أحد فتحيد الدعوة عنه. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٥) فدعا عليه ثم قال: ﴿وَتَبَّتْ أَيُّ وَقَد تَبَّ وَحَاقَ بِهِ التَّبَابُ.

وابن قتيبة يُطلق إطلاقات منكرة ويروي أشياء شنعاء، كالذي رواه عن الشَّعْبِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا تُوَفُّوا وَلَمْ يَجْمَعُوا الْقُرْآنَ. قال: وروى شريك عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت الشَّعْبِيَّ يَقُولُ وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ: لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ حُفْرَتَهُ وَمَا حَفِظَ الْقُرْآنَ. وهذا كلام شنعاء جداً فيمن يقول: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، سَلُونِي فَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَعْلَمُ أَبْلِيلٍ نَزَلَتْ أُمَّ بِنَهَارٍ، أُمَّ فِي سَهْلٍ أُمَّ فِي جَبَلٍ».

وروى السُّدِّيُّ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى مِنَ النَّاسِ طَيْرَةً عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْسَمَ أَلَّا يَضَعَ عَلَى ظَهْرِهِ رِدَاءً حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ قَالَ: فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى جَمَعَ الْقُرْآنَ، فَهُوَ أَوَّلُ مَصْحَفٍ جُمِعَ فِيهِ الْقُرْآنُ، جَمَعَهُ

(١) الأصمعيات: ٩٥. وقوله: هوت أمه يعني فقدته، ومثله هبلته وثكلته. يؤوب: يرجع.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

(٣) سورة عبس، الآية: ١٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة المسد، الآية: ١.

من قلبه، وكان نَدَّ آل جعفر.

وحدَّثنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبدالعزيز قال: قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبدالرحمن السُّلَمي أنه قال: ما رأيتُ أحداً أقرى من عليّ صلوات الله عليه، صلينا خلفه فأسوأ بَرزخاً ثم رجَع فقراه ثم عاد إلى مكانه قال أبو عبيد: البرزخ: ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت: هو في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة، فأراد أبو عبدالرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه.

باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف اللفظ والمعنى، وهو الأكثر الأشهر، مثل: «رجل، وفرس» و «سيف، ورمح» ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى، كقولنا: «سيف، وعَضْب» و «لَيْث، وأَسَد» على مذهبنا في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة.

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا: عين الماء، وعين المال، وعين الركية، وعين الميزان، ومنه في كتاب الله جَلّ ثناؤه: ﴿قَضَى﴾ بمعنى: حَتَمَ كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿قَضَى عليها الموت﴾^(١) وقضى بمعنى: أمر، كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(٢) أي أمر. ويكون قضي بمعنى: أعلم كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾^(٣) أي أعلمناهم. وقضى بمعنى: صنع، كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿فاقض ما أنت قاضٍ﴾^(٤) وكقوله جَلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ اقضوا إلي﴾^(٥) أي اعملوا ما أنتم عاملون. وقضى: فرَغ. ويقال للميت:

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٤) سورة طه، الآية: ٧.

(٥) سورة يونس، الآية: ٧١.

قَضَى أَي فَرَّغَ . وَهَذِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا فَالْأَصْلُ وَاحِدٌ .

وَمِنْهُ اتِّفَاقُ اللَّفْظِ وَتَضَادُّ الْمَعْنَى كَ «الظَّنِّ» وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

وَمِنْهُ تَقَارُبُ اللَّفْظَيْنِ وَالْمَعْنَيْنِ كَ «الْحَزْمِ» وَ «الْحَزَنِ» . فَالْحَزْمُ مِنَ الْأَرْضِ أَرْفَعُ مِنَ الْحَزَنِ . وَكَ «الْحَضْمِ» وَهُوَ بِالْفَمِّ كُلِّهِ . وَ «الْقَضْمِ» وَهُوَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . وَمِنْهُ اخْتِلَافُ اللَّفْظَيْنِ وَتَقَارُبُ الْمَعْنَيْنِ كَقَوْلِهِمْ «مَدَحَهُ» إِذَا كَانَ حَيًّا وَ «أَبْنَتْهُ» إِذَا كَانَ مَيِّتًا .

وَمِنْهُ تَقَارُبُ اللَّفْظَيْنِ وَاخْتِلَافُ الْمَعْنَيْنِ وَذَلِكَ قَوْلُنَا : «حَرَجَ» إِذَا وَقَعَ فِي الْحَرَجِ ، وَ «تَحَرَّجَ» إِذَا تَبَاعَدَ عَنِ الْحَرَجِ . وَكَذَلِكَ «أَثِمَ ، وَتَأَثَّمَ» ، وَ «فَرَعَ» إِذَا أَتَاهُ الْفُرْعَ ، وَ «فُرِّعَ عَنْ قَلْبِهِ» إِذَا نَحَّى عَنْهُ الْفُرْعَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾^(١) أَرَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَخْرَجَ مِنْهَا الْفُرْعَ .

باب القلب

وَمِنْ سِنَنِ الْعَرَبِ الْقَلْبُ . وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْكَلِمَةِ ، وَيَكُونُ فِي الْقِصَّةِ : فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَقَوْلُهُمْ : «جَذَبَ ، وَجَبَدَ» وَ «بَكَلَ ، وَلَبِكَ» وَهُوَ كَثِيرٌ وَقَدْ صَنَّفَهُ عُلَمَاءُ اللَّغَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَا فِيمَا أَظُنُّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شَيْءٌ . وَأَمَّا الَّذِي فِي غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فَقَوْلُهُمْ :

كَمَا عَصِبَ الْعِلْبَاءُ بِالْعَوْدِ^(٢)

و : كَمَا كَانَ الزَّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ^(٣)

و : كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ^(٤)

و : كَأَنَّ الصِّفَا أَوْرَاكُهَا

إِنَّمَا أَرَادَ : كَانَ أَوْرَاكُهَا الصِّفَا ، وَيَقُولُونَ : «أَدْخَلْتُ الْخَاتَمَ فِي إِصْبَعِي»

و :

(١) سُورَةُ سَبَأٍ ، آيَةٌ : ٢٣ .

(٢) دِيْوَانُ الشَّمَاخِ : ١٢٠ . وَصَدْرُهُ : مِنْهُ نَجَلْتُ وَلَمْ يُوَشِّبْ بِهِ حَسْبِي .

(٣) دِيْوَانُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ : ٢٣٥ . وَصَدْرُهُ : كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا أَتَيْتُ كَمَا .

(٤) دِيْوَانُ رُؤْيَا : ٣ . وَصَدْرُهُ : وَبَلَدٌ عَامِيَةٌ أَعْمَاؤُهُ .

تشقى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ^(١)

و: كما بَطْنَتْ بالفَدَنِ السَّيَاعِ^(٢)

و: حَسَرْتُ كَفِّي عن السَّرْبَالِ

وإنما حَسَرَ السَّرْبَالِ عن كفه. ومثله في كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٣) ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على مَنْ يُلْزَمُهُ الأمر والنهي، وإذا كان كذا فالمعنى: وحرَّمْنَا على المراضع أن يرضعنَّه. ووجه تحريم إرضاعه عليهن أن لا يقبل إرضاعهن حتى يُرَدَّ إلى أمه. قال بعض علمائنا: ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) والأصنام لا تعادي أحداً، فكأنَّه قال: فإني عدوٌّ لهم، وعداوته لها بغضه إيَّاهَا وبراءته منها.

باب الإبدال

ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: «مَدَحَهُ. وَمَدَّهَهُ» و«فَرَسٌ رِفْلٌ. وَرَفْنٌ» وهو كثير مشهور قد أُلْفَ فيه العلماء. فأما ما جاء في كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ﴾^(٦) فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب: «فلقُ الصبح. وفرقه». وذكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَجَاسُوا﴾: إنما أراد «فحاسوا» فقامت الجيم مقام الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقُّه عنه.

باب الاستعارة

ومن سنن العرب الاستعارة، وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من

(١) الأضداد: ١٥٣ ونسبته إلى خدش بن زهير.

(٢) ديوان القطامي: ٤٠، وصدرة: «فلما أن جرى سمنٌ عليها». والسَّيَاعُ: الشحم تُطلى به المزادة، والطين بالتين يُطَيَّنُ به. وفي القاموس المحيط يروى عجز البيت: كما طِنَتْ... والمراد: كما طينت بالسَّيَاعِ الفَدَنُ. والفَدَنُ: صباغ أحمر.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٢.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

موضع آخر فيقولون: «انشقت عصاهم» إذا تفرقوا. وذلك يكون للعصا ولا يكون للقوم. ويقولون: «كشفت عن ساقها الحروب». وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿كَأَنَّهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾^(١) يقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار. وقال الشاعر:

دُفِعْتُ إِلَى شَيْخٍ بَجْنِبِ فِنَائِهِ هُوَ الْعَيْرُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿التَّقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٢) و﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾^(٣) أي في الخلق الجديد. و﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٤) وتقول العرب: «رَانَ بِهِ الثُّعَاسُ» أي غلب عليه. و﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٥) أي ضيق وشدة. و﴿لَنْسُفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٦)، و﴿أَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٧) وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٨) وتقول العرب «ناقة تاجرة» يريدون أنها تُنْفِقُ نَفْسَهَا بِحُسْنِهَا. وقوله جل ثناؤه: ﴿وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٩)، و﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(١٠) و﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١١) ويُراد حُظُّهُمْ وما يحصل لهم. والعرب تقول^(١٢):

فإني لستُ منك ولستُ مني إذا ما طارَ من مالي الثمينُ

أي حصل. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١٣) أي أثت بها كما أمرت به و﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾^(١٤) أي عَصَمَكَ مِنْهُمْ. رواه شعبة عن أبي رجاء عن

- (١) سورة المدثر، الآية: ٥٠.
- (٢) سورة القيامة، الآية: ٢٩.
- (٣) سورة النازعات، الآية: ١٠.
- (٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.
- (٥) سورة البلد، الآية: ٤.
- (٦) سورة العلق، الآية: ١٥.
- (٧) سورة تبت، الآية: ٤.
- (٨) سورة الدخان، الآية: ٢٩.
- (٩) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.
- (١٠) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٥.
- (١١) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.
- (١٢) المقاييس: مادة (ثمن) بلا عزو.
- (١٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
- (١٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

الحَسَنَ ومن الاستعارة قولهم: «زَالَتْ رِحَالُهُ سَابِحٍ» كناية عن المرأة تستعصي على زوجها. قال الشَّمَاخُ^(١):

وكنْتُ إذا زالت رِحَالُهُ سَابِحٍ شَمِثٌ به حَتَّى لقيتُ مِثَالَهَا
وكانت امرأته نَشَزَتْ عليه، وذلك قوله^(٢):

أَلْأَصْبَحْتُ عِرْسِي من البيت جَامِحاً بِغَيْرِ بَلَاءٍ سَيِّئٍ ما بَدَأَ لَهَا

باب الحذف والاختصار

ومن سُنن العرب الحذف والاختصار، يقولون: «والله أفعلُ ذاك» يريد لا أفعل. و«أتانا عند مَغيب الشمس، أو حين أراد، أو حين كادت تغرب» قال ذو الرِّمَّة^(٣):

فلَمَّا لَيْسَنَ الليلَ أو حين نَصَبْتُ له من خذا آذَانِها وهو جانحُ

ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٤) أراد أهلها. و﴿الْحِجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾^(٥). و«بنو فلان يَطُؤُهُم الطريق» أي أهله. و«نحن نَطَأُ السَّمَاءَ» أي مَطَرها. و﴿على خَوْفٍ من فرعونَ وملئِهِمْ﴾^(٦) أي من آل فرعون. و﴿إِذَا لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ﴾^(٧) أي ضِعْفَ عَذَابِها. و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾^(٨). ومثله: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البحرَ فَنَافِلِقْ﴾^(٩) أي فاضرب فَنَافِلِقْ. ومنه ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِي قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾^(١٠) أراد الثناء الحسن. ومنه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأمرُ فلو صدقوا الله﴾^(١١) معناه: فإذا عزم الأمر كذبوه.

(١) ديوانه: ٢٨٩، وفيه: «رحالة صاحب شتمت به».

(٢) ديوان الشماخ: ٢٨٧. وفيه: على غير شيء أي أمر بدا لها.

(٣) ديوان ذي الرمة: ٥٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٦) سورة يونس، الآية: ٨٣.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٧٥.

(٨) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(١٠) سورة يس، الآية: ٢٦.

(١١) سورة محمد، الآية: ٢١.

باب الزيادة

قال بعض أهل العلم: إنَّ العربَ تزيد في كلامها أسماءً وأفعالاً.

أما الاسماء فالاسم والوجه والمثل . قالوا: فالاسم في قولنا: «بسم الله» إنما أردنا «بالله» لكنه لما أشبه القسم زيدَ فيه الاسمُ . وأمَّا الوجه فقول القائل: «وَجْهِي إِلَيْكَ» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) ثم قال الشاعر^(٢):

أستغفر الله ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ رَبِّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

وأما المثل ففي قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَتُوا بسورةٍ من مثله﴾^(٣) ويقول قائلهم: «مثلي لا يخضع لمثلك» أي: أنا لا أخضعُ لك . قال الشاعر^(٤):

يا عاذلي دغني من عدلِكَ مثلي لا يقبل من مثلكا

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله﴾^(٥) أي عليه .

وأما الأفعال فقولهم «كاد» في قول الشاعر^(٦):

حتى تناول كلباً في ديارهم وكادَ يسمو إلى الجرفينِ فارتفعاً

أراد «وسما»، ألا ترى أنه قال: «فارتفع». وما يُزاد أيضاً من الأفعال قول القائل: «لا أعلم في ذلك اختلافاً» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿أَمْ تَنْبُؤُنَهُ بما لا يعلم في الأرض﴾^(٧) أراد والله أعلم: بما ليس في الأرض .

وقد تزداد حروف من حروف المعاني - كزيادة «لا» و «من» وغير ذلك . وقد مضى ذكره بشواهدده .

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢١ .

(٢) المقتضب: ٣٢١/٢، بلا عزو .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣ .

(٤) الإنصاف: ٣٠١/١ بلا عزو .

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٠ .

(٦) ديوان الأعشى: ١٠٨ .

(٧) سورة الرعد، الآية: ٣٣ .

باب التكرار

وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد^(١):

قَرَبًا مَرَبِطُ النَّعَامَةِ مَنِي لَفِحَتْ حَرْبٌ وَاثِلٌ عَنِ حِيَالٍ
فَكَرَّرَ قَوْلَهُ: «قَرَبًا مَرَبِطُ النَّعَامَةِ مَنِي» فِي رِوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ عِنَايَةً بِالْأَمْرِ،
وَأَرَادَ الْإِبْلَاحَ فِي التَّنْبِيهِ وَالتَّحْذِيرِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَشْعَرِ^(٢):

وَكَتَيْبَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيَّةٌ حَتَّى يَقُولُ نَسَاؤُهُمْ: هَذَا فَتَى
فَكَرَّرَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي رِوَايَاتٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَذْهَبِ. وَتَكَرَّرَ مَن
كَرَّرَ^(٣):

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا، مَهْلًا مَوَالِينَا

وَكَقُولِ الْآخَرِ:

كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَهُ كَمْ كَمْ وَكَمْ

فَكَرَّرَ لَفْظَ «كَمْ» لِفِرطِ الْعِنَايَةِ بِقَصْدِ تَكْثِيرِ الْعَدَدِ. قَالَ عِلْمَاؤُنَا: فَعَلَى هَذِهِ
السَّنَةِ جَاءَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَبَأْيِ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذَّبُونَ﴾^(٤).
فَأَمَّا تَكَرُّرُ الْأَنْبَاءِ وَالْقِصَصِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَدْ قِيلَتْ فِيهِ وَجُوهٌ.
وَأَصَحُّ مَا يُقَالُ فِيهِ إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنَ وَعَجَزَ الْقَوْمَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ
آيَةً لَصِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ بَيَّنَّ وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ فِي عَجْزِهِمْ بِأَنْ كَرَّرَ ذِكْرَ الْقِصَّةِ فِي
مَوَاضِعَ إِعْلَامًا أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ بِأَيِّ نَظْمٍ جَاءَ وَبِأَيِّ عِبَارَةٍ عَبَّرَ. فَهَذَا
أَوْلَى مَا قِيلَ فِي هَذَا الْبَابِ.

(١) الحيوان: ٢٢/١، ٢٨٤/٣، والأزهية: ٢٨٠، وفيهما: لفتح حرب. والحارث حكيم وشاعر جاهلي، والنعام: فرسه.

(٢) الأصمعيات: ١٤٢، ونسبته إلى الأسعر الجعفي، وهو مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية، جاهلي، ورواية البيت في الأصمعيات:

وكتيبة وجهتها لكتيبة حتى تقول سراهم: هذا الفتى

(٣) أساس البلاغة: (نيش)، بلا عزو وعجزه: لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٥، ٢٨، وفي أماكن أخرى من السورة ذاتها.

باب العموم والخصوص

العالمُ الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً. وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(١) وقال: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

والخاصُّ الذي يتحلل فيقع على شيء دون أشياء. وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنَّ وَهْبَتَ نَفْسِهَا لِلنَّبِيِّ﴾^(٣) وكذلك قوله: ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤) فخاطب أهل العقل.

وقد يكون الكلامان متصلين، ويكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً. وذلك قولك لمن أعطى زيداً درهماً «أعط عمرأ، فإن لم تفعل فما أعطيت» تريد: إن لم تعطِ عمرأ فأنت لم تعطِ زيداً أيضاً، وذلك غير محسوب ذلك. ومثله في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٥) فهذا خاص، يريد: هذا الأمر المجدد ببلغه، فإن لم تفعل ولم تبلِّغ هذا فما بلغت رسالته. يريد: جميع ما أرسلت به.

وأما العالمُ الذي يراد به الخاصُّ فكقوله جلّ ثناؤه حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) ولم يرد كلُّ المؤمنين لأن الأنبياء قبله قد كانوا مؤمنين. ومثله كثير. ومنه ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾^(٧) وإنما قاله فريق منهم. و﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٨) إنما قاله نعيم بن مسعود إن الناس أبو سفيان وعيينة بن حصن. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾^(٩) أراد: الآيات التي إذا كذب بها نزل العذاب على المكذبين وكذلك

(١) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢، وسورة الرعد، الآية: ١٦، وسورة الزمر، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٧) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٩) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

قوله: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾^(١) أراد به من المؤمنين لقوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾^(٢).

وأما الخاصُّ الذي يُرادُّ به العامُّ فكقوله جلّ ثناؤه: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾^(٣) الخطاب له ﷺ والمراد الناسُ جميعاً.

باب إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة

ومن سنن العرب إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلاً في الحقيقة، يقولون: «أراد الحائط أن يقع» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿جداراً يُريد أن ينقض﴾^(٤) وهو في شعر العرب كثير. قال الشماخ^(٥):

أقامت على ربّعيهما جارتا صفاً كميّتا الأعالي جؤنتا مُصطلاهما
فجعل الأثافيّ مقيمةً. وقال^(٦):

وأشعث وَرَادِ العِدَادِ كأنه إذا انشقَّ في جِوزِ الفلاة فليقُ
يصف طريقاً يردُّ ماء وهو لا وِرْدَ له. ومنه قوله^(٧):

كأني كسوتُ الرّحْلَ أَحْقَبَ سَهْوَقاً أطاعَ له في رامتين حديقُ

فجعل الحديق مطيعاً لهذا الحمارِ لما تمكّن من رعيه، والحديق لا طاعة ولا معصية له.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٥) ديوانه: ٣٠٨. أقامت على ربّعيهما: أي بعد ارتحال أهلها. والريع: المنزل. والضمير في ربّعيهما للدمتين. والصفاء: الجبل. ويعني بجارتي الصفا: الأثفتين. كميّتا الأعالي: يعني أن أعلى كل من الأثفتين في لونه كمتة أي صفرة. والجون الأسود، والأبيض من الأضداد، مصطلاهما: موضع الوقود، وأراد أن أسفل الأثفتين قد اسود.

(٦) ديوان الشماخ: ٢٤٣، وفيه: وأغبر وراذ الشايا...، إذا استشق في... وجوز الفلاة: وسطها، فليق: داهية.

(٧) ديوان الشماخ: ٢٤٥. الأحقب: الحمار الوحشي. السهوق: كل ما يروي رياً من سوق الشجر. ورامتين: موضع بالبادية.

باب الواحد يرادُ به الجمع

ومن سُنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع، كقوله للجماعة «ضَيْفٌ» و«عَدُوٌّ». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿هُؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾^(١) وقال: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾^(٢) وقال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^(٣) والتفريق لا يكون إلا بين اثنين. ويقولون: «قد كَثُرَ الدَّرْهَمُ والدِّينَارُ» ويقولون^(٤):

فقلنا أسلِمُوا إِنَّا أُخْوَكُم

ويقولون^(٥):

كُلُوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا

و ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾^(٦) و ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٧).

باب الجمع يراد به واحد واثنان

ومن سُنن العرب الإتيان بلفظ الجميع والمراد واحد واثنان كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَيْشَهْدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾^(٨) يراد به واحد واثنان وما فوق وقال قتادة في قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾^(٩): كان رجلاً من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي ﷺ، ويسير مُجَانِباً لهم فسَمَاهُ اللهُ جلّ ثناؤه طائفة وهو واحد. ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الْحُجُرَاتِ﴾^(١٠) كان رجلاً نادى «يا مُحَمَّد! إِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ وَإِنْ شَتْمِي شَيْنٌ» فقال رسول الله ﷺ: «ويلك! ذاك الله جلّ

(١) سورة الحجر، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٤) ديوان العباس بن مرداس: ٥٢. وعجزه: فقد برئت من الإحن الصدور.

(٥) المقتضب: ١٧٢/٢. وعجزه: فإن زمانكم زمن خميص.

(٦) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٧) سورة الانفطار، الآية: ٦.

(٨) سورة النور، الآية: ٢.

(٩) سورة التوبة، الآية: ٦٦.

(١٠) سورة الحجرات، الآية: ٤.

ثناؤه». وقال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبِكُمْ﴾^(١) وهما قلبان، وقال: ﴿يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢) وهو واحد يدلّ عليه قوله جلّ ثناؤه: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾^(٣).

باب آخر

العرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وإن كنتم جنبا﴾^(٤) فقال جنبا وهم جماعة. وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾^(٥). ويقولون: «قوم عدل ورضى» قال زهير^(٦):

وإن يشتجر قوم يقلّ سرّواتهم هم بيننا، فهم رضى وهم عدل

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع فيقولون: «برمة أشعار» و «ثوب أهدام» و «حبّل أحذاق» قال^(٧):

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم يضحك منه التّواق

فأخبرني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرح عن سلمة عن الفراء قال: التّواق ابنه. ومن الباب ﴿ما كان للمشركين أن يعمرّوا مساجد الله﴾^(٨) إنما أراد المسجد الحرام. ويقولون: «أرض سباسب» يسمّون كل بقعة منها «سبّاباً» لانتساعها.

ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم: «امرأة ذات أوراك ومآكم».

باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع، فيقال للرجل العظيم «انظروا في أمري». وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأنّ الرّجل العظيم يقول:

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٥.

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٦١.

(٧) الأزهية: ٣٠ بلا عزو. وخزانة الأدب: ٢٣٤/١.

(٨) سورة التوبة، الآية: ١٧.

«نحن فعلنا» فعلى هذا الابتداء حُوطبوا في الجواب. قال الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(١).

باب آخر

العرب تذكر جماعة وجماعة، أو جماعة وواحدًا، ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين. يقول الأسود^(٢):

إِن المنيّة والحُتوفِ كلاهما يوفي المَخارِمَ يَرْقُبَانِ سوادي
وقال آخر:

ألم يحزنك أن حبالَ قيسٍ وتغلبَ قد تبأيتنا انقطاعا
وقد جاء مثله في القرآن: قال الله تبارك اسمه: ﴿إِن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٣).

باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع

إذا أريد بالخطاب هو ومن معه

قال الله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٤)
فخوِطب ﷺ بلفظ الجميع لأنه أريد هو وأُمَّته. وكان ابن مسعود يقرأ: «ارجعوا
إليهم» مدرَّههم.

باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب

العربُ تخاطبُ الشاهدَ، ثم تحولُ الخِطَابَ إلى الغائب. وذلك كقول
التَّابِغَةِ^(٥):

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتِ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلي كما في المفضليات: ٢١٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٥) ديوان التابغة الذبياني: ١٩.

فخاطب ثم قال «أقوت». وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم﴾^(١) وقال: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾^(٢). وقال: ﴿ولكن الله حبّ إليكم الإيمان﴾^(٣) - وقال في آخر الآية - ﴿أولئك هم الراشدون﴾^(٤). ومنه قوله^(٥):

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ لدينا ولا مقليةٌ إن تقلتِ

باب تحول الخطاب من الغائب إلى الشاهد

وقد يجعلون خطابَ الغائب للشاهد، قال الهذلي:

يا ويح نفسي كان جدّة خالدٍ وبياضٌ وجهك للتراب الأعفرِ
فخبر عن خالد ثم واجه فقال: «وبياض وجهك». ومنه^(٦):

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم

باب مخاطبة المخاطب ثم جعل الخطاب لغيره

أو يُخبر عن شيء ثم يُجعل الخبر المتصل به لغيره

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾^(٧)، خطاب للنبي ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾^(٨) يدلّ على ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾^(٩). وقال: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾^(١٠). وقال: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾^(١١) وقريب من هذا الباب أن يبتدأ الشيء ثم يخبر عن غيره كقول

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٥) ديوان كثير عزة: ٥٧.

(٦) ديوان عنتره: ١٥١.

(٧) سورة هود، الآية: ١٤.

(٨) سورة هود، الآية: ١٤.

(٩) سورة طه، الآية: ٤٩.

(١٠) سورة طه، الآية: ١١٧.

شَدَاد بن مُعَاوِيَةَ^(١):

مَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فإِنِّي وَجِرْوَةٌ لَا تَرُوْدُ وَلَا تُعَارُ

و «جروءة» فرسه، فالمسألة عنه والخبر عن غيره. وقال الأعشى^(٢):وإن امرأ أسرى إليك ودونه من الأرض مَوْتَاةٌ وَيَهْمَاءُ سَمْلَقُ
لَمَحْقُوْقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيْبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مَوْفَقُوقد جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه ما يشبه هذا وهو قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٣) فبدأ بهم ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ بدأ بهم ثم حوّل الخطاب. ومنه قول القائل^(٤):

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً عَلَى ابْنِ أَبِي ذِبَّانٍ أَنْ يَتَنَدَّمَ

فذكر نفسه وترك وأقبل على غيره، كأنه أراد: لعل ابن أبي ذبّان أن يتندم إن مالت بي الريح عليه. ومثله في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبِّصْنَ﴾^(٥) فخبر عن الأزواج وترك الذين. ومثله:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ بَغِيْرَ دَمٍ دَارُ الْمَذَلَّةِ حُلَّتِ

فترك ابن قيس وخبر عن القتل، كأنه قال: قتل ابن قيس ذلّ.

باب الشيتين ينسب الفعل إليهما وهو لأحدهما

وينسبون الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا﴾^(٦) وقد بلغا وكان النسيان من أحدهما لأنه قال: ﴿إِنِّي نَسِيْتُ الْحَوْتَ﴾^(٧). وقال: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(٨) ثم قال: ﴿يَخْرُجُ

(١) ديوان عترة: ٧٧، وديوان زيد الخيل: ١٠٤. وفي الأغاني ونسبته إلى شداد: ٢٠٧/١٧.

(٢) ديوان الأعشى: ١٢١.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٤) هو ثابت بن كعب العتكبي كما في المخصص: ١٧٥/١٣. وفي اللسان بلا نسبة: مادة (ذب).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٢.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٨) سورة الرحمن، الآية: ١٩.

منهما اللؤلؤ والمرجان^(١)، وإنما يُخرجان من الملح لا العذب.

وينسبون الفعل إلى الجماعة وهو لواحد منهم. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وإذ قتلتم نفساً^(٢)﴾ وإنما كان القاتل واحداً.

باب نسبة الفعل إلى أحد اثنين

وهو لهما

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها^(٣)﴾ وإنما انفضوا إليهما. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿واللهُ ورسولُهُ أحقُّ أن يُرضوه^(٤)﴾. وقال: ﴿واستعينوا بالصبرِ والصلاةِ وإنها^(٥)﴾. ثم قال الشاعر^(٦):

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدِ حودَ ما لم يُعاصِرَ كان جنونا
وقال آخر^(٧):

نحنُ بما عندنا وأنت بما عند سَدِّكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ

باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

تقول العربُ: «افعلوا ذلك» ويكون المخاطب واحداً. أنشد الفراء^(٨):

فقلتُ لِصَاحِبِي: لا تحبسانا بتزع أصوله واجدزَّ شِيحَا
وقال^(٩):

فإن تزجراني يا ابن عَفَّانَ أنزجر وإن تدعاني أحْمَ عِرْضاً مُمنَعَا

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٦) هو حسان بن ثابت، ديوانه: ٤٧٣.

(٧) هو قيس بن الخطيم، ديوانه: ٢٣٩.

(٨) هو لمضرس بن رباعي وهو شاعر جاهلي. أو ليزيد بن الطثرية ووفاته سنة ١٢٦ هـ. كما في اللسان: مادة (جزز) وفي الخزانة: ١٧/١١ بلا عزو.

(٩) هو سويد بن كراع العكلي المتوفى سنة ١٠٥ هـ، اللسان: مادة (جزز).

وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾^(١) وهو خطاب لخزنة النار والزبانية. قال: ونرى أن أصل ذلك أن الرُفقة أدنى ما يكون ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولاً «يا صاحبي» و«يا خليلي».

باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل وبلفظ المستقبل وهو ماضٍ

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾^(٢) أي: أنتم. وقال جلّ ثناؤه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٣) أي: يأتي ويجيء بلفظ المستقبل وهو في المعنى ماضٍ. قال الشاعر^(٤):

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فَمَضَيْتُ عنه وقلتُ: لا يعينني
فقال «أمرُّ» ثم قال: «مضيت». وقال^(٥):

وما أضحي ولا أمسيتُ إلا رأوني منهم في كرفانٍ
وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿فلم تقتلون أنبياءَ الله من قبل﴾^(٦) وقال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينِ﴾^(٧) أي: ما تَلَّتْ. وقال آخر^(٨):

وَنَدْمَانِ يَزِيدُ الكَأْسَ طيباً سَقِيْتُ إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ

ومثله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾^(٩) المعنى: فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل؟ لأن النبي ﷺ لم يُؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن، لأن الجاحد يقول: إني لا أعذب، لكن احتج عليهم بما قد كان.

(١) سورة ق، الآية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١.

(٤) هو شمير بن عمرو الحنفي، جاهلي، كما في الأصمعيات: ١٢٦، وفيه: وقد مررت على... فمضيت ثمّ قلت...

(٥) لسان العرب: مادة (كوف)، بلا عزو. وفيه: وإني منكم في كوفانٍ

(٦) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٨) هو البرج بن الجلاس الطائي، جاهلي، الأغاني: ١٠/١٤، مغني اللبيب: ١٠٠/١.

(٩) سورة المائدة، الآية: ١٨.

باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل

تقول: «سِرُّ كَاتِمٍ» أي مكتوم. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) أي لا معصوم و﴿مَنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾^(٢) و﴿عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾^(٣) أي مَرْضِيٌّ بها. و﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾^(٤) أي مأموناً فيه ويقول الشاعر^(٥):

إِنَّ الْبَغِيضَ لَمَنْ يُمَلُّ حَدِيثُهُ فَانْقَعُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَيِ الْمَوْمُوقِ. ومنه^(٦):

أَنَاشِرَ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ آشِرَهُ

أي: مأشورة.

وزعم ناس أنّ الفاعل يأتي بلفظ المفعول به. ويذكرون قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(٧) أي: آتياً. قال ابن السكيت: ومنه «عَيْشٌ مَغْبُونٌ» يريد أنه غابن غير صاحبه.

باب آخر

من سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم «يومٌ عاصف» المعنى: عاصفُ الرّيح. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٨) فقيل: عاصف لأنّ عَصُوفَ ريحه يكون فيه. ومثله: «ليلٌ نائم» و«ليلٌ ساهر» لأنه يُنام فيه ويُسَهَرُ

(١) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الطارق، الآية: ٦.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٥) ديوان جرير: ٣١٤. وفيه: إن البلية من... فانشح فؤادك...

(٦) مجمل اللغة مادة: (أشّر) بلا عزو. وفي لسان العرب: مادة (أشّر)، وصدده:

«لقد عيّل الأيتام طعنة ناشرة»

والأشّر: البطر.

(٧) سورة مريم، الآية: ٦١.

(٨) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

قال أوس^(١):

خَذَلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةً بصُحْرَاءِ شَرْجٍ إِلَى نَاطِرَةٍ
وقال ابنُ بَرَّاقٍ^(٢):

تَقُولُ سُلَيْمِي: لَا تَعْرَضُ لِتَلْفَةٍ وَلَيْلِكَ مِنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكَ نَائِمٌ
ومثله^(٣):

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي الشَّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ
ويقولون: «لَا يَرْقُدُ وَسَادُهُ» وإنما يريدون متوسِّد الوِساد.

باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر

أول ذلك فَعَلْتُ يكون بمعنى التكثير. نحو «غَلَقْتُ الأبوابَ»^(٤). وبمعنى «أَفْقَلْتُ» نحو «خَبِرْتُ». وأخْبِرْتُ». ويكون مضاداً لِأَفْعَلْتُ نحو «أَفْرَطْتُ»: جُرْتُ الحَدَّ. و«فَرَطْتُ»: فَصَّرْتُ. ويكون بنيةً لا لمعنى نحو: «كَلَّمْتُ». ويكون فَعَلْتُ: نَسَبْتُ كقولك: «شَجَعْتُهُ. وظَلَمْتُهُ»: نسبته إلى الشجاعة والظلم.

وأما أَفْعَلَ فيكون بمعنى «فَعَلْتُ» تقول: «أَسْقَيْتُهُ وَسَقَيْتُهُ»: قلت له «سَقِيًّا لك». ويكون بمعنى: «فَعَلْتُ» نحو «مَحَضَّتُهُ الوُدَّ. وأمَحَضَّتُهُ». وقد يختلفان نحو «أَجْبَرْتَهُ عَلَى الشَّيْءِ» و«جَبَرْتُ العَظْمَ». وقد يَتَضَادَّانِ نحو «نَشَطْتُ العَقْدَةَ»: عَقَدْتُهَا. و«أَنَشَطْتُهَا» إِذَا حَلَلْتُهَا.

وفاعَلٌ يكون من اثنين. نحو «ضارب»، ويكون فاعَلٌ بمعنى «فَعَلَ» نحو «قاتلهم الله» و«سافر»، ويكون بمعنى «فَعَّلَ» نحو «ضاعف». و«ضَعَفَ».

وتَفَاعَلَ يكون من اثنين، نحو «تخاصما». ويكون من واحد، نحو «تراءى له» ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه، نحو «تغافل»: أَظْهَرَ غَفْلَةً وليس بغافل.

وتَفَعَّلَ يكون لِتَكْلُفِ الشَّيْءِ وليس به، نحو «تَشَجَّعَ. وتَعَقَّلَ». ويكون بمعنى

(١) ديوان أوس بن حجر: ٣٤.

(٢) هو عمرو بن الحارث الهمداني، شاعر مخضرم. والبيت في الأمالي: ١٢٢/٥. فقه اللغة: ٢٢١.

(٣) المقتضب: ١٠٥/٣. ديوان جرير: ٤٥٤. خزنة الأدب: ٤٦٥/١. وأم غيلان: كنية بنت جرير.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

«تفاعَلَ» نحو «تَعَطَى . وتعاطا». ويكون لأخذ الشيء نحو: «تَفَقَّهَ وتعلَّم». ويكون مبنياً نحو «تكلَّم». ويكون «تفَعَّل» بمعنى «أفَعَلَ» نحو تعلَّم بمعنى اعلَم. قال^(١):

تعلَّم أن بعد الشرِّ خيراً وأن لهذه الغمْرِ انقشاعا

وأما استنْفَعَلَ فيكون بمعنى التكلف، نحو «تَعْظَمَ . واستَعْظَمَ» و«تَكَبَّرَ . واستكَبَّرَ» ويكون استنْفَعَلَ بمعنى الاستدعاء والطلب نحو: «استَوْهَبَ». ويكون بمعنى «فَعَلَ»: «قَرَّ . واستَقَرَّ».

وأما افْتَعَلَ فيكون بمعنى فَعَلَ، نحو: «شَوَى . واشتَوَى». ويكون بمعنى حدوثِ صفةٍ فيه نحو: «افْتَقَرَ».

وأما انْفَعَلَ فهو فعل المطاوعة. نحو: «كَسَرْتُهُ . فانكَسَرَ» و«شَوَيْتُ اللحمَ . فانشَوَى». قال^(٢):

قد انشَوَى شِوَاؤُنَا المُرْعَبِلُ فاقْتَرَبُوا من الغَدَاءِ فَكَلُوا

باب الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد

تقول: «كَسَبَ زَيْدٌ المَالَ . وكَسَبَهُ غَيْرُهُ». و«هَبَطَ . وهَبَطَ غَيْرُهُ». و«جَبَرَتِ اليَدُ . وجَبَرْتُهَا». ويكون فَعَلَ بمعنيين متضادين نحو «بِعْتُ الشيءَ» و«بعْتُهُ»: اشتريته. و«رَتَوْتُ الشيءَ» أرخيته وشددته. و«شَعَبْتُ الشيءَ» جمعته وفرَّقْتُهُ.

باب البناء الدال على الكثرة

البناءُ الدالُّ على الكثرة «فَعُولُ، وفَعَالٌ» نحو: «ضَرُوبُ . وضَرَابٌ» وكذلك «مِيعَالٌ» إذا كان عادةً نحو: «مِعْطَارٌ» و«امْرَأَةٌ مِذْكَارٌ» إذا كانت تلِدُ الذُّكُورَ وكذلك «مِينَاثٌ» في الإناث.

(١) ديوان القطامي: ٣٥. ولسان العرب: مادة (مصع).

(٢) لسان العرب: مادة (شوى). والمرعبل: من قولك: رعبل اللحم إذا قطعه.

باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف

يقولون: ما كان على فَعْلان دَلَّ على الحركة والاضطراب نحو «الْتَزَوَانِ، والغَلْبَانِ»، وفَعْلان يجيء في صفات تقع من جُوعٍ وَعَطَشٍ نحو: «عَطْشان، وعَرْشان» أو ما يضاد ذلك نحو: «رَيَّان، وسكران».

وفِعْلٌ يكون في الوَجَعِ نحو «وَجِعَ، وَحَبَطَ» أو ما أشبهه من فَرَعٍ. ويجيء من هذا فِعيلٌ نحو: «سَقِيمٌ» ويكون من الباب «بَطْرٌ، وفَرِحٌ» وهذا على مُضَادَّةِ وَجَعٍ وسَقِيمٍ.

قالوا: والصفات بالألوان تأتي على أفعلٍ نحو «أَحْمَرٌ، وأَسْوَدٌ».

والأفعال منها على «فَعْلٌ» مثل «صَهَبَ»، وعلى «فِعْلٌ» نحو «صَدَيْءٌ»، وعلى «أَفْعَالٌ» مثل «أَحْمَارٌ». وكذلك العيوب والأدواء تكون على «أَفْعَلٌ» نحو «أَزْرَقٌ. وأَعْوَرٌ». وأفعالها على «فَعْلٌ» نحو «عَوِرٌ، وشَتِرٌ». ويكون الأدواء على فُعَالٍ نحو: «الْقَلَابِ، والخُمَارِ». والأصوات أكثرها على هذا نحو: «الدُّعَاءِ، والضُّرَاخِ». وللأصوات باب آخر على فَعِيلٍ نحو «الْهَدِيرِ، والضَّجِيجِ». وفُعَالَةٌ يأتي أكثره على ما يفضل عن الشيء وَيَسْقُطُ منه نحو «الثُّحَاتَةِ». وفِعَالَةٌ في الصناعات «كالتَّجَارَةِ والنَّجَارَةِ». ويكون الفِعَالُ في الأشياء كالعيوب: «كالتَّنْفَارِ والشَّمَّاسِ». وفي السَّمَاتِ: نحو «العِلاطِ والخِباطِ»، وفي بلوغ الأشياء نهايتها: نحو «الصَّرَامِ والجِرَّازِ». وتكون الصفات اللازمة للنفوس على فَعِيلٍ نحو: «شريفٌ وخفيفٌ»، وعلى أضدادها: نحو «وَضِيعٌ، وكبيرٌ، وصغيرٌ». هذا هو الأغلب وقد يختلف في اليسير.

باب الفرق بين ضدَّين بحرف أو حركة

الفرق بين ضدَّين بحرف قولهم: «يُدْوِي» من الداء و«يُدَاوِي» من الدواء. و«يُخْفِر» إذا أجار و«يُخْفِر» إذا نقض: من خَفَرَ وأخْفَرَ، وهو كثير.

وما كان فرقه بحركة فقولهم: «لُعْنَةٌ» إذا أكثر اللعنَ و«لُعْنَةٌ» إذا كان يُلْعَنُ و«هُزَأَةٌ. وهُزَأَةٌ» و«سُخْرَةٌ. وسُخْرَةٌ».

باب التوهم والإيهام

ومن سنن العرب التوهم والإيهام، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق. منه قولهم: «وقفتُ بالربيع أسأله» وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تفجع لما رأى السَّكَنَ رحلوا وتوهم أنه يسأل الربيع أين انتووا. وذلك كثير في أشعارهم، قال^(١):

وقفتُ على ربيعٍ لَمِيَّةٍ ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبُهُ
وأسألُ حتى كَادَ مما أبُّهُ تُكَلِّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وتوهم وأوهم أن تَمَّ كلاماً ومُكَلِّمًا. وبين ذلك لَبِيدٌ بقوله^(٢):

فوقفتُ أسألها وكيف سؤالنا صُمًّا خَوَالِدَ ما يَبِينُ كَلَامُهَا
ومن الباب قوله:

لا يُفْزَعُ الأرنبَ أهوالها

إنما أراد: ليس بها أرنب يُفْزَعُ. وكذلك^(٣):

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ

إنما أراد: لا منار به. وأظهر ذلك قول الجعدي^(٤):

سَبَقْتُ صِيَاخَ فراريجها وصوتُ نواقيسٍ لم تُضْرَبِ
وقال أبو ذؤيب^(٥):

مُتَفَلِّقٌ أنساؤها عن قانيءٍ كالقرطِ صاوٍ غُبْرُهُ لا يُرْضَعُ
أوهم أن تَمَّ غُبْرًا، وإنما أراد: لا غبر به فيرضع.

(١) ديوان ذي الرمة: ٢٣. وفيه: وأسقيه حتى كاد...

(٢) ديوان: ١٦٥.

(٣) ديوان امرئ القيس: ٩٥. وعجزه: إذا صافه العودُ النباطي جرجرا.

(٤) ديوان النابغة الجعدي: ١٤.

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٣٥، والمفضليات: ٤٢٨. والأنساء: جمع نسا وهو عرق في الفخذ. والصاوي: اليباس. الغبر: بقية اللبن. والمراد أن موضع النسا انشق فيه اللحم فلتقتين، وأن الضرع كان أبيض فاحمر.

باب البسيط في الأسماء

العرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفهما، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه، وذلك قول القائل^(١):

وليلةٍ خامدةٍ خموداً طخياً تُغشي الجدي والفرقوداً

فزاد في «الفرقد» الواو وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم «فعلولاً» ولذلك ضم الفاء. وقال في الزيادة في الفعل^(٢):

لو أن عمراً هم أن يرقوداً

ومنه:

أقول إذ خرت على الكلكال^(٣)

أراد «الكلكل» وفي بعض الشعر «فأنظور» أراد «فأنظر» وهذا قريب من الذي ذكرناه في الخزم والزيادة التي لا معنى لها.

باب القبض

ومن سنن العرب القبض محاذاةً للسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف كقول القائل^(٤):

غرثي الوشاحين، صموت الخلخل

أراد الخلخال. وكذلك قول الآخر: «وسرُوح حرجج» أراد «حرجوجاً» وهي الضامر. ويقولون: «درَسَ المنا» يريدون «المنازل» و:

كأنما تُذكي سنا بكها الجبا^(٥)

(١) لسان العرب: مادة (فرقد) بلا عزو. وطخياً: ليلة مظلمة.

(٢) لسان العرب: مادة (فرقد) بلا عزو، وفيه: إذا عميرهم...

(٣) الإنصاف: ٢٥/١ بلا عزو، واللسان: مادة (كلل)، والكلكل والكلكال: الصدر. وعجز البيت:

«يا ناقنا ما جلت من مجال»

(٤) لسان العرب: مادة (خلل) بلا عزو، وفيه: برأقة الجيد، صموت الخلخل.

(٥) لسان العرب: مادة (حجب)، وصدرة: يذرين جندل جائر لجنوبها.

أراد نار الجبابج. وقال أبو النجم^(١): «أَمْسِكْ فَلَانُ عَنْ فَلَ» أراد عن فلان. و:

ليس شيء على المَنُونِ بِخَالِ
أي: بخالد. ويقولون^(٢):

أَسْعَدَ بَنَ مَالِ أَلْمِ تَعَجَّبُوا؟
وإنما أراد مالكاً. وقال آخر^(٣):

وكادت فَزَارَةَ تَشْقَى بِنَا فَأُولَى فَزَارَةَ أُولَى فَزَارَا
وقال أوس وهو الذي يسميه النحويون «الترخيم»^(٤):

تَنَكَّرْتُ مَنَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ لَمِي

أراد: لَمِيسَ. وهذا كثير في أشعارهم، وما أحسب في كتاب الله جل ثناؤه منه، إلا أنه زُوي عن بعض القراء أنه قرأ: «ونادوا يا مال» أراد «يا مالك» والله أعلم بصحة ذلك. وربما وقع الحذف في الأول نحو قوله^(٥):

بِسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمْهُ

أراد «اسمه» و«لاه ابن عمك» أراد: الله ابن عمك.

باب المحاذاة

معنى المحاذاة: أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين فيقولون: «الغدايا والعشايا» فقالوا: «الغدايا» لانضمامها إلى «العشايا». ومثله قولهم: «أعوذ بك من السامة واللامّة» فالسامة من قولك:

(١) المقتضب: ٢٣٨/٤، والخزانة: ٣٨٩/٢، والمقاييس: مادة (فلن). وتمام الشطر: «أمسك فلان عن فل في لجة أمسك».

(٢) الكتاب: ٢٥٥/٢ ونسبته إلى بعض العباديين، وإلى طرفة في شرح أبيات سيبويه: ٢٨/٢ وعجزه: وذو الرأي مهما يقل يصد

(٣) الكتاب: ٢٤٣/٢، ونسبته إلى عوف بن عطية الخرع.

(٤) البيت لأوس بن حجر، ديوانه: ١١٧، وعجزه:

وبعد التصابي والشباب المكرّم

(٥) لسان العرب: مادة (سما)، والمقتضب: ٢٢٩/١، والإنصاف: ١٦/١.

«سَمَّتْ» إِذَا خَصَّتْ و «اللاَّمَةُ» أصلها «أَلَمَّتْ» لكل لما قُرنت بالسَّامَةِ جُعِلت في وزنها.

وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف . كتبوا: ﴿والليل إذا سجد﴾^(١) بالياء وهو من ذوات الواو لَمَّا قُرُن بغيره مما يكتب بالياء .

قال: ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿ولو شاء الله لسَلَطَهُمْ عليكم﴾^(٢) فاللام التي في «لسَلَطَهُمْ» جواب «لو» ثم قال: ﴿فلقاتلوكم﴾ فهذه حُوذِيَتْ بتلك اللام، وإلا فالمعنى: لسَلَطَهُمْ عليكم فقاتلوكم . ومثله: «لأَعَذِبَنَّه عذاباً شديداً» أو «لأذبحنه»، فهما لاما قَسَمَ ثم قال: «أو ليأتيني» فليس ذا موضع قسم، لأنه عُدْرٌ للهُدْهِدِ، فلم يكن يُقْسِمُ على الهدهد أن يأتي بعُدْرٍ، لكنّه لَمَّا جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه، فكذا باب المحاذاة.

قال: ومن الباب «وَزَنَّتْ فاترَن . وِكَلَّتْهُ فَاكْتَال» أي استوفاه كَيْلاً ووزناً . ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فما لكم عليهنّ من عِدَّةٍ تعتدونها﴾^(٣) تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء .

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو: ﴿إنما نحن مستهزؤون الله يستهزىء بهم﴾^(٤) أي يجازيهم جزاء الاستهزاء . و ﴿مَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾، و ﴿يَسْعُرُونَ مِنْهُمْ سَعِيرَ اللهِ مِنْهُمْ﴾^(٥)، و ﴿تَسُوا اللهُ فَنَسِيهِمْ﴾^(٦) و ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٧) . ومثل هذا في شعر العرب قول القائل^(٨):

ألا لا يجهلنّ أحدٌ علينا فنجهلّ فوق جهلّ الجاهلينا

(١) سورة الضحى، الآية: ٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٤ .

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٩ .

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦٧ .

(٧) سورة الشورى، الآية: ٤٠ .

(٨) هو عمرو بن كلثوم، ديوانه: ٧٨ .

باب الإضمار

من سُنن العرب الإضمار. ويكون على ثلاثة أضرب: إضمارُ الأسماء، وإضمارُ الأفعال، وإضمار الحروف.

فمن إضمار الأسماء قولهم: «ألا يَسْلَمِي» يريدون «ألا يا هذه اسلمي». وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿ألا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾^(١) بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا. فلما لم يذكر «هؤلاء» بل أضمرهم اتصلت «يا» بقوله: «اسجدوا» فصار كأنه فعل مستقبل. ومثله قول ذي الرمة^(٢):

ألا يَسْلَمِي يا دار مَيِّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلًا بِجَرَعاثِكَ القَطْرُ

وأخبرني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن الفراء سمع بعض العرب يقول: «ألا يَرَحْمَنَا» يعني: ألا يا ربنا ارحمنا. ويقولون:
يا هل أتاهَا على ما كان من حَدَثِ

و:

يقولون لي يَحْلِفُ ولست بحالفِ

بمعنى: يا هذا احلف.

ويُضْمَرُونَ مِنَ الأَسْمَاءِ «مَنْ» فيقولون: «ما في حَيْثَا إِلا له إِبْلٌ» أي: مَنْ لَهُ إِبْلٌ. و«كَذَّبْتُمْ بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا» أي: مَنْ شَابَ. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وما مَنَّا إِلا له مَقامٌ﴾^(٣) أي: من له. ويضمرون «هذا» كقول حميد^(٤):

أنت الهلالي الذي كان مَرَّةً سمِعنا به والأرْحَبِيُّ المُعْلَفُ

أي: وهذا الأرْحَبِيُّ، يعني بغيره.

(١) سورة النمل، الآية: ٢٥.

(٢) ديوانه: ١٠٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٤) الدرر: ٢٨٣/١، بلا عزو، وهمع الهوامع: ٨٧/١، وورصف المباني: ٢٦؛ وروايته:

أأنت الهلالي الذي كنت مرة سمعنا به والأرْحَبِيُّ المُعْلَبُ

باب إضمار الحروف

ويضمرون الحروف فيقول قائلهم^(١):

ألا أي هذا الزاجري أشهد الوغى

بمعنى أن أشهد. ويقولون: «والله لكان كذا» بمعنى لقد. ويقول النابغة^(٢):

لكلفتني ذنب امرئ

وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿الم غلبت الروم﴾^(٣) قالوا: معناها لقد غلبت. إلا أنه لما أضمر «قد» أضمر اللام. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾^(٤) فقالوا: إلى سيرتها. و﴿اختار موسى قومه﴾^(٥) أي من قومه. ويقولون: «أشتقتك» أي إليك. و«هل يسمعونكم» بمعنى لكم. و«أو جاؤوكم حصرت» أي قد حصرت. ويقول قائلهم: «حلفت بالله لناوما» أي لقد. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾^(٦) أي فعليكم. وقيل في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾^(٧) معناها عن قوم يقولون: في أن تنكحوهن. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾^(٨) أي أن يريكم. وكقوله جلّ ثناؤه: ﴿ومن آياته أن خلق﴾^(٩).

باب إضمار الأفعال

من ذلك: «قيل، ويقال». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فأما الذين أسودت وجوههم

(١) هو طرفة بن العبد: ديوانه: ٤٦، وعجز البيت:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٨٣، وتماه:

لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكرى غيره وهو راع

(٣) سورة الروم، الآية: ٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٨) سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٩) سورة الروم، الآية: ٢١.

أَكْفَرْتُمْ ﴿١﴾ معناه: فيقال لهم، لأن «أما» لا بد لها في الخبر من فاء، فلما أضمر القول أضمر الفاء. ومثله (٢):

فلا تدفُنوني إن دفنني محرّمٌ عليكم ولكن خامري أمّ عامر

أي اتركوني للتي يقال لها «خامري». ومنه ﴿ثم يُخْرِجْكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ (٣) أي: يعمركم لتبلغوا أشدكم. ومن باب الإضمار: «أثعلباً وتفرّ» أي: أترى ثعلباً. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وتلقاهم الملائكةُ هذا يومكم﴾ (٤) أي يقولون. و«أسرّ رجلٌ أسيراً ليلاً فلما أصبح رآه أسودَ فقال: أعبداً سائرَ الليلة» كأنه قال: أراني أسرت عبداً. ومن الإضمار: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ (٥) فهذا مضمرّ كأنه لما سألهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له: ﴿قل لله﴾. ومن الإضمار ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك﴾ (٦) معناه: فضربوه فحى كذلك ﴿يُحيي الله الموتى﴾ ومثله في كتاب الله كثير.

باب من الإضمار الآخر

العرب تضمّر الفعل فيشبهه المعنى حتى يُعْتَبَرُ فَيُوقَفَ على المراد. وذلك كقول الخنساء (٧):

يا صَخْرُ وِرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَادَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وِرْدِهِ عَارُ

ظاهر هذا أن معناه: ما على ما وردّه عار، وليس في ورد الماء عار فيبيح به. ولكن معناه: ما في ترك وِرْدِهِ مخافةً عارُ. وإنما عنت أنه ورد ماءً مخوفاً يتحاماه الناس فينذِرُ بعضهم بعضاً، تقول: فهو يرد هذا الماء لجُرّأته. ومثله قول

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٢) ديوان الشنفرى: ٤٨، والشنفرى هو ثابت بن جابر، شاعر صعلوك جاهلي. ورواية الديوان:

لا تقبروني إن قبري محرّمٌ عليكم ولكن أبشري أم عامر

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٧) ديوانها: ٤٨. والخنساء هي تماضر بنت الشريد شاعرة مخضرمة، ماتت سنة ٢٤ هـ.

النابعة^(١):

فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام
يقول: لا ألام على ترك الدخول، لأنّ التّعمان قد كان نذر دمه متى رآه،
فخاطب بهذا الكلام حاجبه. وقال الأعشى^(٢):

أزمنت من آل ليلي ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا؟

ظاهر هذا: أزمنت أن تبتكر منهم. وإنما المعنى: أزمنت من أجل آل ليلي
وشوقك إليهم أن تبتكر من أهلك؟ لأنه عزم الرحلة إليها لا عنها، ألا تراه
يقول^(٣):

وبانت بها غربات النوى وبذلت شوقاً بها وادكارا

وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿ألا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يُجاهدوا﴾^(٤) التأويل: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله اليوم الآخر أن يقعدوا عن
الجهاد.

باب التعويض

من سنن العرب التعويض - وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة. فيقيمون الفعل
الماضي مقام الراهن، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من
الكاذبين﴾^(٥) المعنى: أم أنت من الكاذبين. ومنه ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها﴾^(٦) بمعنى: أنت عليها.

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الأمر، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فسبحان الله حين
تُمسون وحين تُصبحون﴾^(٧) والشُّبحة: الصلاة. يقولون: «سَبَّحَ سُبْحَةَ الضحى».

(١) ديوان النابعة الذبياني: ٢٣٥.

(٢) ديوان الأعشى: ٧٢.

(٣) ديوان الأعشى: ٧٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة النمل، الآية: ٢٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٧) سورة الروم، الآية: ١٧.

فتأويلُ الآية: سَبَّحُوا لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فصار في معنى الأمر والإغراء، كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَضْرَبُ الرَّقَابِ﴾^(١).

ومن ذلك إقامة الفاعل مقامَ المصدر، يقولون: «قُمْ قائماً» قال^(٢):

قُمْ قائماً، قُمْ قائماً لَقِيتَ عبداً نائماً
وعُشْرَاءَ رائماً وأُمَّةً مُرَاغِماً

وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كاذِبَةٌ﴾^(٣) أي تكذيب.

ومن ذلك إقامة المفعول مقامَ المصدر، كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿بِأَيْكُمْ المَفْتُونِ﴾^(٤) أي الفتنة. تقول العرب: «ما له معقول. وحلفَ مَحْلُوفَهُ بالله. وَجَهَدَ مجهوده». ويقولون: «ما له معقول ولا مجلود» يريدون العَقْلَ والجَلْدَ... قال الشَّمَاخُ^(٥):

من اللواتي إذا لانت عريكُتها يبقى لها بعدها آلٌ ومجلودٌ
ويقول الآخر^(٦):

إن أخا المَجْلُودِ من صَبْرًا

ومن ذلك إقامة المصدر مقامَ الفعل، يقولون: «لَقِيتَ زيداً وقِيلَهُ كذا» أي يقول كذا. قال كعب^(٧):

يسعى الوُشَاةُ حَوَالِيهَا وقِيلَهُمْ إِنَّكَ يا ابنِ أَبِي سُلْمَى لمقتولٌ
تأويله: يقولون. ولذلك نُصِبَ.

ومن ذلك وضعهم «فَعِيلًا» في موضع «مُفْعَلٍ» نحو «أمرٌ حكيمٌ» بمعنى

(١) سورة محمد، الآية: ٤.

(٢) خزانة الأدب: ٣١٧/٩ بلا عزو.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢.

(٤) سورة القلم، الآية: ٦.

(٥) ديوانه: ٤٣٦.

(٦) لسان العرب: مادة (جلد) وتمامه:

واصبر فإن أخا المجلود من صبرا

(٧) ديوانه: ٦٥. وفيه:

يسعى الوشاة بجنبها وقولهم...

مُحَكَّم. ووضعهم «فَعِيلًا» في موضع «مَفْعِل» نحو: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) بمعنى مؤلم وتقول^(٢):

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ

بمعنى: مسمع.

ومن ذلك وضعهم «مفعولاً» بمعنى «فاعل» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿حِجَابًا مُسْتَوْرًا﴾^(٣) أي ساتراً، وقيل: مستوراً عن العيون كأنه أخذة لا يُحِسُّ بها أحد.

ومن ذلك إقامة الفعل مقام الحال كقوله جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾^(٤) أي مبتغياً. وقال^(٥):

الرَّيِّحُ تَبْكِي شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ في غمامة

أراد: لامعاً.

باب من النظم الذي جاء في القرآن

من نظم كتاب الله جلّ ثناؤه الاقتصاص، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها. كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٦)، والآخرة دار ثواب لا عمل، وهو مقتصّ عن قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى﴾^(٧). ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المَحْضَرِينَ﴾^(٨) مأخوذ من قوله

(١) سورة التغابن، الآية: ٥. وسورة المجادلة، الآية: ٤.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب: ١٤٠، وعجزه:

يؤرقني وأصحابي هجوعُ

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

(٤) سورة التحريم، الآية: ١.

(٥) هو ابن مفرغ الحميري، ديوانه: ٢١٨. وفيه:

... تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامة

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٧) سورة طه، الآية: ٧٥.

(٨) سورة الصافات، الآية: ٥٧.

جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَوْلَتْكَ فِي الْعَذَابِ مَحْضُرُونَ﴾^(١) وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾^(٢). فأما قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣) فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات لأن «الأشهاد» أربعة: الملائكة في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٤) والأنبياء صلوات الله عليهم: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٥) وأمة محمد ﷺ لقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٦) والأعضاء لقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧).

ومن الاقتصاص قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(٨) قرئت مخففةً ومشددةً. فمن شَدَّدَ فهو «نَدَّ» إذا نفر، وهو مُقْتَصَصٌ من قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾^(٩) إلى آخر القصة، ومن خَفَّفَ فهو تَفَاعَلٌ من التَّنَادِ مُقْتَصَصٌ من قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(١٠). ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(١١). ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾^(١٢)، وما أشبه هذا من الآي الذي فيها ذكر النداء.

باب الأمر المحتاج إلى بيان

وبيانه متصل به

قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(١٣)، فبيان هذا السؤال متصل

- (١) سورة الروم، الآية: ١٦.
- (٢) سورة مريم، الآية: ٦٨.
- (٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
- (٤) سورة ق، الآية: ٢١.
- (٥) سورة النساء، الآية: ٤١.
- (٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
- (٧) سورة النور، الآية: ٢٤.
- (٨) سورة غافر، الآية: ٣٢.
- (٩) سورة عبس، الآية: ٣٤.
- (١٠) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
- (١١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.
- (١٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٨.
- (١٣) سورة الأنفال، الآية: ١.

به وهو قوله جلّ ثناؤه: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١)، ومثله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٢) و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾^(٣). ومنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا﴾^(٤) فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذي تمامه متصل به.

باب ما يكون بيانه مضمراً فيه

وذلك مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٥)، فهذا محتاج إلى بيان لأن ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ لا بد لها من تمام فالبيان ها هنا مضمراً، قالوا: تأويله: حتى إذا جاءوها جاؤوها وفتحت أبوابها. ومثله: ﴿وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سُورَةَ الْجِبَالِ﴾^(٦) فتمامه مضمّر كأنه قال جلّ ثناؤه: «لكان هذا القرآن». وهذا هو الذي يستمى في سنن العرب «باب الكفّ» وقد ذكر.

باب ما يكون بيانه منفصلاً منه

ويجيء في السورة معها أو في غيرها

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾^(٧) قال أهل العلم: بيانُ هذا العهد قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾^(٨) الآية، فهذا عهده جلّ ثناؤه، وعهدهم تمام الآية في قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سِيئَاتِكُمْ﴾^(٩) فإذا وفوا بالعهد الأول أعطوا ما وعدوه. وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(١٠) فالردّ على هذا قوله جلّ ثناؤه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١١)

(١) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة الطور، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٨) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(١٠) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

والقرآن الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين ﴿١﴾ وهذا هو الذي يسميه أهل القرآن جواباً. ومن الباب قوله جل ثناؤه في الإخبار عنهم: ﴿رَبَّنَا اكشِفْ عَنَا العذاب إِنَّا مؤمنون﴾ ﴿٢﴾ فقليل لهم: ﴿ولو رَحِمْنَاهم وكشفنا ما بهم من ضُرٍّ لَلَّجُوا في طغيانهم﴾ ﴿٣﴾.

ومن الباب قوله جل ثناؤه: ﴿وقالوا لولا نَزَّلَ هذا القرآنَ على رَجُلٍ من القريتين عظيم﴾ ﴿٤﴾ فردّ عليهم حين قيل: ﴿وربُّكَ يخلق ما يشاء وَيَخْتَارُ، ما كان لهم الخيرة﴾ ﴿٥﴾. ومن الباب قوله: ﴿وإذا قِيلَ لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ ﴿٦﴾ ومنه قوله: ﴿الرحمن علَّمَ القرآن﴾ ﴿٧﴾. ومنه قوله: ﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ ﴿٨﴾ فقليل لهم: ﴿لَئِن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونَ بمثله﴾ ﴿٩﴾. ومنه ﴿وانطلق المَلَأُ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ ﴿١٠﴾، فقليل لهم في الجواب ﴿١١﴾: ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾. ومنه ﴿أم يقولون نحن جميعٌ مُنتصرون﴾ ﴿١٢﴾ فقليل لهم: ﴿ما لكم لا تنصرون﴾ ﴿١٣﴾. ومنه قوله جل ثناؤه في قصة من قال: ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾ ﴿١٤﴾ فردّ عليهم بقوله: ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرزَ الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم﴾ ﴿١٥﴾.

-
- (١) سورة يس، الآية: ٣.
 - (٢) سورة الدخان، الآية: ١٢.
 - (٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧٥.
 - (٤) سورة الزخرف، الآية: ٣١.
 - (٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.
 - (٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.
 - (٧) سورة الرحمن، الآية: ٢.
 - (٨) سورة الأنفال، الآية: ٣١.
 - (٩) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
 - (١٠) سورة ص، الآية: ٦.
 - (١١) سورة فصلت، الآية: ٢٤.
 - (١٢) سورة القمر، الآية: ٤٤.
 - (١٣) سورة الصافات، الآية: ٢٥.
 - (١٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.
 - (١٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلَةٌ﴾^(١) فردّ عليهم: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين﴾^(٢). ومنه قوله جلّ ثناؤه حكاية عنهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾^(٣) قيل لهم: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾^(٤). ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزلّ عليه القرآن جُملةً واحدة﴾^(٥) فقيل في سورة أخرى: ﴿وقرآنًا فرّقناه﴾^(٦). ومنه: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾^(٧) فتفسير هذا الاختصاص ما قيل في سورة أخرى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لِمَن آمنَ منه أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربّه﴾^(٨) إلى آخر القصة.

وقال في قصة قوم: ﴿لهم البشري في الحياة الدنيا﴾^(٩) فالبشري قوله جلّ ثناؤه في موضع آخر: ﴿تنزلّ عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة﴾^(١٠). ومنه حكاية عن فرعون أنه قال: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد﴾^(١١) فردّ الله عليه في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وما أمرُ فرعون برشيد﴾^(١٢). ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿يومَ يعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾^(١٣) وذكرُ هذا الحلف في قوله جلّ ثناؤه: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾^(١٤). ومنه قوله جلّ وعزّ في قصة نوح عليه

(١) سورة الطور، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٧) سورة النمل، الآية: ٤٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٧٥.

(٩) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(١٠) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(١١) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(١٢) سورة هود، الآية: ٩٧.

(١٣) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(١٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

السلام: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ﴾^(١) فقليل في موضع آخر: ﴿وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾^(٢). ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^(٣) أي أوعية للعلم فقليل لهم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤). وهذا في القرآن كثير أفرَدنا له كتاباً وهو الذي يسمى «الجوابات».

باب آخر من نظم القرآن

وذلك أن تجيء الكلمة إلى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متصلة بها؛ قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٥) فقله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من قول الله جل اسمه لا قول المرأة ومنه: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٦)، انتهى قول المرأة ثم قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾^(٧). ومنه: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٨)، وتم الكلام فقالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٩)، فهذه صفة الأتقياء المؤمنين ثم قال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يُمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾^(١٠) فهذا رجع على كفار مكة أن كفار مكة يمدُّهم إخوانهم من الشياطين في الغيِّ.

باب إضافة الشيء إلى من ليس له لكن أضيف إليه لاتصاله به

وذلك قوله: «سَرَجُ الْفَرَسِ» و«ثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ» و«عَنَمُ الرَّاعِي» قال الشاعر:

- (١) سورة القمر، الآية: ١٠.
- (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٧.
- (٣) سورة البقرة، الآية: ٨١.
- (٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
- (٥) سورة النمل، الآية: ٣٤.
- (٦) سورة يوسف، الآية: ٥١.
- (٧) سورة يوسف، الآية: ٥٢. وفي الأصل: ذلك ليعلم الملك، و«الملك» ليست من الآية.
- (٨) سورة يس، الآية: ٥٢.
- (٩) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
- (١٠) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٢.

فَرَوَّحَهُنَّ يَحْدُوهُنَّ قَصْرًا كَمَا يَحْدُوا قَلَائِصَهُ الْأَجِيرُ^(١)

باب آخر من الإضافة

ومن ذلك إضافة الشيء إلى نفسه وإلى نعته .

فالإضافة الأولى قول التَّمْرِ^(٢) :

سَقِيَّةٌ بَيْنَ أَنْهَارٍ وَدُورٍ وَزَرْعٍ نَابٍ وَكُرُومٍ جَفْنٍ
وَالجَفْنُ هُوَ الكَرْمُ .

فأمَّا إضافته إلى نعته فقولهم : «بَارِحَةُ الْأُولَى ، وَيَوْمُ الْخَمِيسِ . وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ» . وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾^(٣) و ﴿حَوْثُ الْيَقِينِ﴾^(٤) .

باب جمع شيئين في الابتداء بهما

وجمع خَبْرَيْهِمَا ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى كُلِّ مُبْتَدَأٍ بِهِ خَبْرُهُ

من ذلك قول القائل : «إِنِّي وَإِيَّاكَ عَلَى عَدَلٍ أَوْ عَلَى جَوْرِ» فَجَمَعَ شَيْئَيْنِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَجَمَعَ الْخَبْرَيْنِ . ومراده : إِنِّي عَلَى عَدَلٍ وَإِيَّاكَ عَلَى جَوْرِ . وهذا في كلامهم وأشعارهم كثير . قال امرؤ القيس^(٥) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهِ الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

أراد : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا الْعُنَابُ وَيَابَسًا الْحَشْفُ . ومن هذا في القرآن : ﴿وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٦) معناه : وَإِنَّا عَلَى هُدًى وَإِيَّاكُمْ فِي ضَلَالٍ . ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ

(١) القلائص : جمع القلوص : الناقة الفتية . يحدو : يسوق .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٩٥ .

(٤) ديوانه : ١٤٥ .

(٥) سورة سبأ ، الآية : ٢٤ .

شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴿^(١)﴾ إذا رُدَّ كل شيء إلى ما يصلح أن يتصل به كان التأويل: «قل أرايتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن وكفرتم به واستكبرتم». ومثله ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا﴾ ﴿^(٢)﴾ قالوا: لَمَّا لَمْ يَصْلَحْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ كَانَ التَّأْوِيلُ: وَزُلْزِلُوا حَتَّى قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: مَتَى نَصَرَ اللَّهُ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ: أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا. رُدَّ كُلُّ كَلَامٍ إِلَى مَنْ صَلَحَ أَنْ يَكُونَ لَهُ. ومن الباب قول ذي الرُّمَّة ^(٣):

ما بال عينك منها الماء يُنْسَكِبُ كأنه من كلى مفرية سرب
وفراء غرفية أثنى خوارزها مُشْلِشِلٌ ضيَعته بينها الكتبُ

فمعنى البيتين: كأنه من كلى مفرية وفراء غرفية أثنى خوارزها سرب مُشْلِشِلٌ ضيَعته بينها الكتب.

وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٤) المعنى: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٥) تأويله والله أعلم: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ. قال ومن هذا الباب قول امرئ القيس ^(٦):

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) ديوانه: ١٠. الكلى جمع الكلية وهي من السحاب أسفلها، ومن المزايدة: رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة. وفري المزايدة: صنعها. وسرب: من السرب وهو الماء يصب في القربة ليبتل سيرها، والماء السائل الغرفية نسبة إلى الغرف وهو شجر يدبغ به. ثأى: خرم خرز الأديم. ومشلشِل: متفرق.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٦) ديوانه: ١٠٩. تميم وكندة: قبيلتان.

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر
 تميم بن مراً وأشياؤها وكندة حولي جميعاً صبر
 معناه: لا يدعي القوم تميم وأشياؤها أنني أفر وكندة حولي.

باب التقديم والتأخير

من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيرُهُ وهو في المعنى مُقدِّم. كقول ذي الرمة^(١):

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ

أراد: ما بالك عينك ينسكب منها الماء. وقد جاء مثل ذلك في القرآن قال الله جل ثناؤه: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾^(٢) تأويله والله أعلم: ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت. لأن لا فوت يكون بعد الأخذ.

ومن ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾^(٣) يعني القيامة، وجوه يومئذ خاشعة^(٤) وذلك يوم القيامة ثم قال: ﴿عاملة ناصبة﴾^(٥)، والنصب والعمل يكونان في الدنيا، فكأنه إذا على التقديم والتأخير معناه: وجوه عاملة ناصبة في الدنيا. يومئذ - أي يوم القيامة - خاشعة. والدليل على هذا قوله جل اسمه: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾^(٦).

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنما يريد الله ليُعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾^(٧) المعنى: لا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا. وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿فألقه إليهم ثم توّل عنهم فانظر ماذا

(١) ديوان ذي الرمة: ١٠.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٥١.

(٣) سورة الغاشية، الآية: ١.

(٤) سورة الغاشية، الآية: ٢.

(٥) سورة الغاشية، الآية: ٣.

(٦) سورة الغاشية، الآية: ٨.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ معناه: فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ فَانظُرْ ماذا يرجعون ثم تَوَلَّ عَنْهُمْ.

ومن ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (٢) تأويله: لَمَقْتُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرْتُمْ، وَمَقْتُهُ إِيَّاكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْحِسَابِ وَعِنْدَ نَدْمِكُمْ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْكُمْ.

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مَسْمُومٍ﴾ (٣) فَأَجَلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى كَلِمَةٍ، التَّأْوِيلُ: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مَسْمُومٌ - أَرَادَ الْأَجَلَ الْمَضْرُوبَ لَهُمْ وَهِيَ السَّاعَةُ - لَكَانَ الْعَذَابُ لِزِمَامًا لَهُمْ.

باب الاعتراض

ومن سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ يَعْتَرِضَ بَيْنَ الْكَلَامِ وَتَمَامِهِ كَلَامٌ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْمَعْتَرِضُ إِلَّا مُفِيدًا. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: «اعْمَلْ - وَاللَّهُ نَاصِرِي - مَا شِئْتَ» إِنَّمَا أَرَادَ: اعْمَلْ مَا شِئْتَ. وَاعْتَرِضَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ مَا اعْتَرِضَ قَالَ الشَّمَاخُ (٤):

لَوْلَا ابْنُ عَفَّانَ وَالسُّلْطَانُ مُرْتَقِبٌ أوردتُ فَجَاءَ مِنَ اللَّعْبَاءِ جُلْمُودِي

قوله: «والسلطان مرتقب» معترض بين قوله: «لولا ابن عفان» وقوله: «أوردت». ومن ذلك في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ ﴿٥﴾ - فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ - فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ (٥) إِنَّمَا أَرَادَ: إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ. وَاعْتَرِضَ بَيْنَهُمَا قَوْلُهُ: فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ (٦):

فَإِن يُمْسِ عِنْدِي الْهَمُّ وَالشَّيْبُ وَالْعِشَاءُ فَقَدْ بِنَّ مَنِّي وَالسَّلَامُ تَفَلَّقُ

(١) سورة النمل، الآية: ٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٩.

(٤) ديوانه: ١٢٢. اللعباء: موضع كثير الحجارة بحزم بني عوال. وسبخة بالبحرين. والجلمود: الصخر. والفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٥) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٦) ديوانه: ١١٨. والأشجع: الشجاع. الفرق: الخوف.

بأشجع أَخَاذِ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ فَمِنْ أَيِّ مَا تَجَنِّي الحَوَادِثُ أَفْرَقُ
أَرَادَ: بَنَ مَنِي بِأَشْجَعٍ. وَالسَّلَامُ تَفَلَّقُ اعْتِرَاضَ. وَمِثْلُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا نَذَكِرُ مِنَ الْبَابِ رَسْمًا.

باب الإيماء

العرب تُشِيرُ إِلَى الْمَعْنَى إِشَارَةً وَتَوْمِيءُ إِيمَاءً دُونَ التَّصْرِيحِ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ:
«لَوْ أَنَّ لِي مَن يَقْبَلُ مَشُورَتِي لِأَشْرْتُ» وَإِنَّمَا يَحْتُ السَّمَاعُ عَلَى قَبُولِ الْمَشُورَةِ. وَهُوَ
فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

إِذَا غَرَّدَ الْمُكَّاءُ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ
أَوْمًا إِلَى الْجَذْبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُكَّاءَ يَأْلَفُ الرِّيَاضَ، فَإِذَا أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ
سَقَطَ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَفْوَهِ^(٢):

إِنَّ بَنِي أَوْدٍ هُمْ مَا هُمْ لِلْحَرْبِ أَوْ لِلْجَذْبِ عَامَ الشُّمُوسِ
أَوْمًا بِقَوْلِهِ: «الشُّمُوسِ» إِلَى الْجَذْبِ وَقَلَّةِ الْمَطَرِ وَالغَيْمِ، أَيِ إِنْ كَلَّ أَيَّامَهُمْ
شُمُوسٌ بِلا غَيْمٍ. وَيَقُولُونَ: «هُوَ طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ» إِنَّمَا يَرِيدُونَ طَوْلَ الرَّجُلِ.
وَ«غَمْرُ الرِّدَاءِ» يَوْمِيئُونَ إِلَى الْجَوَادِ. وَ«فِدَاءٌ لَهُ تَوْبِي» وَ«هُوَ وَاسِعٌ جَيْبِ الْكُمِّ»
إِيمَاءٌ إِلَى الْبَدْلِ. وَ«طَرِبُ الْعِنَانِ» يَوْمِيئُونَ إِلَى الْخِيفَةِ وَالرَّشَاقَةِ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ: «وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ»^(٣)
هَذَا إِيمَاءٌ إِلَى: «أَنْ يُصِيبُونِي بِسُوءٍ» وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ: «اللَّبَنُ مُحْضُورٌ» أَيِ:
تُصِيبُهُ الْآفَاتُ.

باب إضافة الفعل

إلى من وقع به ذلك الفعل

وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى مَنْ يَقَعُ بِهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ. يَقُولُونَ: «ضَرَبَ
زَيْدًا وَأَعْطَيْتُهُ بَعْدَ - ضَرْبِهِ - كَذَا» فَيَنْسَبُ الضَّرْبُ إِلَى زَيْدٍ وَهُوَ وَقَعَ بِهِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ

(١) لسان العرب: مادة (مكا)، والمقاييس: مادة (حمر)، بلا عزو. والمكء: طائر.

(٢) الطرائف الأدبية: ١٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٨.

ثناؤه: ﴿الم. غَلِبَتِ الرُّومُ﴾^(١) - فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ثم قال - ﴿وهم من بعد غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٢) فأضاف الغلب إليهم، وإنما كان كذا لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم. ومثله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٣). و﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٤) فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال، وهو في الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال. ومثله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾^(٥) و﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾^(٦) أي مقامه بين يدي. ومثله قول طرفة^(٧):

وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي

فأضاف المخافة إلى نفسه وإنما المخافة للبرك.

باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم في الإخبار عنه

من سنن العرب أن تُجْرِي المَوَاتَ وما لا يَعْقِلُ في بعض الكلام مجرى بني آدم. فيقولون في جمع أرض «أرضون» وفي جمع كرة «كُرون» وفي جمع إرة «إرون» وفي جمع طبة السيف «ظبون» وينشدون^(٨):

يَرَى الرَّأوُونَ بِالشَّفَرَاتِ مِنْهَا كِنَارِ أَبِي حُبَابٍ وَالتُّبَيْنَا

ويقولون: «لَقِيتُ مِنْهُ الأَقْوَرِينَ» و«أصابتني مِنْهُ الأَمْرُونَ» و«مضتْ له سنون» ويتعدون هذا إلى أكثر منه فيقول الجعدي^(٩):

(١) سورة الروم، الآية: ٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

(٧) ديوانه: ٥٣. وعجزه:

نواديها أمشي بعضي مجرد

(٨) للكميث بن زيد الأسدي، ديوانه: ١٢٦/٢، وخزانة الأدب: ١٥١/٧. وأبو حُباب من قبيلة

محارب كان لا يوقد ناره إلا بالحطب الشخت لثلاثي.

(٩) ديوان النابغة الجعدي: ٤. وقوله: تمزرتها: شربتها.

تَمَزَّزْتُهَا وَاللَّيْكَ يَدْعُو صَبَاحُهُ إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
 وقال الله جل ثناؤه: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١) و﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ
 يَنْطِقُونَ﴾^(٢) و﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
 سَاجِدِينَ﴾^(٣) و﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾^(٤) و﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً
 وَرَدُّوهَا﴾^(٥) ويقولون في جمع بُرَّة «بُرِين». وأكثر من قول النابغة قول
 القائل^(٦):

إِذَا أَشْرَفَ اللَّيْكَ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ إِلَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَازِيلُ
 وَجَعَلَ لَهُ أُسْرَةً وَسَمَاهُمْ قَوْمًا.

باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله

من سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله، فيقولون:
 «قعد على صدر راحلته ومضى». ويقول قائلهم^(٧):

الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ
 وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلَ لَيْدٍ^(٨):

أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النُّفُوسِ حَمَاهُمَا

وأنه أراد كلاً وذكروا في هذا الباب قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

(١) سورة الأنبياء الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٦٥.

(٣) سورة يوسف الآية: ٤.

(٤) سورة النمل الآية: ١٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٩.

(٦) البيت لعبد بن الطبيب، كما في ديوانه: ٧٩. وفيه:

إِذَا أَشْرَفَ... إِلَى الصَّبَاحِ وَهُمْ...

ومعازيل: جمع معزال: وهو الذي لا رمح معه، والضعيف الأحقر.

(٧) ديوان الأعشى: ٥٧. ولسان العرب: مادة (دخن).

(٨) ديوانه: ١٧٥. وفيه: يتعلق بعض... وصدوره:

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا

مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴿١﴾، وَقَالَ آخَرُونَ: «مَنْ» هَذِهِ لِلتَّبَعِيضِ لِأَنَّهُمْ أَمَرُوا بِالغَضِّ عَمَّا يَحْرُمُ النَّظْرُ إِلَيْهِ. وَمِنَ الْبَابِ ﴿يَحذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ﴿٢﴾ أَي إِتَاهُ. وَمِنْهُ ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي﴾ ﴿٣﴾ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﴿٤﴾:

يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا نَفْسُ الْبَخِيلِ نَجَّهَمَتْ سُؤَالَهَا
وَمِنْهُ ﴿وَيَقِيْ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ﴿٥﴾ وَ «تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِيْنَةِ» وَ ﴿٦﴾:

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّْي

و:

طُوْلُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي ﴿٧﴾

و:

صَرَفَ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلَّبُ ﴿٨﴾

وَقَالَ الْجَعْدِي ﴿٩﴾:

جَزِعَتْ وَقَدْ نَالَتْكَ حَدُّ رِمَاحِنَا بِفَوْهَاءٍ يُثْنِي ذِكْرَهَا فِي الْمَحَافِلِ

باب الاثنین يعبر عنهما بهما مرّة

وبأحدهما مرة

قال أبو زكريا الفراء: تقول العرب: «رأيتُه بعيني، وبعيني» و «الدارُ في يدي، وفي يدي». وكل اثنین لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثال مثل:

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٤) ديوان الأعشى: ١٤٥. والنائل: العطاء.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٦) ديوان جرير: ٣٤١، والمقتضب: ٢٠٠/٤، وعمجه:

كما أخذ السرار من الهلال

(٧) المقتضب: ١٩٩/٤ ونسبته إلى الأغلب العجلي، وفي شرح أبيات سيويه: ٣٦٦/١.

(٨) ديوان طفيل الغنوي: ٤٠. ولسان العرب: مادة (سلف)، وصدرة:

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم

(٩) ديوان النابغة الجعدي: ٢٢٥، وفي الأصل: بقوهاء، ولا وجه له. ويُقال: طعنة فوهاء، أي: واسعة.

«اليدين، والرّجلين» قال الفرزدق^(١):

فلو بَخَلَّتْ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ
فقال: «ضَنْتُ» بعد قوله «يداي». وقال^(٢):

وَكَأَنَّ بِالْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنُفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَّتْ بِهِ فَانْهَلَّتْ
وقال^(٣):

إِذَا ذَكَرْتُ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءَ فَلَجَّ ظَلْمًا تَكْفِيَانِ

باب الحمل

هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه. يقولون: «ثلاثة أنفُس» والنفس مؤنثة لأنهم حملوه على الإنسان. ويقولون: «ثلاث شخوص» لأنهم يحملون ذلك على أنهن نساء. و^(٤):

إِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطِنِ

يذهبون إلى القبائل. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿السَّمَاءُ مَنْفَطْرٌ﴾^(٥) حُمِلَ عَلَى السَّقْفِ. وهذا يتّسع جداً. وقد ذُكِرَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مُسْتَهْزِؤُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٦) وهذا في باب المحاذاة أحسن. ومن الحَمْلِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧)، قال أبو عبيدة أرادَ الرّسالة. ومن الباب قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿سَعِيرًا﴾^(٨) - والسعير مذكّر - ثم قال: ﴿إِذَا

(١) ديوانه: ٢٥٨. وفيه:

ولو رضىت يداي بها وخرت لكان لها علي القدر الخيار

(٢) البيت لسلمي بن ربيعة في «ما اتفق لفظه واختلف معناه»: ٤٩، وله أيضاً في أمالي القالي: ٣٩/٤.

(٣) بلا عزو في «ما اتفق لفظه واختلف معناه»: ٥٠، وهمع الهوامع: ٥٠/١، وفقه اللغة: ٢٥٢.

(٤) البيت للنجاح الكلابي في الدرر: ١٩٦/٦، وعجزه:

«وأنت بريء من قبائلها العشر»

وفي المقتضب: ١٤٨/٢ بلا عزو.

(٥) سورة المزمل، الآية: ١٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٦.

(٨) سورة الفرقان، الآية: ١١، وتامها ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾.

رَأْتُهُمْ^(١) فحمله على النار. وقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ حمله على المكان. ولهذا نظائرٌ كثيرة.

باب من ألفاظ الجمع الواحد والاثنين

من الجمع الذي لا واحد له من لفظه «العالمُ». والأنامُ. والرَّهطُ. والنَّفَرُ. والمَعْشَرُ. والجندُ. والجيشُ. والناسُ. والغنمُ. والنَّعَمُ. والإبلُ.

وربّما كان للواحد لفظ ولا يجيء الجمع بذلك اللفظ نحو قولنا: «امرؤُ». وامرءان. وقوم» و«امرأة. وامرأتان. ونسوة».

ومن الاثنين اللذين لا واحد لهما لفظاً قولهم: «كلا، وكِلْتا، واثنان، والمِذْرَوان، وعَقَلَه بِشَنايَين، وجاء يضرب أضدرِيه، وأزْدَرِيه، ودَوَالِيه، من التِّداول، ولَبَيْتِكَ، وسَعْدِيكَ، وحنانيك» وقد قيل: إن واحد حنانيك «حَنانٌ» وينشد^(٢):

فقالَت: حَنانٌ ما أتى بِكَ ها هنا أذو نَسبٍ أم أنتِ بِالحَيِّ عارف

باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزاء

يقولون الرجل يُسْتَجْهَل «يا عاقل!» ويقول شاعرهم^(٣):

فقلْتُ لِسَيِّدنا: يا حَليِّ مُم إنكَ لم تَأَسَّ أسوا رَفيقا
ومن الباب «أتاني فقرتيه جفاءً وأعطيتُهُ حرماناً» ومنه قوله:

ولم يكونوا كأقوامٍ علمتهم يَقْرُونَ ضيفَهُم الملوِيَّة الجُدُدا
يعني: السَّياط. ويقول الفرزدق^(٤):

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٢.

(٢) خزائن الأدب: ١١٢/٢، ونسبته إلى منذر بن درهم الكلبي، وشرح أبيات سيبويه: ٢٣٥/١، والمقتضب: ٢٢٥/٣ بلا عزو.

(٣) لسان العرب: مادة (خفق) ونسبته إلى شميم بن خويلد.

(٤) ديوانه: ٣٨٩، وتهذيب اللغة: ٢١٤/١٢. وعجزه:

قَرَيْنَاهُمْ الْمَأْثُورَةَ الْبَيْضَا

وقال عمرو :

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قَبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
ومن الباب حكاية عنهم : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(١).

باب الكف

ومن سنن العرب الكفُّ. وهو أن يكفَّ عن ذِكرِ الخَبرِ اكتفاءً بما يدلُّ عليه الكلام. كقول القائل^(٢) :

وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ. وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا
المعنى : لو أتانا رسولُ سِوَاكَ لدفعناه. وقال آخر^(٣) :

إِذَا قَلْتُ سِيرِي نَحْوَ لَيْلَى لَعَلَّهَا جَرَى دُونَ لَيْلَى مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ
وترك خبر «لعلها» وقال :

فَمَنْ لَهُ فِي الطَّعْنِ وَالضَّرَابِ يَلْمَعُ فِي كَفْيِّ كَالشَّهَابِ
أي : مَنْ لَهُ فِي سِيفٍ. ومنه قوله جَلَّ وَعَزَّ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ : ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ
أَمْ﴾^(٤) أراد : أَمْ تَبْصُرُونَ. وما يقرب من هذا الباب قوله^(٥) :

تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةٌ مُمَسَّى رَاهِبٍ مَتَبِّئِلٍ
أراد : سُرُجُ مَنَارَةٍ.

باب الإعارة

العرب تُعِيرُ الشَّيْءَ مَا لَيْسَ لَهُ. فيقولون : «مَرَّ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا»

(١) سورة هود، الآية : ٨٧.

(٢) ديوان امرئ القيس : ١٣٠.

(٣) تذكرة النحاة : ٥٧٣ بلا عزو، ومعني اللبيب : ٧٠١/٢. والأعضب : ولد البقرة إذا طلع قرنه.

(٤) سورة القصص، الآية : ٧٢.

(٥) ديوان امرئ القيس : ٤٦.

ويقول قائلهم:

كذلك فعله والناسُ طرّاً بكفّ الدهر تقتلهم ضروباً
فجعل للدهر كفاً. ويقولون^(١):

ثارتُ المِسمَعَيْنِ وقلتِ بؤءاً بقتلِ أخي فزارة والخيارِ

قال الأصمعي لم يكن واحد منهما مِسمَعاً وإنما كانا عامراً وعبد الملك
ابني مالك بن مِسمع، فأعارهما اسمَ جدّهما. ومثله الشعثمان لم يكن اسم
أحدهما شعثماً وإنما أعير اسم أبيهما «شعثم»، ومثله «المهالبة»
و «الأشعرون».

باب أفعل في الأوصاف لا يراد له التفضيل

يقولون: «جرى له طائرٌ أشأم» ويقول شاعرهم^(٢):

هي الهمُّ لو أنّ النون أضقت بها ولكن كراً في ركوبة أعصرُ
وقال الفرزدق^(٣):

إن الذي سمك السماء بنى لنا عزّاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
وقال أبو ذؤيب^(٤):

ما لي أحنّ إذا جمالك قرّبت وأصدُّ عنك وأنت مني أقربُ
وقال:

بُئِنَّةٌ من آل النساءِ وإنما يكنّ لأدنى لا وصالٍ لغائب
ويقولون: إن من هذا الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٥).

(١) لسان العرب: مادة (سمع) بلا عزو.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ٧٠. وفيه:

هي العيش لو أنّ النوى أسعفت بها ولكن كراً في ركوبة أعصرُ
(٣) ديوانه: ٤٨٩.

(٤) الأغاني: ١٠٢/٢١، ونسبته إلى سليمان بن أبي دباكل.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢٧.

باب نفي الشيء جملة من أجل عدم كمال صفته

قال الله جلّ وعزّ في صفة أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(١) فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت مُرِيح ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة. وهذا في كلام العرب كثير، قال أبو النَّجْم^(٢):

يُلقِينَ بِالخَبَارِ والأَجَارِعِ كَلَّ جَهِيضِ لَيْنِ الأَكَارِعِ
بَلْهَاءٍ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعِ لَيْسَ بِمُحْفُوظٍ وَلَا بِضَائِعِ
وقال^(٣):

وقد أجوبُ البلدِ البرّاحا المَرْمَرِيسَ القَفْرَةَ الصَّخْصَاحا
بالقوم لا مرضى ولا صحاحا

ومن هذا الباب أو قريبٌ منه قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤)، ومنه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾^(٥) - فأثبت علماً - ثم قال: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لما كان علماً لم يعملوا به كانوا كأنهم لا يعلمون. ومن الباب قول مسكين^(٦):

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي السُّرُّ
وَأَصَمَّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقُرُّ

(١) سورة طه، الآية: ٧٤.

(٢) الخَبَار: ما لان من الأرض. الأَجَارِع: جمع الجَرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل. الجهيـض: الولد السَّفَط.

(٣) لسان العرب: مادة (معل) ونسبته إلى ابن العمياء، وبلا عزو في المخصص: ١١٧/١٢، وروايته: «البلد القراحا» و«النائي الصحصاحا»، وقوله: البلد القراح: أي البلد لا ماء بها ولا شجر. الصَّخْصَاح: ما استوى من الأرض. والمَرْمَرِيس: الأرض لا تنبت شيئاً. القَفْرَة: الخلاء من الأرض.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٦) مسكين الدارمي، هو ربيعة بن عامر الدارمي، من شعراء العصر الأموي، مات سنة ٨٩ هـ.

جعل نفسه أعمى أصمَّ لَمَّا لم ينظر ولم يسمع. وقال آخر^(١):

وكلامٍ بِسَيِّ قَدِ وُقِرَتْ أَذْنِيَّ عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمِّ

وقريب من هذا الباب قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾^(٢) أي ما هم بسُكَارَى مشروبٍ ولكن سُكَارَى فَرَعَ وَوَلِه. ومن الباب قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدِّنْ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾^(٣) وهم قد نطقوا بقولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾^(٤) لكنهم نطقوا بما لم يَنْفَع فكأنهم لم يَنْطِقُوا.

باب الشرط

الشرط على ضربين: شرطٌ واجبٌ إعماله كقول القائل: «إِنْ خَرَجَ زَيْدٌ خَرَجْتُ». وفي كتاب الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(٥).

والشرط الآخر مذكور إلا أنه غيرُ مَعزوم عليه ولا محتوم، مثل قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(٦) فقوله: ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ شرط لإطلاق المراجعة. فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن يتراجعا إلا بعد الظن أن يقيما حدود الله. فالشرط ها هنا كالمجاز غير المعزوم. ومثله قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾^(٧) لأن الأمر بالتذكير واقع في كلِّ وقت. والتذكير واجب نفع أو لم يَنْفَع، فقد يكون بعض الشروط مجازاً.

باب الكناية

الكناية لها بابان: أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسیناً للفظ أو إكراماً للمذكور، وذلك كقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ

(١) يقال: وقع في سَيِّ رأسه أي حكمه من الخير أو في قَدْر ما يغمرُّ به رأسه.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢.

(٣) سورة المرسلات، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٧) سورة الأعلى، الآية: ٩.

علينا^(١) قالوا: إن الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان. وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿ولكن لا تواعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾^(٢) إنه النكاح. وكذلك: ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾^(٣) والغائط: مطمئن من الأرض. كل هذا تحسين اللفظ، والله جلّ ثناؤه كريم يَكْنِي كما قال في قصة عيسى وأمه عليهما السلام: ﴿ما المسيح ابنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٤) كناية عما لا بدّ لآكل الطعام منه.

والكناية التي للتبجيل قولهم: «أبو فلان» صيانة لاسمه عن الابتذال.

والكنى مما كان للعرب خصوصاً، ثم تشبّه غيرهم بهم في ذلك.

الباب الثاني من الكناية

الاسم يكون ظاهراً مثل: «زيد. وعمرو». ويكون مَكْنِيّاً وبعض النحويين يسميه مضمراً، وذلك مثل «هو، وهي، وهما، وهنّ».

وزعم بعض أهل العربية أن أول أحوال الاسم الكناية، ثم يكون ظاهراً. قال: وذلك أن أول حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول: «أنا، وأنت» وهذا لا ظاهر لهما. وسائر الأسماء تظهر مرة ويكنى عنها مرة.

والكناية متصلة ومنفصلة ومُسْتَجَنَّة. فالمتصلة التاء في «حملتُ، وقمتُ». والمنفصلة قولنا: «إياه أَرَدْتُ». والمستجَنَّة قولنا: «قام زيدٌ» فإذا كَنَيْنا عنه قلنا: «قام» فَتَسَّرَ الاسم في الفعل.

وربما كني عن الشيء لم يجر له ذكر، في مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾^(٥) أي يؤفك عن الدين أو عن النبي ﷺ، قال أهل العلم: وإنما جاز هذا لأنه قد جرى الذّكر في القرآن. قال حاتم^(٦):

(١) سورة فصلت، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٩.

(٦) هو حاتم بن عبدالله الطائي، الشاعر، الفارس، مضرب المثل في الجود في الجاهلية، والبيت في =

أَمَاوِيٍّ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فكنى عن النفس فقال «حشرجت» ويقولون^(١):

إِذَا اغْبَرَّ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالًا

أَضْمَرَ الرِّيحَ وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذَكَرَ .

ويكئى عن الشيثين والثلاثة بكناية الواحد، فيقولون: «هو أتنُّ الناس وأخبئهُ» وهذا لا يكون إلا فيما يقال هو أفعَل، قال الشاعر^(٢):

شَرُّ يَوْمَيْهَا وَأَشْقَاهُ لَهَا رَكِبَتْ عَنزٌ بِحَمَلٍ جَمَلًا

ولم يقل: «أشقاها».

وتكون الكناية متصلةً باسم وهي لغيره، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٣) - فهذا آدم عليه السلام - ثم قال: ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾^(٤)، فهذا لولده لأن آدم لم يُخلق من نُطفة. ومن هذا الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٥) قيل: إنها نزلت في ابن حُدَافَةَ حين قال للنبي ﷺ: من أبي؟ فقال: «حُدَافَةَ»، وكان يُسبُّ به فساءهُ ذلك، فنزلت: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. وقيل: نزلت في الحج حين قال القائل: أفي كلِّ عام مرة؟ ثم قال: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾^(٦) يريد إن تسألوا عن أشياء أُخرَ من أمر دينكم ودنياكم بكم إلى علمها حاجة تبد لكم ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾^(٧) فهذه الهاء من غير الكنايتين لأن معناها: قد طلبها، والسؤال ها هنا طلب، وذلك كقول

= ديوانه: ٨٣. والحشرجة: الغرغرة عند الموت.

(١) الأزهية: ٦٢، ونسبته إلى كعب بن زهير، وليس في ديوانه. وفي الحماسة الشجرية: ٣٠٩/١ ونسبته إلى جنوب بنت عجلان، وخزانة الأدب: ٣٨٤/١. وصدرة:

لقد علم الضيف والمـرملون

(٢) التنبيه والإيضاح: ٢٤٦/٢ وفيه: أغواه لها، وبحدج جملا، والبيت في المستقصى: ١٣٠/٢.

ولعنز اليمامة في تاج العروس: مادة (عنز)، ولبعض شعراء جديس في التاج أيضاً: مادة (عنز).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١٠٢.

عيسى عليه السلام حين سألوه المائدة، وكقول موسى عليه السلام حين قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾^(١) فالسؤال ها هنا طلب والكناية مُبتدأة.

وربما كُني عن الجماعة كناية الواحد كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾^(٢) أراد والله أعلم بهذا الذي تقدّم ذكره.

باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل والمعنى واحد

تقول العرب: «هو مُدَجِّجٌ، ومدَجَّجٌ». و«عبدٌ مكاتبٌ، ومكاتبٌ» و«شأؤٌ مُعَرَّبٌ^(٣)، ومُعَرَّبٌ». و«سجنٌ مُخَيِّسٌ، ومُخَيِّسٌ». و«مكانٌ عامرٌ، ومَعْمورٌ». و«مَنْزِلٌ آهَلٌ، ومَأْهولٌ». و«نُفِستِ المرأةُ ونَفِستَتْ». و«لا يُبَغِّي لَكَ، ولا يُبَغِّي لَكَ». و«عُنيتُ به، وَعَنيتُ». قال^(٤):

عَانِ بِأَخْرَاهَا طَوِيلُ الشُّغْلِ

و«رُهِّصتِ الدَّابةُ،^(٥) وَرَهِّصتْ». و«سَعِدُوا، وَسَعَدُوا». و«زُهِّيَ علينا، وَزَهِّيَ».

باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة وقد مضى في الأسماء مثله

العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة، فيقولون: «حلا الشيء»، فإذا انتهى قالوا: «أَحْلَوَلِي». ويقولون: «أَقْلَوَلِي على فراشه» وينشدون^(٦):

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

(٣) الشأؤ: السَّبْقُ.

(٤) المجمل: مادة (عنى) بلا عزو. والمقاييس: مادة (عنى)، ولسان العرب: مادة (عنى)، وعجزه:

له جفيران وأئِي نَبَلٌ

(٥) قوله: أرهصت الدابة: أصابتها الرهصة، وهي وقرة تصيب باطن حافره.

(٦) لسان العرب: مادة (قلا) بلا عزو. وأساس البلاغة: مادة (قلو) وتاج العروس: مادة (قلا) وتمامه:

سمعنا غناءً بعدما نمن نومةً من الليل فاقوليين فوق المضاجع

واقْلَوْلَيْنَ فَوْقَ الْمَضَاجِعِ

وقرأ ابنُ عباسٍ: «ألا إنهم تثنوني صدورهم» على هذا الذي قلناه من المبالغة.

باب الخصائص

للعرب كلام بألفاظ تختص به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها، يكون في الخير، والشرِّ، والحسن، وغيره، وفي الليل، والنهار، وغير ذلك. من ذلك قولهم: «مكانك» قال أهلُ العلم: هي كلمة وُضِعَتْ على الوعيد، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾^(١) كأنه قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى يُفصل بينكم.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: (٢) «ما حملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار» قال أبو عبيدة: هو التهافت، ولم نسمعه إلا في الشرِّ. ومن ذلك «أولى له» وقد فسرناه. ومن ذلك: «ظَلَّ فلان يفعل كذا» إذا فعله نهاراً. و«بات يفعل كذا» إذا فعله ليلاً.

ومن ذلك ما أخبرني به أبو الحسن علي بن إبراهيم قال: سمعت أبا العباس المبرِّد يقول: «التأويب» سيرُ النهار لا تعريج فيه و«الإسَاد» سيرُ الليل لا تعريس فيه. ومن الباب «جعلوا أحاديث» أي: مثلَ بهم، ولا يقال في الخير. ومنه: ﴿لا عدوانَ إلا على الظالمين﴾^(٣).

ومن الخصائص في الأفعال قولهم: «ظننتني. وحسبنتني. وخلصنتني» لا يقال إلا فيما فيه أدنى شك، ولا يقال: «ضربتني».

ولا يكون «التأبين» إلا مدح الرجل ميتاً. ويقال: «غضبتُ به» إذا كان ميتاً. و«المساعة» الرِّزْنا بالإماء خاصة. و«الراكب» راكب البعير خاصة. و«ألجَّ الجمل» و«خلأت الناقة» و«حرن الفرس» و«نفست الغنم» ليلاً و«هملت» نهاراً.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ٤٥٤/٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

قال الخليل: «الْيَعْمَلَةُ» من الإبل اسم اشتق من «العَمَل» ولا يقال إلا للإناث. قال: و«النعْتُ» وصف الشيء بما فيه من حَسَنٍ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّفَ مِتْكَلَفَ فيقول: «هذا نعتٌ سوءٍ» فأما العرب العاربة فإنها تقول للشيء: «نعت» يريدون به التتمة.

قال أبو حاتم: «ليلةٌ ذات أزيز» أي: قرٌ شديد. ولا يقال يومٌ ذو أزيز.

قال ابنُ دُرَيْدٍ: «أشَّ القَوْمُ. وتَأَشَّشُوا» إذا قام بعضهم إلى بعض للشر لا للخير. ومن ذلك: «جَزَزْتُ الشاة»، و«حَلَقْتُ العنزَ» لا يكون الحلق في الضأن ولا الجَزَّ في المعزى. و«خَفِضَتِ الجاريةُ» ولا يقال في الغلام. و«حَقَبَ البعيرُ» إذا لم يَسْتَقِم بولُه لقصده، ولا يَحْقَب إلا الجملة.

قال أبو زيد: «أَبْلَمَتِ البكرة» إذا ورمَ حياؤها لا يكون إلا للبكرة. و«عَدَنَتِ الإبل في الحمض» لا تَعْدُنُ إلا فيه. ويقال: «عَطَّ البعيرُ» هَدَرَ ولا يقال في الناقة. ويقال: «ما أطيبَ قداوةَ هذا الطعام»، أي: ريحُه ولا يقال ذلك إلا في الطبخ والشواء. و«لَقَعَه ببعرة» ولا يقال غيرها. و«فعلتُ ذاك قبلَ عَيْرٍ وما جرى» لا يُتكلَّم به إلا في الواجب، لا يقال: سأفعله قبلَ عيرٍ وما جرى. ومن الباب ما لا يقال إلا في النفي كقولهم: «ما بها أرمٌ» أي ما بها أحد. وهذا كثير في أبواب قد صنفها العلماء.

باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم

يقولون: «عاد فلانٌ شيخاً» وهو لم يكن شيخاً قط. و«عاد الماءُ أجناً» وهو لم يكن أجناً فيعود. ويقول الهذلي^(١):

قد عادَ رَهْباً رَذِيّاً طائِشَ القَدَمِ

قال^(٢):

(١) هو ساعدة بن جؤية الهذلي، شاعر مخضرم، والبيت في: شرح أشعار الهذليين: ١١٢٤، ولسان العرب: مادة (عود) وصدده:

«فقام ترعد كفاه بميله»

(٢) لسان العرب: مادة (عسف) ونسبته إلى نبيه بن الحجاج وهو شاعر من العقلاء الجاهليين من قريش قتل في بدر على الشرك. والبيت في أساس البلاغة: مادة (عسف). وفي اللسان: =

قَطَعْتُ الذَّهْرَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَعَادَتْنِي عَسِيفاً عَبْدَ عَبْدِ
 وَمِنْ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(١)
 وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي نُورٍ قَطْ. وَمِثْلُهُ: ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ﴾^(٢) وَهُوَ لَمْ يَكُنْ فِي
 ذَلِكَ قَطْ. وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٣) فَقَالَ: ﴿عَادَ﴾
 وَلَمْ يَكُنْ عُرْجُوناً قَبْلُ.

باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك

يَقُولُونَ: «فَلَانٌ كَرِيمٌ غَيْرَ أَنَّهُ شَرِيفٌ» وَ«كَرِيمٌ غَيْرَ أَنَّهُ حَسَبًا» وَهُوَ شَيْءٌ
 تَنَفَّرَ فِيهِ الْعَرَبُ. قَالَ^(٤):

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بَهَنَ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ
 وَقَالَ^(٥):

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
 وَهُوَ كَثِيرٌ.

باب الإفراط

الْعَرَبُ تَفْرِطُ فِي صِفَةِ الشَّيْءِ مُجَاوِزَةً لِلْقَدْرِ اقْتِدَاراً عَلَى الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ^(٦):
 بِخَيْلٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ
 وَيَقُولُونَ^(٧):

«أَطَعَتِ النَّفْسُ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى».

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٠. وسورة الحج، الآية: ٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٤) النابغة الذبياني، ديوانه: ٥١. فُلُولُ السَّيْفِ: ثَلْمُهُ.

(٥) النابغة الجعدي، ديوانه: ١٧٣.

(٦) لسان العرب: مادة (سجد) بلا عزو.

(٧) ديوان جرير: ٢٧٠، وخزانة الأدب: ٢١٨/٤. وفي الديوان:

سور المدينة والجبال الخُشَّعُ

لما أتى خبرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سورُ المدينةِ وخشعتِ الجبالُ
و^(١):

بكى حارثُ الجولانِ من هُلكِ رَبِّه

[و]^(٢):

لو أنك تُلقِي حَنْظَلًا فوقَ بَيْضِنَا تَحْدَرَجُ [عن ذي سَاحِهِ المَتقَارِبِ]
ويقولون^(٣):

ضَرَبْتُهُ فِي المَلتقى ضَرْبَةً فزال عن مَنكِبِهِ الكاهلُ
فَصَارَ ما بَيْنَهُما رَهْوَةً يمشي بها الرَامِحُ والنَّابِلُ

باب نفي ضمنه إثبات

تقول العرب: «ليس بحُلُو ولا حَامِضٍ» يريدون أنه جَمَعَ من ذا وذا. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾^(٤) قال أبو عبيدة: لا شرقية تضحى للشرق ولا غربية لا تضحى للشرق لكنها شرقية غربية يصيبها ذا وذا: الشرق والغرب.

باب الاشتراك

معنى الاشتراك: أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله جل ثناؤه: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾^(٥) فقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنه قال: فاقذفيه في اليم يُلْقِهِ اليم. ومحتمل أن يكون اليم أمر بإلقائه.

(١) للناطقة الذيباني، ديوانه: ٢١٣، وعجزه:

وَحَوْرانِ مِنْهُ مَوْحِشٌ مُتَضاعِلٌ

وحارث الجولان: جبل.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم: ٨٦، وتاج العروس: مادة (سوم)، وإتمامه من الديوان. والسام: عروق الذهب، الواحدة: سامة، وأرادوا بالسام: خطوط ذهب على البيض تُمَوُّه بها. والبيضة: الحديد، أي الخوذة، التي توضع على الرأس. تدرج: أي تدرج. والمراد أن القوم تراصوا في الحرب حتى لو ألقيت حنظلاً فوق بيضهم لم يصل إلى الأرض.

(٣) الحيوان للجاحظ: ٤١٣/٦، ونسبته إلى ذي اليمينين.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) سورة طه، الآية: ٣٩.

ومنه قولهم: «أرأيت» فهو مرّة للاستفتاء والسؤال كقولك: «أرأيت إن صلّى الإمام قاعداً كيف يُصليّ من خلفه؟». ويكون مرّةً للتنبية ولا يقتضي مفعولاً، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(١). ومن الباب قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾^(٢) فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جلّ ثناؤه لأنه انفراداً بخلقه، ومحتمل أن يكون: خَلَقْتُهُ وحيداً فريداً من ماله وولده.

باب يسميه بعض المحدثين: الاستطراد

وذلك أن يشبه شيء ثم يمرّ المتكلم في وصف المشبه، كقول الشاعر حين شبه ناقته فقال^(٣):

كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذْ رُعْتُهَا عَلَى جَمَزِي جَازِيءٍ بِالرَّمَالِ

فشبه ناقته بثور ومضى في وصف الثور، ثم نقل الشبه إلى الحمار فقال^(٤):

أَوْ أَصْحَمِ حَامٍ جَرَامِيْزِهِ خَزَائِيَّةٍ حَيْدَى بِالذِّحَالِ

ومر في صفة العَيْر إلى آخر كلمته. وقد قيل في كتاب الله جلّ ثناؤه من هذا النظم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(٥) ولم يجر للذِّكْرِ خبر، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٦) وجواب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوله جلّ ثناؤه: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٧).

(١) سورة العلق، الآية: ١٣.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٧.

(٣) شرح أشعار الهذليين: ٤٩٨/٢ لأمية بن أبي عائذ، وبلا نسبة في شرح المفصل: ١٠٨/٥. ويقال: جمار جمزى أي: سريع، وأراد ثوراً.

(٤) شرح أشعار الهذليين: ٤٩٩/٢ لأمية بن أبي عائذ. وبلا عزو في العين: ٢٠٣/٦. وللهمذلي في المقاييس: مادة (حيد) والأصحم من الصُّحمة: السواد إلى صُفرة، وأراد الحمار. والحامي: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود، ثم هو حام حمى ظهره فيترك. الجراميز: قوائم الوحشي وجسده. الخزائية: الغليظ إلى القصر. وحمار حيدى: يحيد عن ظله نشاطاً. دحال: جمع دحل: وهو نَقَب ضيق فمه متسع أسفله.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

باب الإتياع

للعرب الإتياع وهو أن تُتَبَّعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويًا إشباعاً وتأكيذاً. ورُوي أن بعض العرب سئِلَ عن ذلك فقال: هو شيءٌ نتدبر به كلامنا. وذلك قولهم: «سَاعِبٌ لاِغِبٌ»^(١)، و «هُوَ حَبٌّ ضَبٌّ»^(٢) و «حَرَابٌ يِيَابٌ». وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب.

باب الأوصاف التي لم يسمع لها بأفعال والأفعال التي لم يُوصَفَ بها

قال الخليل: «ظَبِيٌّ عَنبَانٌ» أي نشيط، قال: ولم نسمع للعنبان فعلاً، قال: «يَشُدُّ شَدَّ العَنبَانِ البارح»، قال: و «الخَضِيعَةُ» صوت يخرج من قُنْبِ^(٣) الدَّابَّةِ ولا فعل لها. ويقولون في التحقير: «هو دُونٌ» ولا فعل له.

قال أبو زيد: يقال للجبان: «إِنَّه لَمَفْوُودٌ» ولا فعل له. قال: و «الخَبِطَةُ» مثل الرَّفَضِ من اللبن والماء ولا فعل لها. وقال: «أَمَجَدْتُ الإِبِلَ إِمَجَاداً» إذا أنت أشبعتها ولا فعل لها في هذا. و «المَزِيَّةُ» الفضل ولا فعل لها. قال أبو زيد يقال: «ما ساءَهُ وناءَهُ» تأكيدٌ للأول ولم يعرفوا من «ناءَهُ» فعلاً، لا يقولون: «ينوؤه» كما يقال: «يسوؤه».

ومن الأفعال التي لم يُوصَفَ بها قولنا: «ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ» قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾^(٤) ولم يُسمع في صفاته جلّ ثناؤه: «الدَّارِيءُ».

باب النحت

العرب تتَحَتُّ من كلمتين كلمةً واحدةً، وهو جنس من الاختصار، وذلك:

- (١) ساغب: جائع. لاِغِبٌ: من اللغَب: الإعياء الشديد. ولا يكون - على قول - السَّغْبُ إلا مع إعياء.
- (٢) قولهم: هو حَبٌّ ضَبٌّ. للبخيل الذي يمنع ما عنده، وينزل المنهبط من الأرض ليجعل موضعه بخلاً.
- (٣) قُنْبِ الدابَّة: جراب قضيب الدابة.
- (٤) سورة الشورى، الآية: ١١. وذَرَأَ: خَلَقَ.

«رجل عَبْشَمِيٍّ» منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل^(١):

أقول لها ودمعُ العينِ جَارٍ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المَنَادِي

مكان قوله: «حَيَّ عَلَى». وهذا مذهبا في أَنَّ الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد «ضَبَطْرٌ» وفي «الصِّلْدَم» إنه من «الصِّلْد» و «الصَّدْم». وقد ذكرنا ذلك بوجوه في كتاب «مقاييس اللغة».

باب الإشباع والتأكيد

تقول العرب: «عَشْرَةٌ وَعَشْرَةٌ فتلک عشرون» وذلك زيادة في التأكيد ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(٢) وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون أحدهما واجبا إما ثلاثة وإما سبعة فأكد وأزيل التوهم بأن جمع بينهما. ومن الباب قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾^(٣) إنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تُسَمِّي الإسراعَ طيراناً، قال رسول الله ﷺ: «كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةَ طَارٍ إِلَيْهَا أُخْرَى»^(٤). وكذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّسْتَنَّمِ﴾^(٥) فذلك الألسنة لأن الناس يقولون: «قال في نفسه كذا» قال الله جل ثناؤه: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾^(٦) فاعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس.

باب الفصل بين الفعل والنعت

النعت يؤخذ عن الفعل نحو: «قامَ فهو قائمٌ» وهذا الذي يسميه بعض النحويين «الدائم» وبعض يسميه: «اسمُ الفاعل». وتكون له رتبة زائدة على الفاعل. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾^(٧) ولم يقل: لا

(١) لسان العرب: مادة (جعل)، والعين: ٦٠/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) رواه مسلم: إمارة ١٢٥، وابن ماجه: فتن ١٣، وأحمد: ٤٤٣/٢.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١١.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

تغلّ يدك، وذلك أن النعت ألزَمُ، ألا ترى أنا نقول: ﴿وعصى آدمُ ربّه فغوى﴾^(١) ولا نقول: آدمٌ عاصٍ غاوي، لأن النعوت لازمة وآدم وإن كان عصى في شيء فإنه لم يكن شأنه العصيان فيسمى به، فقوله جلّ ثناؤه: ﴿لا تجعل يدك مغلولة﴾^(٢) أي لا تكوننّ عادتُك المنع فتكون يدك مغلولة.

ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وقال الرسولُ يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٣) ولم يقل هَجَرُوا لأن شأن القوم كان هجران القرآن وشأن القرآن عندهم أن يهجر أبداً فلذلك قال والله أعلم: ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وهذا قياسُ الباب كله.

باب الشعر

الشَّعْرُ كلامٌ موزونٌ مُقَفَى دالٌّ على معنى. ويكون أكثر من بيت.

وإنما قلنا هذا لأنّ جائزاً اتَّفَقَ سَطْرٌ واحدٌ بوزنٍ يُشبهه وزنُ الشَّعْرِ عن غير قصد، فقد قيل: إن بعض الناس كتب في عنوان كتاب «للأمير المُسيَّب بن زهير من عِقالِ بن شَبَّة بن عِقال» فاستوى هذا في الوزن الذي يُسمّى «الخفيف». ولعلّ الكاتب لم يقصد به شِعْراً.

وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جلّ ثناؤه كَرِهْنَا ذَكَرَهَا، وقد نَزَّهَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كتابه عن شبه الشعر كما نَزَّهَ نَبِيَّهُ ﷺ عن قوله. فإن قال قائل: فما الحِكْمَةُ في تنزيه الله جلّ ثناؤه نبيّه عن الشعر؟ قيل له: أوّل ما في ذلك حكم الله جلّ ثناؤه بأنّ: ﴿الشعراء يتبعهم الغاؤون وأنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾^(٤) ثم قال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾^(٥) ورسول الله ﷺ وإن كان أفضل المؤمنين إيماناً وأكثر الصالحين عملاً للصالحات فلم يكن ينبغي له الشعر بحال، لأن للشعر شرائط لا يُسمى الإنسان بغيرها شاعراً، وذلك أن إنساناً

(١) سورة طه، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

لو عَمِلَ كلاماً مستقيماً موزوناً يتحرى فيه الصدق من غير أن يُفَرِّطَ أو يتعدى أو يَمِينَ أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بته، لما سماه الناسُ شاعراً ولكان ما يقوله مَحْسُولاً ساقطاً.

وقد قال بعض العقلاء وسئِلَ عن الشعر فقال: «إِنْ هَزَلَ أضحك، وَإِنْ جَدَّ كَذَبَ» فالشاعر بين كذب وإضحاك، فإذا كان كذا فقد نزه الله جل ثناؤه نبيه ﷺ عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء.

وبعد فإننا لا نكاد نرى شاعراً إلا مادحاً ضارِعاً أو هاجياً ذا قذع، وهذه أوصاف لا تصلح لنبى. فإن قال: فقد يكون من الشعر الحُكْمُ كما قال رسول الله ﷺ^(١): «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا، وَإِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ» أو قال: «حُكْمًا»، قيل له: إنما نزه الله جل ثناؤه نبيه عن قيل الشعر لما ذكرناه، فأما الحكمة فقد آتاه الله جل ثناؤه من ذلك القسم الأجزَلِ والنَّصِيبِ الأوفى الأركى. قال الله جل ثناؤه في صفة نبيه ﷺ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُ لَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٣) فأيات الله القرآن، والحكمة سُنته ﷺ.

ومعنى آخر في تنزيهه الله جل ثناؤه نبيه ﷺ عن قيل الشعر أن أهل العروض مُجْمِعُونَ على أنه لا فَرْقَ بَيْنَ صِنَاعَةِ الْعُرُوضِ وَصِنَاعَةِ الْإِيقَاعِ. إلا أن صِنَاعَةَ الْإِيقَاعِ تَقْسِمُ الزَّمَانَ بِالنَّعْمِ، وَصِنَاعَةُ الْعُرُوضِ تَقْسِمُ الزَّمَانَ بِالْحُرُوفِ الْمَسْمُوعَةِ. فلما كان الشعر ذا مِيزَانٍ يَنَاسِبُ الْإِيقَاعَ، وَالْإِيقَاعُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَاهِي لَمْ يَصْلُحْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وقد قال ﷺ: «مَا أَنَا مِنْ دَدٍ وَلَا دَدٌ مِنِّي»^(٤).

والشعر ديوانُ العرب، وبه حُفِظَتِ الْأَنْسَابُ، وَعُرِفَتِ الْمَآثِرُ، وَمِنْهُ تُعْلَمُ اللُّغَةُ. وهو حُجَّةٌ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْ غَرِيبِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَغَرِيبِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَدِيثِ صَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ.

وقد يكون شاعرٌ أشعرَ، وشِعْرٌ أحلى أو أظرف. فأما أن يَتَفَاوَتَ الْأَشْعَارُ

(١) رواه البخاري: ٤٧، ومسلم: جمعة ٤٧، وأبو داود: أدب ٨٦. والترمذي: بر ٧٩. والدارمي: صلاة ١٩٩. والموطأ: كلام ٧. وأحمد: ٣٦٩/١، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣١٢.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٤) غريب الحديث: ٣٢٩/١، والدد: اللعب واللهور.

القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا . وبِكُلِّ يُحْتَجَّ وإلى كلِّ يُحْتاج . فأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشَهَوَات ، كلُّ مستحسِنٍ شَيْئاً .

والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدّون المقصور، ويقدمون ويؤخرون، ويومنون ويشيرون، ويختلسون ويُعيرون ويستعيرون . فأما لحنٌ في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك . ولا معنى لقول من يقول: إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز . ولا معنى لقول من قال (١):

ألم يأتيك والأنباء تنمي

وهذا وإن صحّ وما أشبهه من قوله:

لما جفا إخوانه مضعباً

وقوله:

قفا عند ممّا تعرفان رُبوعُ

فكلُّه غلط وخطأ . وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقّون الخطأ والغلط، فما صحّ من شعرهم فمقبول، وما أبتّه العربية وأصولها فمردود . بَلَى للشاعر إذا لم يطرّد له الذي يُريده في وزن شعره أن يأتي بما يقوم مقامه بسطاً واختصاراً وإبدالاً بعد أن لا يكون فيما يأتيه مُخطئاً أو لاحقاً، فله أن يقول (٢):

كالنحل في ماءِ رُضابِ العذبِ

وهو يُريد العسل، وله أن يقول (٣):

مثل الفئيق هنأتُهُ بعصيم

(١) خزانة الأدب: ٣٥٩/٨، والإنصاف: ٣٠/١، وشرح أبيات سيبويه: ٣٤٠/١، وعجزة:

بما لاقت لبون بني زياد

(٢) ديوان روبة: ١٧ . وروايته:

وعدة عجتُ عليها صَحْبِي كالنحل بالماء الرضاب العذب

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: ١٩١، وفي المقاميس: مادة (شوف) بلا عزو . وصدرة: «بحظيرة توفي

الجديل سريحة»، وعجزة في الديوان:

«مثل المشوف هنأته بعصيم»

والفئيق: الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته .

و «العصيم» أثر الهناء . وإنما أراد هَنَاتَه بهناء . وله أن يبسط فيقول كما قال الأعمش^(١) :

إِنْ تَرَكَبُوا فَرَكَبُوا الْخَيْلَ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فِينَا مَعْشَرُ نُزُلِ

معناه: إن تركبوا ركبنا وإن تنزلوا نزلنا، لكن لم يستقم له إلا بالبسط وكذلك قوله^(٢) :

وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْدًا نَجْدُ

أراد: أن تسكني نجداً سكتاه، فبسط لما أراد إقامة الشعر، أنشدنيها أبي فارس بن زكرياء قال أنشدني أبو عبدالله محمد بن سعدان النحوي الهمداني، قال: أنشدني أبو نصر صاحب الأصبعي^(٣) :

قَضَيْتِ الْغَوَانِي، غَيْرَ أَنْ مَوَدَّةً لِذُلْفَاءَ مَا قَضَيْتِ آخِرَهَا بَعْدُ
فِي رُبُوعِ الرَّبْعَيْنِ حَيْثِ رُبُوعاً عَلَى النَّأْيِ مِنِّي، وَاسْتَهَلَّ بِكَ الرَّغْدُ
فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدَعُهُ وَمَنْ بِهِ وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْدًا نَجْدُ

وما سوى هذا مما ذكرت الرواة أن الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في «كتاب خضارة» وهو «كتاب نعت الشعر» .

وهذا تمام الكتاب «الصاحبي» أتم الله على «الصاحب» الجليل النعم، وأسبغ له المواهب، وسنى له المريد من فضله، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله تعالى على نبيه محمد وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١) ديوانه: ١٣٥، وفيه: قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا . . .

(٢) شعر يزيد بن الظبية: ٦١ . أمالي القالي: ١/٥٤ بلا عزو. وصدرة:

فإن تدعي نجداً ندعه ومن به

(٣) الغواني: جمع الغانية: الحسناء. الذلفاء: المرأة الصغيرة الأنف، وهو اسم علم مؤنث أيضاً.

رسالة أحمد بن فارس

لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب

تناول ابن فارس في هذه الرسالة مسألة المفاضلة
بين شعراء الجاهلية والمولّدين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدّم الثعالبي لهذه الرسالة بقوله: إنها في غاية الملاحاة، وقد تضمّنت نماذج من ملح شعراء الجبل وغيرهم من المعاصرين، وفيها ظرف أخبارهم... وهذا نصّها:

«ألهمك الله الرشادَ، وأصحبك السدادَ، وجنبك الخلافَ، وحبّب إليك الإنصافَ.»

وسببُ دعائي بهذا لك: إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة، وإعظامك ذلك. ولعله لو فعل - حتى يصيب الغرض الذي يريده، ويرد المنهل الذي يؤمه - لاستدرك من جيد الشعر ونقيه، ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول.

فلماذا الإنكار، ولم هذا الاعتراض، ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم؟ ولم تأخذ بقول من قال: «ما ترك الأول للآخر شيئاً» وتدع قول الآخر: «كم ترك الأول للآخر؟» وهل الدنيا إلا أزمان، ولكل زمن منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأفهام ونتائج العقول؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولم لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول - حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل ذلك مثل رأيه؟.

وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوازل الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أو ما علمت أنّ لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة؟ ولم جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجوز أن يؤلف مثل تأليفه؟ ولم حجرت واسعاً وحظرت مباحاً، وحرمت حلالاً، وسددت طريقاً مسلوكة؟ وهل حبيب إلا واحدٌ

من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولماذا جاز أن يعارضَ الفقهاءُ في مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنظار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شدَّ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يُدرَك ولا يُدرى قدره؟.

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذَهَبَ أدبٌ غزير، ولضلَّتْ أفهامٌ ثاقبة، ولكثَّتْ ألسنٌ لَسِنَةً، ولما توشى أحدٌ لخطابة، ولا سلك شعباً من شعابِ البلاغة، ولمجَّتْ الأسماعُ كلَّ مردِّدٍ مكرَّر، وللفظت القلوب كلَّ مرجعٍ ممضغ. وحتام لا يسأم:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبِحِ إبلي

وإلى متى:

صفحنا عن بني ذهل

ولم أنكرت على العجلي معروفاً، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً، وإبطاء وإقواء، ونقلًا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها، ولا تصلح لها، إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة وأمور عليلة؟.

ولم رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حثت على إثارة ما غيبت الدهور وتجديد ما أخلقت الأيام وتدوين ما نتجت خواطر هذا الدهر وأفكار هذا العصر؟.

على أن ذلك لو رame رائم لأتعبه، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله من جدِّ يروعك، وهزل يروقك، واستنباط يعجبك، ومزاج يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً، وإلى جنبه رجل أكل فاحسَّ أبو حامد بجودة أكله، فقال:

وصاحبٍ لي بطنه كالهواية كأن في أمعائه معاوية

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية. وهل ضرَّ ذلك إن لم يقله حماد عجرد وأبو الشَّمقمق؟ وهل في إثبات ذلك عارٌّ على مشبهه، أو في تدوينه وضمه على مدونه؟.

وبقزوين رجلٌ يُعرف بابن الرياشي القزويني، نظرَ إلى حاكمٍ من حُكَّامها - من أهل طبرستان - مقبلاً، عليه عمامةٌ سوداءُ، وطيلسان أزرق، وقميصٌ شديدُ البياض، وخفُّه أحمر، وهو مع ذلك كله قصير، على بردون أبلق هزيل الخلق، طويل الحلق، فقال حين نظره:

وحاكمٍ جاءَ على أبلقٍ كعَقَعَتِ جاءَ على لَقَلِقِ

فلو شاهدتَ هذا الحاكمَ على فرسه لشهدتَ للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار بن برد:

كأنَّ مئارَ النَّعْجِ فوقَ رؤوسِهِم وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ

فما تقول لهذا، وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده؟.

وأُنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يُعرف بالهمذاني، وهو اليوم حيٌّ يُرزق، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه:

وُقيتَ الرَدَى وصروفَ العِللِ ولا عرفتَ قَدَمَاكَ الزَّلَلِ

شكى المرضُ المجدُّ لما مرضتَ فلمَّا نهضتَ سليماً أبُلِ

لكَ الذَّنْبُ، لا عتبَ عليكَ لماذا أكلتَ طعامَ السَّفَلِ؟

طعامٌ يُسَوَّى ببيعِ النَّبيذِ ويُصلحُ من خدرِ ذاكِ العملِ

وأُنشدني في شاعر، هو اليوم هناك، يعرف بابن عمرو الأسدي، وقد رأيتُه فرأيتَ صفةً وافقتَ الموصوف:

وأصفرُ اللون، أزرقُ الحدَقَةُ، في كلِّ ما يدَّعيه غير ثَقَّة

كأنَّه مالِكُ الحزِينِ إذا هَمَّ بزرقٍ وقد لوى عنقَهُ

إن قمتُ في هجوه بقافية فكلُّ شعرٍ أقولُه صدَقَهُ

وأُنشدني عبدالله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه، من أهل قزوين، ويعرف بابن المنادي:

إذا ما جئتَ أحمدَ مستميحاً فلا يغرُزُكَ منظرُهُ الأنيقُ

له لُطفٌ وليس لديه عُرفٌ، كبارقةٍ تروقُ ولا تُريقُ

فما يخشى العدو له وِعِيداً كما بالوَعْدِ لا يثِقُ الصَّدِيقُ
وليوسف محاسن كثيرة، وهو القائل، ولعلك سمعت به :

حُجُّ مثلي زيارةَ الخَمَارِ واقتنائي العَقَارَ شربُ العُقَارِ
ووقاري إذا توقر ذو الشيد بة وسطَ النديّ تركُ الوقارِ
ما أبالي إذا المُدَامَة دامت عدلَ ناهٍ ولا شناعةَ جارِ
رُبَّ ليلٍ كأنَّه فرعٌ ليلي ما به كوكبٌ يلوحُ لساري
قد طويناه فوقَ خَشْفِ كحيل أحور الطَّرْفِ فاتن سَحَارِ
وعكفنا على المُدَامَة فيه فرأينا النهارَ في الظهرِ جاري

وهي مليحة كما ترى، وفي ذكرها كلها تطويل والإيجاز أمثل، وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأسأ.

ومدح رجلٍ بعضُ أمراءِ البصرة، ثم قال بعد ذلك - وقد رأى توانياً في أمره - قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً :

جوَدَتْ شعرك في الأمير فكيف أمرك؟ قلت فاتر

فكيف تقول لهذا ومن أي وجه تأتي فتظلمه؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام، وأنت الذي أنشدتني :

سَدَّ الطريق على الزمان وأقامَ في وجه القطوبِ
كما أنشدني لبعض رجال الموصِل :

فديتك، ما شبتَ عن كبرة وهذي سنِّي وهذا الحسابُ
ولكن هجرتَ فحلَّ المشيب ولو قد وصلتَ لعاد الشبابُ

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر؟.

وأنشدني أبو عبدالله المغلسي المراغي لنفسه :

غداة تولتَ عيسهم فترحلوا بكيتُ على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدتَ حقوق وداهم ولا أنا عن عيني بذاك رضىتُ

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره، وهو اليوم حي يُرزق :

زارني في الدُّجى فَمَّ عليه طيبُ أردافه لدى الرُّقباءِ
والثريا كأنَّها كفُّ خَوْدٍ أُبرزتْ من غلالةِ زرقاءِ

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طبيبٌ يُسمَّى النعمان ويكنى
أبا المنذر، فقال فيه صديق لي:

أقولُ لِنُعمانٍ، وقد ساق طَبُّهُ نفوساً نفيساتٍ إلى باطن الأرضِ
أبا مُنذرٍ أفنيتَ، فاستبقِ بعضنا حتانِك: بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

ثبت المصادر والمراجع

- الأزهية في علم الحروف: الهروي، مجمع اللغة العربية بدمشق ط ١/١٩٨١.
- أساس البلاغة: الزمخشري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩.
- الأصمعيات: الأصمعي، دار المعرفة مصر، ط ٥.
- الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ط ٧/١٩٨٦.
- الأغاني: الأصفهاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- الأمالي، أبو علي القالي دار الآفاق الجديدة، بيروت لا ط.
- الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، دار الجليل بيروت ١٩٨٢.
- أوضح المسالك: ابن هشام الأنصاري، دار الجليل بيروت ط ٥/١٩٧٩.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، دار المعارف مصر ط ٤.
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، دار الحياة (نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الخيرية بمصر).
- تذكرة النحاة: أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١/١٩٨٦.
- جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٨٨.
- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢/١٩٩٢.
- جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد، دار صادر بيروت لا ط.
- الحماسة الشجرية: ابن الشجري، دمشق ١٩٧٠.
- الحيوان: الجاحظ، دار إحياء التراث العربي بيروت لا ط.
- خزنة الأدب: البغدادي، دار صادر بيروت لا ط.
- الخصائص: ابن جني، دار الكتاب العربي بيروت لا ط.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق محمد حسن آل ياسين، لا ناشر ط ١/١٩٨٢.

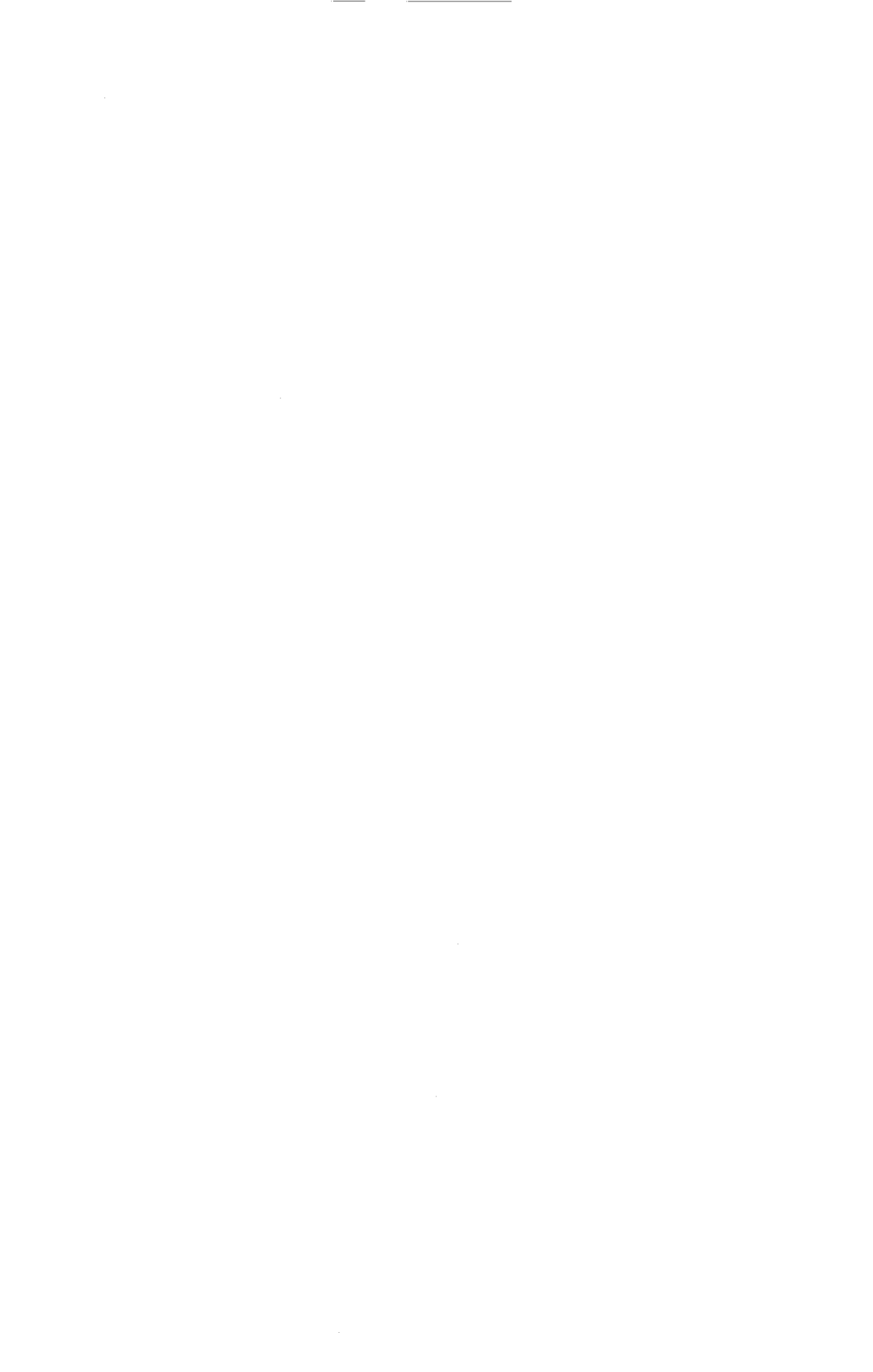
- ديوان الأحوص الأنصاري: دار الكتاب العربي بيروت ط ١/١٩٩٤.
- ديوان الأخطل: دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٨٦.
- ديوان الأسود بن يعفر: صنعة نوري القيسي، وزارة الثقافة بغداد ط ١.
- ديوان الأعشى: دار الكتب العلمية، بيروت ط ١/١٩٨٧.
- ديوان الأغلب العجلي (ضمن شعراء أمويون): عالم الكتب، بيروت ط ١/١٩٨٥.
- ديوان امرئ القيس: دار صادر، بيروت لا ط.
- ديوان أوس بن حجر: دار بيروت، بيروت ط ١/١٩٨٦.
- ديوان بشر بن أبي خازم: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١/١٩٩٤.
- ديوان جران العود النميري: المكتبة الأزهرية، مصر ١٩٩٢.
- ديوان جرير: دار صادر، بيروت لا ط.
- ديوان حاتم الطائي: دار صادر، بيروت.
- ديوان الحادرة: دار بيروت، بيروت ١٩٩٣.
- ديوان حسان بن ثابت: دار الأندلس، بيروت ١٩٨٠.
- ديوان الحطيئة: دار صادر، بيروت.
- ديوان الحماسة: أبو تمام، دار الرشيد (سلسلة كتب التراث رقم ١٠١) بغداد ١٩٨٠.
- ديوان الخنساء: دار صادر، بيروت لا ط.
- ديوان ذي الرمة: شرح أحمد بسج، دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٩٥.
- ديوان الراعي النميري: دار الآفاق الجديدة، بيروت ط ١/١٩٧٩.
- ديوان رؤبة بن العجاج: دار الآفاق الجديدة، بيروت ١/١٩٧٩.
- ديوان أبي زبيد الطائي = شعر أبي زبيد: مطبعة المعارف، بغداد ط ١/١٩٦٧.
- ديوان زهير بن أبي سلمى: دار صادر، بيروت لا ط.
- ديوان زيد الخيل = شعر زيد الخيل: دار المأمون للتراث، دمشق لا ط.
- ديوان الشماخ بن ضرار: دار المعارف، مصر.
- ديوان الشنفرى: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١/١٩٩١.
- ديوان طرفة بن العبد: دار صادر، بيروت ١٩٨٠.
- ديوان طفيل الغنوي: دار الكتاب الجديد، بيروت ط ١/١٩٦٨.

- ديوان العباس بن مرداس: مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١/١٩٩١.
- ديوان عبدة بن الطيب: دار التربية، بغداد ط ١/١٩٧١.
- ديوان عبيد بن الأبرص: دار صادر، بيروت.
- ديوان العجاج (عبدالله بن رؤبة): مكتبة أطلس، دمشق لا ط.
- ديوان عدي بن زيد: منشورات وزارة الثقافة، بغداد سلسلة كتب التراث.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة: دار صعب، بيروت ١٩٨٠.
- ديوان عمرو بن معد يكرب: مكتبة دار البيان، بيروت - دمشق ط ٣/١٩٩٤.
- ديوان القطامي: دار الثقافة، بيروت.
- ديوان قيس بن الخطيم: دار صادر، بيروت ط ٣/١٩٩١.
- ديوان قيس بن الملوح: دار الكتب العلمية، بيروت ط ١/١٩٩٠.
- ديوان كثير عزة: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١/١٩٩٣.
- ديوان كعب بن زهير: دار الكتب العلمية، بيروت ط ١/١٩٨٧.
- ديوان ليبد بن ربيعة: دار صادر، بيروت لا ط.
- ديوان المخبل السعدي (ضمن شعراء مقلون): عالم الكتب، بيروت ط ١/١٩٨٧.
- ديوان مسكين الدارمي (ربيعه بن عامر): مطبعة دار البصري، ط ١/١٩٧٠.
- ديوان ابن مقبل: تميم بن مقبل، وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٢.
- ديوان النابغة الجعدي: المكتب الإسلامي، بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني: دار صادر، بيروت.
- ديوان يزيد بن الطثرية: دار الوثبة، دمشق.
- ديوان يزيد بن مفرغ: مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢/١٩٨٢.
- الزهرة: الأصفهاني، مكتبة المنار الأردن - الزرقاء ط ٢/١٩٨٥.
- سر صناعة الإعراب: ابن جني، دار القلم دمشق ط ١/١٩٨٥.
- شرح أشعار الهذليين: مكتبة دار العروبة، القاهرة لا ط.
- شرح ديوان عنتره: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١/١٩٩٢.
- شرح شافية ابن الحاجب، عبد القادر البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت لا ط ١٩٨٢.

- شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصاري، الشركة المتحدة للتوزيع بيروت ١٩٨٤.
- شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي، تأليف عبدالله بن بري: مجمع اللغة العربية، القاهرة لا ط ١٩٨٥.
- شرح المفصل: ابن يعيش، عالم الكتب بيروت لا ط.
- شعر أبي زيد الطائي: مطبعة المعارف، بغداد ط ١٩٦٧.
- شعر عمرو بن أحم: مجمع اللغة العربية، دمشق لا ط.
- شعر الكميت: مكتبة الأندلس، بغداد لا ط ١٩٦٩.
- الطرائف الأدبية: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية بيروت لا ط.
- العقد الفريد: ابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر ط ٣/١٩٦٥.
- عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت لا ط.
- غريب الحديث: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٨٥.
- فقه اللغة: الثعالبي، دار ومكتبة الحياة بيروت لا ط.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة بيروت.
- الكتاب: سيبويه، عالم الكتب بيروت ط ٣/١٩٨٣.
- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر بيروت.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه: ابن الشجري (تحقيق أحمد بسج)، دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٩٦.
- مجمع الأمثال: أبو الفضل الميداني، دار القلم بيروت لا ط.
- مجمل اللغة: أحمد بن فارس، مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢/١٩٨٦.
- المزهري في علوم اللغة: السيوطي، دار الفكر بيروت لا ط.
- المعاني الكبير: ابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت ط ١/١٩٨٤.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار صادر بيروت لا ط.
- معجم الشعراء: المرزباني، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢/١٩٨٢.
- معجم العين: الخليل بن أحمد، دار الهلال بيروت.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، الدار الإسلامية بيروت ١٩٩٠.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: مكتبة بريل، لندن.

- المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، بيروت ط ٦.
- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، مؤسسة إسماعيليان قم بإيران ط ١.
- النوادر في اللغة: أبو زيد سعيد بن أوس، دار الكتاب العربي بيروت ط ١٩٦٧/٢.
- وفيات الأعيان: ابن خلكان، دار صادر بيروت لا ط.
- يتيمة الدهر: الثعالبي، دار الكتب العلمية بيروت.

فهرس محتويات
الصاحبى فى فقه اللغة



الفهرس

٥ مقدمة المحقق: التعريف بـ «ابن فارس»
١١ خطبة الكتاب

أبواب الكتاب

١٣ باب القول على لغة العرب: أتوقيف أم اصطلاح
١٥ باب القول على الخطّ العربي
١٩ باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات
٢٤ باب القول في لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها
٢٥ باب القول في اختلاف لغات العرب
٢٨ باب القول في أفصح العرب
٢٩ باب اللغات المذمومة
٣٢ باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن
٣٢ باب القول في مأخذ اللغة
٣٢ باب القول في الاحتجاج باللغة العربية
٣٥ باب القول على لغة العرب: هل لها قياس
٣٦ باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها
٣٩ باب انتهاء الخلاف في اللغات
٤٠ باب مراتب الكلام
٤١ باب ذكر ما اختصت به العرب
٤٤ باب الأسباب الإسلامية
٤٧ باب القول في حقيقة الكلام

٤٨	باب أقسام الكلام
٥٠	باب الفعل
٥٠	باب الحرف
٥١	باب أجناس الأسماء
٥٢	باب النعت
٥٢	باب القول على الاسم: من أي شيء أخذ؟
٥٣	باب آخر في الأسماء
٥٦	باب ما جرى مجرى الأسماء
٥٧	باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص
٥٨	باب القول في أصول الأسماء
٥٩	باب الأسماء كيف تقع على المسميات
٦١	باب الاسمين المصطلحين
٦٢	باب في زيادات الأسماء
٦٣	باب الحروف
٦٣	باب ذكر دخول «ال»، في الأسماء
٦٤	باب الألف المبتدأ بها
٦٤	باب وجوه دخول (الألف) في الأفعال
٦٥	باب شرح جمل تقدمت في ألفات الوصل
٦٦	باب «الباء»
٧٠	باب التاء
٧٠	باب التاء
٧١	باب الجيم
٧١	باب الحاء
٧١	باب الخاء
٧١	باب الدال
٧١	باب الراء
٧١	باب السين
٧١	باب الفاء

٧٢	باب القاف
٧٢	باب الكاف
٧٤	باب اللام
٧٧	باب الميم
٧٧	باب النون
٧٨	باب الهاء
٧٨	باب الواو
٨١	باب الياء
٨٣	باب القول على الحروف المفردة
٨٧	باب الكلام في حروف المعنى
٨٧	باب أم
٨٨	باب أو
٩٠	باب إي وأي
٩١	باب إنّ وأنّ وإنّ وأنّ
٩٢	باب إلى
٩٣	باب ألا
٩٣	باب إنما
٩٤	باب إلا
٩٦	باب من الاستثناء آخر
٩٧	باب إيا
٩٨	باب إذا
٩٩	باب إذ
١٠٠	باب إذاً
١٠٠	باب أي
١٠٠	باب أتى
١٠١	باب أين، أينما، أيان، الآن
١٠٢	باب إمّا لا
١٠٣	باب أمّا وإمّا

١٠٣	ومما أوله باء
١٠٣	باب بلى
١٠٣	باب بل
١٠٤	باب بله
١٠٤	باب بيد
١٠٥	باب بينا وبينما
١٠٥	باب بعد
١٠٥	ومما أوله تاء
١٠٥	باب تعال
١٠٥	ومما أوله ثاء
١٠٥	باب ثَمَّ
١٠٧	باب ثَمَّ
١٠٧	ومما أوله جيم
١٠٧	باب جير
١٠٧	باب لا جرم
١٠٨	ومما أوله حاء
١٠٨	باب حتى
١٠٩	باب حاشا
١٠٩	ومما أوله خاء
١٠٩	باب خلا وما خلا
١٠٩	ومما أوله راء
١٠٩	باب رُبَّ
١١٠	باب رويد
١١٠	باب ذو وذوات
١١١	باب سوف
١١١	باب سوى
١١١	باب سَيِّما
١١٢	باب شَتَّان

١١٢	باب عن .
١١٢	باب على
١١٣	باب عوض
١١٣	باب عسى
١١٣	باب غير
١١٤	باب في
١١٤	باب قد
١١٤	باب كم
١١٥	باب كيف
١١٦	باب كاد
١١٦	باب كان
١١٧	باب كَأَيْنَ، كَأَنَّ
١١٨	باب كلا
١١٩	باب لو، لولا
١٢٠	باب لم، لما
١٢٠	باب لن، لا
١٢٠	باب لات
١٢٣	باب لَدُنْ، لدى
١٢٤	باب ليس
١٢٤	باب لعلّ، لكن
١٢٥	باب مذ، منذ، ما
١٢٦	باب مِنْ
١٢٧	باب مَن
١٢٧	باب مه، مهما
١٢٨	باب متى، نَعَمْ، نِعَمْ، هَلَمْ
١٢٩	باب ها، هاتِ، وَيَكُنَّ
١٣٠	باب أولى
١٣٠	باب يا

- ١٣٣ باب معاني الكلام
- ١٣٣ باب الخبر
- ١٣٨ باب الأمر
- ١٤١ باب الخطاب
- ١٤٢ باب أقل العدد الجمع
- ١٤٣ باب الإفهام، والفهم
- ١٤٤ باب معاني ألفاظ العبارات
- ١٤٦ باب الخطاب المطلق والمقيّد
- ١٤٧ باب الشيء يكون ذا وصفين
- ١٤٩ باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز
- ١٥٢ باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق
- ١٥٣ باب القلب
- ١٥٤ باب الإبدال
- ١٥٤ باب الاستعارة
- ١٥٦ باب الحذف والاختصار
- ١٥٧ باب الزيادة
- ١٥٨ باب التكرار
- ١٥٩ باب العموم والخصوص
- ١٦٠ باب الفعل
- ١٦١ باب الواحد يراد به الجمع
- ١٦١ باب الجمع يراد به واحد واثنان
- ١٦٢ باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع
- ١٦٣ باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب
- ١٦٤ باب تحول الخطاب من الغائب إلى الشاهد
- ١٦٤ باب مخاطبة المخاطب ثم جعل الخطاب لغيره
- ١٦٥ باب الشبثين ينسب الفعل إليهما
- ١٦٦ باب نسبة الفعل إلى أحد اثنين
- ١٦٦ باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

- ١٦٧ باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل
- ١٦٨ باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل
- ١٦٩ باب معاني أبنية الأفعال
- ١٧٠ باب الفعل اللازم والمتعدي
- ١٧٠ باب البناء الدال على الكثرة
- ١٧١ باب الأبنية الدالة في الأغلب على معان وقد تختلف
- ١٧١ باب الفرق بين ضدين
- ١٧٢ باب التوهم والإيهام
- ١٧٣ باب البسيط في الأسماء
- ١٧٣ باب القبض
- ١٧٤ باب المحاذاة
- ١٧٦ باب الإضمار
- ١٧٧ باب إضمار الحروف
- ١٧٧ باب إضمار الأفعال
- ١٧٨ باب من الإضمار آخر
- ١٧٩ باب التعويض
- ١٨١ باب من النظم الذي جاء في القرآن
- ١٨٢ باب الأمر المحتاج إلى بيان
- ١٨٣ باب ما يكون بيانه مضمراً فيه
- ١٨٣ باب ما يكون بيانه منفصلاً عنه
- ١٨٦ باب آخر من نظم القرآن
- ١٨٧ باب الإضافة
- ١٨٩ باب التقديم والتأخير
- ١٩٠ باب الاعتراض
- ١٩١ باب الإيماء
- ١٩١ باب إضافة الفعل إلى ما وقع به ذلك الفعل
- ١٩٢ باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم
- ١٩٣ باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء

١٩٥	باب الحمل
١٩٦	باب التهكم والهزاء
١٩٧	باب الكف
١٩٧	باب الإعارة
١٩٨	باب أفعل في الأوصاف لا يراد له التفضيل
١٩٩	باب نفي الشيء
٢٠٠	باب الشرط
٢٠٠	باب الكناية
٢٠٣	باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل
٢٠٣	باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة
٢٠٤	باب الخصائص
٢٠٥	باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم
٢٠٦	باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك
٢٠٦	باب الإفراط
٢٠٧	باب نفي ضمنه إثبات
٢٠٧	باب الاشتراك
٢٠٨	باب الاستطراد
٢٠٩	باب الإتيان
٢٠٩	باب النحت
٢١٠	باب الإشباع والتأكيد
٢١٠	باب الفصل بين الفعل والنعته
٢١١	باب الشعر
٢١٥	رسالة أحمد بن فارس لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب
٢٢٧	ثبت المصادر والمراجع
٢٣١	الفهرس